سيكولوجية الشخصية
بين
النظرية والتطبيق

تأليف

محمود محمد الزيني

بكالوريوس خدمة اجتماعية بدرجة جيد جداً
دبلوم فى التربية الأساسية
ماجستير فى التوجيه والارشاد النفسى بتقدير ممتاز من جامعة انديانا بأمريكا
أستاذ علم النفس المساعد
. بالمعهد العالى للتربية الرياضية والمعهد العالى للخدمة الاجتماعية
بالاسكندرية

١٩٧٤



دار المعارف بمصر

« وفى انفسكم افلا تبصرون »

(قرآن كريم)

الإهداء

إلى زوجتى شريكة عمرى وزميلة كفاحى

إلى إبنتى سامية طالبة الطب

إلى ابنى محمد طالب المعهد العالى للبترول

إلى ابنى ماهر طالب الثانوى

إلى طلابى الأعزاء الذين هم فى منزلة أبنائى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

إن محاولة فهم النفس والتعبير عنها يجتمع فيه عندى تحقيق وجودها واستكناة حقيقتها وحقيقة ما حولها ، وليس فوق هذا المطلب من مطلب رفيع يتطلع إليه موجود شاعر بوجوده .

لذلك فانى اتطلع إلى اليوم الذى نطبق فيه روح السادس من أكتوبر العظيم بما فيها من عزم وحزم وحرارة تصميم على مجال نظريات الشخصية الانسانية وتطبيقاتها فى ميادين الحياة الحيوية بما يكفل للفرد السعادة وللمجتمع المنفعة .

إن سعادة الفرد ورفاهية المجتمع ترتبط إرتباطا عضويا بعملية المواءمة بين بناء الشخصية وديناميكيتها وقدراتها ، ومتطلبات النجاح فى أهم ميادين الحياة وهى الأسرة والمدرسة ، والعمل وحل المشكلات التى تعرقل التكيف الأسرى والتعليمى والمهنى .

وبمعنى أدق أريد أن نأخذ الحكم على بناء الشخصية وديناميكيتها مأخذ الجد ، على أساس القياس الرقمى بمعايير صادقة ثابتة ، والفهم العميق لتفاعل القوى والعوامل التى أحدثت هذا البناء بتنظيمه الهرمى من الأنماط والسمات والمحاور الكبرى والصغرى ، وكيفية حدوث التغيرات الجذرية فى هذا البناء (الديناميكية) . وهنا نستطيع القول أن فلانا حصل فى محور الذكاء ضد الغباء على كذا درجة ، وحصل فى محور السوائية ضد العصابية على

كذا درجة ، وحصل فى محور الانبساطية ضد الانطـوائية على كذا درجة ، وكذلك فى سائر المتغيرات المتدرجة الرئيسية السيطـرة ضد الخضوع ، والاستقلال ضد الاعتماد على الغير . . . الخ . ونكشف كذلك نوعية وكمية القدرات الخاصة (المواهب) والميول والتحصيل الدراسى بطريقة موضوعية لا ذاتية ، تحقق المقارنة العادلة بين الأفراد والاختيار والتوجيه التعليمى والمهنى والأسرى بشكل أدق . وكذلك علاج المشكلات السلوكية التى تعوق النمو التعليمى والمهنى والتكيف الأسرى والاجتماعى . وربما أيضاً أمكننا التنبؤ بصورة علمية بمكونات شخصية شريكة الحياة المناسبة على أساس التشابه والتكامل بين السمات والأنماط فى شخصية المقدمين على الزواج وكذلك التقارب بين صورة الشخصية التى يتمناها كل من الخطيب والخطيبة فى شريك عمره وربما أيضاً تمكننا من إثبات خطأ الرأى الذى يدعى أنه ليس هناك بديل أعدل وأنسب من مجموع درجات الثانوية العامة فى التنسيق . هذا الرأى الذى أصاب العديد من الطلاب بالأنهيار النفسى بسبب عضاب الثانوية العامة والخوف المرضى من الامتحانات . !

وعن هذا الطريق وحده نتدبر للمستقبل بنور العلم فلم يعد لدينا وقت للتخبط العشوائى فى مرحلة التعمير والبناء . وإلا حصلنا على الفتات أو زرعنا دون حصاد .

وكما أن معرفة بناء الشخصية وما فيه من أنماط وسمات مهم ، فمعرفة كيف نشأ وتطور هذا البناء أمر لا يقل أهمية . وربما كانت الديناميكية والأسباب أهم من مظاهر السلوك والسمات . فالجوهر قبل المظهر ، والموضوع

قبل الشكل ، وإلا نكون قد حكمنا على من فى بيت الشخصية على أساس من يطلون فقط من شبابيك هذه الشخصية

إن البصر يدلنا على من يطلون من الشبابيك ، ولكن البصيرة تدلنا على من بداخل البيت .

إن الفجوة بين البصر والبصيرة ، والصورة والتصور ، فى الحكم على بناء الشخصية وديناميكيتها هو الذى خلق الصراع التقليدى بين علماء النفس السلوكيين القياسيين من أنصار المشاهدة المقاسة والتجربة المنظورة والتعميم الاحصائى ، وعلماء النفس الديناميكيين أو التحليليين أنصار بصيرة الاستقراء والاستنباط الذى يثبته الواقع فى ميادين الحياة العملية لا التجارب المعملية .

إن علماء النظريات السلوكية فى الشخصية ينقدون علماء النظريات الديناميكية على أساس قصور دقة التأمل العقلى إذا قورن بالتجريب العلمى والمشاهدات المقاسة والنتائج المعروف حدودها ومدى تعميمها بالإحصاء ، وينقدون الدينامكيين كذلك على أساس تعميم خصائص السلوك الشاذ فى العيادات النفسية على السلوك السوى فى الحياة العملية .

وعلماء النظريات الديناميكية فى الشخصية ينقدون السلوكيين على أساس أن التجارب المعملية فى الشخصية مبسطة إلى أبعد حد خلافا للسلوك المعقد فى مجالات الحياة اليومية . كما أن معظم التجارب العلميـــة فى معامل علم النفس السلوكى ، أجريت على حيوانات منحطة الذكاء بالمقارنة إلى

ذكاء الانسان . كما يحكم سلوك الحيوانات غرائز وراثية ثابتة فى المقام الأول ، على عكس الانسان الذى يحكم سلوكه عادات متعلمة ودوافع متطورة فى المقام الأول . كما لا يحكم سلوك الحيوانات قيم خلقية أو اجتماعية أو دينية على عكس الانسان المحكوم سلوكه بالمطالب الضميرية والمطالب الدينية والمطالب المجتمعية بجانب المطالب الغريزية . فكيف والحالة هذه نعمم نتائج التجارب المعملية السلوكية على ديناميكية الشخصية كما هى فى واقع الحياة العملية ؟ وحينئذ يكون الطريق السلطانى الذى يوصلنا إلى السمات المنبعية لا السطحية — فى الشخصية أى ديناميكية الأعماق هو منهج دراسة تاريخ الحالة فى ميادين الحياة الفعلية سواء فى العيادات النفسية أو فى المدرسة أو فى العمل أو فى مراكز توجيه الأسرة أو فى الجيش . . . الخ . ومن التاريخ النفسى نوجد الوحدة بين النظرة الوراثية والحاضرية والمستقبلية حتى نكتشف أسلوب الفرد فى الحياة أى طريقته فى حل مشاكله وفى علاقته مع الناس .

إن المؤلف يرى أن هذا الصراع أمر طبيعى فالعلماء ليسوا نسخا متطابقة كنسخ الكتاب المطبوع ، كما أن الانسان كائن معقد يعيش فى بيئة معقدة وسلوكه ملغز له أوجه متعددة ومتداخلة . وكل مدرسة من العلماء قد اكتشفت وجه من وجوه السلوك الانسانى ومنهجا فى البحث مكنهم من الوصول إلى هذا الوجه . ولا عيب فيهم إن اكتشفوا هذا الوجه دون سواه فالشخصية الانسانية كانت وما زالت طريقا طويلا شاقا !

وإذن يكون الطريق السليم هو طريق التكامل بين أوجه السلوك المكتشفة حتى الآن ، وبمعنى أدق طريق التفاوض بين

العلماء لا طريق التصادم ، طريق اكتشاف القاسم المشترك بين الآراء ، طريق تحقيق الوحدة فى التنوع ، طريق تحقيق الإئتلاف فى الإختلاف . وبهذا الأسلوب وحده نقطع مراحل أكثر ايجابية فى الطريق الطويل الشاق الموصل بين الشك واليقين فى ضروب الشخصية الانسانية المتشعبة .

ومما يؤكد شرعية وجود الصراع الفكرى الموصل للتجاذب لا للتنافر أو التجاهل ، القاعدة الذهبية التى ترى أن الفكرة المنطقية دون تجربة عملية عرجاء ، والتجربة العملية دون فكرة منطقية عمياء . ومؤدى ذلك أن التآلف بين الفكر البصيرى والبصر التجريبى أمر فى غاية الأهمية ويجب أن يسيرا معاً فهما الشهيق والزفير اللازمين لحياة العلم . وإذن لا يجب أن يضيق صدر بعض العلماء المتحمسين المحدثين من المدرسة السلوكية بالتكوينات الافتراضية التى أطلقها ويطلقها علماء المدرسة الديناميكية التحليلية كاللاشعور والشعور ، والأنا والهو والذات ، والليبيدو ، والشحنات النفسية الدافعة والشحنات المضادة ، ومراحل تطور الغريزة الجنسية من الطفولة إلى المراهقة إلى الرشد . فهذه التكوينات الافتراضية ما هى إلا صور عقلية ذكية عاشت مع الزمن فى دنيا علم النفس بسبب قدرتها على تفسير الوقائع السلوكية وعلاج الاتجاهات النفسية بدرجة مرضية نسبياً . كما ألقت الضوء على مشكلة اختيار أعراض السلوك المرضى بدرجة لم تصل إليها أى قواعد علمية أخرى . وبمعنى آخر أراحت الكثيرين الذين حيرهم التساؤل التقليدى المشهور فى الشخصية الانسانية ومن ذلك : لماذا تكون البيئة واحدة سواء فى الأسرة أو المدرسة أو العمل وتحدث أنماط سلوكية متعددة سواء أكانت سوية أم شاذة ؟ لما يغش الطالب فى المدرسة ويكون أمينا مع أصدقائه ، لماذا يقسو ويبطش رئيس العمل فى الشركة

ويكون خاضعا مستسلما فى بيتـــه ؟ لماذا يقع الفـــرد فى حب جارف مع عاهرة كبيرة السن ويتنافر مع زوجته الصغـيرة الجميلة المخلصة ؟ لماذا تلجأ الممثلة ذات الجمال الأخاذ والمال الوفير والشهرة التى طبقت الآفاق إلى قمة عذاب النفس بالانتحار ؟ لماذا لا تحمينا الصحة الجسمية و القوة العضلية من المخاوف الشاذة ، فنجد البطل المغوار يخاف من صرصار ؟ ! ! لماذا لا يحمينا الذكاء الرفيع من الاصابة بالداء النفسى الوبيل فنمرض بفصام الشخصية أو ازدواج الشخصية ، أو نقع فى براثن أحط وأفظع الجـــرائم ؟ لما يلهث السياسى الذكى ذائع الصيت وراء الراقصات وبائعات الهوى فى عاب الليل ؟ لماذا تشوه الغيرة القاتلة جمال الحب الكبير ؟ لماذا ينتقل الكثير من الناس دون استقرار من زوجة إلى زوجة ، ومن عشيقة إلى عشيقة ، ومن مهنة إلى أخرى ، ومن هواية إلى أخرى ، فلا يعرف الفرد ماذا يريد ودون أن يملك من نفسه رشدا ؟

لماذا يهرب البعض من الناس ويدفن همومه فى الكأس ويصبح عبدا أسيرا للخمر رغم كراهيته لها ؟

لماذا يستمر المقامر فى مقامرته بشكل قهرى رغم الخسارة اليومية الفادحة والمشاكل الأسرية والمهنية المتخمة ؟ لماذا يدمن الزوج على عادة الرنو (البصبصة للسيدات والفتيـــات) رغم جمال زوجتـــه الرفيع أو رغم كونه كهل فى المعاش ؟ . لماذا تهجر بعض السيدات الزوج المتمايز عقليا وخلقيا ودينيا وجسميا واجتماعيا واقتصاديا لتهرب مع شاب يصغرها سنا بعشرات السنين ، وكلما زاد الشاب فى عذابه وهوانه كلما زادت الزوجة فى حبه وطلباً لمرضاته . ؟

لماذا يكون السواء النفسى وراحة البال عزيز المنال على كثير ممن نضجت

جسومهم وعقولهم ، وانتفخت جيوبهم بالمال ، وزادت شهرتهم فى الجمال وعلت مراكزهم فى السلطة والسلطان ؟

دلنى أرجوك أين طريق الخلاص ؟ وبمعنى أدق دلنى أرجوك على بناء الشخصية وديناميكيته الذى يوصلنى إلى الصحة النفسية ؟

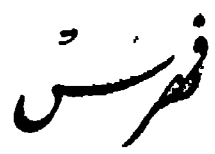
وانطلاقاً مما سبق ومحاولة للاجابة على هذا التساؤل المستمر كصنبور لا ينقطع أقدم هذا الجهد المتواضع فى هذا الكتاب .

إن الهدف الأساسى من هذا المؤلف هو تجميع المعلومات الصغيرة المبعثرة عن الشخصية فى بطون كتب علم النفس المختلفة ، وعرض هذه المعلومات فى ضوء الحقائق المعاصرة . لذلك عرضنا جميع النظريات السلوكية والنظريات الديناميكية فى صورة أكثر شمولا وايضاحا . وكذلك تقييم هذه النظريات بمعايير — أرجو أن تكون منصفة — مؤكدين العيوب الواضحة والمحاسن البارزة جنبا إلى جنب ، مع ضرب أمثلة عملية من ميدان الخدمة الاجتماعية حيث قام المؤلف بالتدريس والمساهمة فى التدريب العملى فى معاهد الخدمة الاجتماعية فترة طويلة بجانب خدمته فى معاهد إعداد معلمى التربية الرياضية .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير لأبنائنا الطلاب وزملائنا المعلمين وما فيه الخير لأمتنا فهو السميع المجيب .

ربى عليك توكلت وعليك أنيب وإليك المصير . . . .

الاسكندرية مارس سنة ١٩٧٤ .   المؤلف



الموضوع | رقم الصفحة

الفصل الاول

معنى الشخصية وأهمية دراستها فى الخدمة الاجتماعية

الموضوع — رقم الصفحة

الفصل الثانى

نظريات الشخصية

الفصل الثالث

إستدراك

صفحة ١٩٣

(٢) الاستخبارات (الاستفتاءات) .

(٣) الاختبارات الاسقاطية الموقفية .

الفصل الأول

معنى الشخصية واهمية دراستها فى الخدمة الاجتماعية

تمهيد

الصحة النفسية — بالمفهوم العام — تعنى التكيف السليم ، أى قدرة الفرد على عقد علاقات اجتماعية راضية مرضية ، أى يرضى عنها نفسه ويرضى عنها الناس . وهذا ما يعرف « بالتوافق الاجتماعى» ، وكذلك قدرة الفرد على التوفيق بين دوافعه المتصارعة توفيقاً يرضيها جميعاً ارضاء متزنا ، وهذا مايعرف « بالتوافق الذاتى » ، وحصيلة ذلك استمتاع الفرد بالحياة وشعوره بالراحة والطمأنينة فى أسرته وأصدقائه ، وبمعنى آخر نقول إن شخصيته متزنة متكاملة.

لذلك لا يمكن من الناحية العملية أو المنطقية أن تفصل دراسة موضوع الصحة النفسية عن موضوع الشخصية والتكيف .

تنتقل الصفات الجسمية من السلف للخلف عن طريق الوراثة ، وكذلك تنتقل الصفات الاجتماعية من السلف للخلف عن طريق التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها الوسائط التربوية المختلفة فى البيئة التى نعيش فيها الفرد وأهمها الأسرة والمدرسة وشلة الأصدقاء ودار العبادة ووسائل الإعلام وغيرها .

والتنشئة الاجتماعية أو عملية التطبيع الاجتماعى تهدف إلى تحويل الفرد من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى واعداده للثقافة التى يعيش فيها ، وبمعنى آخر الارتقاء بالفرد من النزعات الهوجاء إلى مرحلة النضج ، تلك العملية التى تؤهله للتوفيق بين المقتضيات الاجتماعية والحاجات الفردية بحيث يهتدى

إلى أقرب وضع ممكن من تلك النقطة التى يلتقى عندها تحقيق أقصى انتاج للحياة دون اصطدام بقوانين المجتمع أو جور على حق الفرد فى الراحة والمتعة .

ونتيجة عملية التنشئة الاجتماعية يتكون الضمير والخلق وأسلوب الفرد الخاص الغالب فى حل مشاكله وفى تعامله مع الناس والذى يميز الفرد عن غيره من الأفراد ، وهو ما يعرف « بالأسلوب التوافقى أوالتكيفى العام » وهو أبرز ما يميز شخصية الإنسان .

ومن ثنايا تفاعل المعطيات الوراثية الفطرية مع المعطيات البيئية المكتسبة فى عملية التنشئة الاجتماعية تتحدد المقومات الرئيسية للشخصية الانسانية وهى المقومات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية . هذه المقومات هى الأساس الثابت فى حياة الفرد الذى يساهم فى صنع النجاح والفشل إلى حد بعيد ويضفى على الانسان فرديته .

ويهمنا فى الخدمة الاجتماعية خاصة دراسة تركيب الشخصية ومقوماتها ، وذلك حتى يمكننا فى ضوء هذه الدراسة تحسين أساليب سلوكنا وسلوك غيرنا على أساس فهمنا لأنفسنا ونفوس غيرنا .

وفيما يلى نوضح أهمية دراسة الشخصية فى الخدمة الاجتماعية :

(١) اهمية دراسة الشخصية فى الخدمة الاجتماعية

تعرف خدمة الفرد ، « بأنها عملية تهتم بتفهم الأفراد كشخصيات كلية بتكيف هؤلاء الأفراد فى حياة اجتماعية صحية » (١) وتعريف آخر لخدمة الفرد يقول : « خدمة الفرد من العمليات التى تهدف إلى تنمية الشخصية بواسطة تأثيرات محسوسة لكى ينسجم الفرد مع بيئته الاجتماعية» . وتعريف ثالث لخدمة الفرد نصه : « عملية تهدف إلى توظيف العميل لامكانياته وطاقاته — لإدراك وتفهم ومواجهة مشكلة من مشكلات تفاعله مع بيئته الاجتماعية أو جانب منها بواسطة علاقة بناءة بينه وبين اخصائى مهنى ممثلا لمؤسسة اجتماعية تتيح تحرير طاقاته وإمكانياته وإمكانيات المؤسسة » (٢) ، كذلك تعرف خدمة الجماعة : « بأنها عملية تربوية تهدف إلى نمو شخصيات الأعضاء عن طريق النشاط الجماعى » (٣) .

وهكذا لو استعرضنا العديد من تعاريف طرق الخدمة الاجتماعية لوجدنا التأكيد بشكل مباشر أو غير مباشر على الشخصية الانسانية .

فالاخصائى الاجتماعى يتعامل مع مختلف العملاء الذين لهم شخصيات ومشكلات مختلفة ومن الضرورى للاخصائى الاجتماعى أن يتقدم بفهم بناء الشخصية الانسانية ومقوماتها ووظائفها المختلفة إذا أراد النجاح فى عمله لأن سلوك العميل يتكون ويتأثر بهذا التركيب وتلك الوظائف ، كما أن مساعدة الإخصائى الاجتماعى للعميل فى الحقيقة لاتدل على مهارة أو حذق فى المهنة إلا إذا كان قادرا على الإلمام بالعوامل المختلفة التى تدفع العميل إلى أن يسلك سلوكا معينا ، كذلك على تقدير الصفات الثابتة والمتغيرة التى تظهر فى محاولاته للتكيف أو لوقاية نفسه فان مثل هذه الأمور يجب أن تكون تحت

الملاحظة الدقيقة للاخصائى الاجتماعى حتى يمكنه تقديم المساعدة اللازمة لعمـــلائه .

ومهما تنوعت مجالات الخدمة الاجتماعية سواء فى المجـال الأسرى أو المدرسى أو العمالى أو الريفى أو الطبى أو ذوى العاهات أو الأحداث الجانحين أو النفسى ... الخ . ومهما تنوعت طرق الخدمة الاجتماعية فان المبدأ الرئيسى والقاسم المشترك فى كل هذه المجالات والطرق هو مبدأ تنمية شخصية العميل سواء أكان فردا أو جماعة أو مجتمع محلى (إن جاز لنا هذا التعميم) .

وتنمية شخصية العميل يقصد منها أساساً اكتساب العميل المقدرة على الاعتماد على النفس فى حل المشكلات المستقبلة دون الاستعانة بالاخصائى الاجتماعى ، فالنضج معناه الاستقلال والاعتماد على الذات فى المقام الأول ، فكما أن الثمرة حينما تنضج تنفصل عن أمها الشجرة كذلك العميل حينما تنضج شخصيته وتنطلق قواه الذاتية ويستثمرها يستطيع أن يقف على قدميه بمفرده دون مساعدة رئيسية من أحد .

ومن العبارات المأثورة فى الخدمة الاجتماعية (لا تصطاد للعميل السمك ولكن علمه كيف يصيد السمك) .

وكما أن الطبيب يقوى عناصر المقاومة عند المريض ومتى قويت لاداعى للدواء كذلك الاخصائى يقوى طاقة العميل والانتاج وينشط دوافع التصحيح فى العميل حتى يستطيع أن يساعد نفسه بنفسه . لذلك نجد أن الإخصائى الاجتماعى لا يلتجىء إلى أسلوب الإعانة النقدية أو العينية المستمرة إلا فى حالة الضرورة القصوى ، والقاعدة العامة هو تجنيد قدرات العميل وتحقيق الاكتفاء الذاتى له فى حدود استطاعته بأن يتبنى مشروعا يدر دخلا ثابتاً ، أو تشجيع العميل ذوى العاهة على الإقبال على برنامج التأهيل المهنى ، أو يشجع أعضاء الجماعة

على الحكم الذاتى فى نادى إستثمار وقت الفراغ ، وكذلك الحال مع أعضاء اللجان فى جهاز تنظيم المجتمع .

ويرتبط مع مبدأ تنمية شخصية العميل أو النضج بالممارسة قاعدة العمل مع العميل وليس من أجل العميل . ومعنى العمل من أجل العميل أن يكون موقفه سلبيا ويقوم الاخصائى الاجتماعى بتقديم الخدمات المطلوبة دون مشاركة العميل وهو صاحب المشكلة أصلا مما يشعر العميل بالنقص وأنه غير أهل لتحمل مسئولية علاج مشاكله مما يؤدى إلى فشل علاج الحالة لقصور شخصية العميل وبناءها على أساس الاتكالية الاقتصادية والاتكالية الوجدانية على الاخصائى الاجتماعى والمؤسسة .

وبصفة عامة يتمركز دور اخصائى خدمة الفرد فى تحقيق مبدأ نمو شخصية العميل حول العلاج الشخصى الذى يهدف أساسا إلى مساعدة العميل على الخروج من دائرة الضغط النفسى المرتفع ليستطيع التوفيق الايجابى بين مطالبه من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى ويتم ذلك بالوسائل الآتية : (٤)

(١) **العلاقة المهنية** : وهى العلاقة الطيبة التى تخلق فى العميل استعدادا وتهيوءا لتقبل تغيير سلوكه حتى يتلاءم مع المجتمع ، أو احداث التغيرات اللازمة فى بيئته حتى يتلائم معها ، وقد تكون العلاقة فى حد ذاتها أسلوب علاجى يرد ثقة العميل إلى نفسه ويرفع قيمته فى نظر نفسه ويعيد إليه راحة البال واطمئنان النفس . وتنشأ العلاقة المهنية أثناء تفاعل شخصية الاخصائى الاجتماعى مع شخصية العميل فى غضون المقابلة وجها لوجه بهدف مساعدة العميل على حل مشكلته .

وحتى تكون هذه العلاقة المهنية أداة فعالة فى تنمية شخصية العميل لابد أن تبنى على الثقة المتبادلة بين الاخصائى والعميل ، هذه الثقة تنشأ من تقبل

الاخصائى للعميل كما هو ، وإظهار شعور الاحترام نحوه ، والعطف والمودة والاهتمام بالعميل والحرص على المحافظة على أسراره التى يبوح بها .

كذلك لابد أن تكون العلاقة خالية من السيطرة والأرغام والسلطة التى تتعارض مع حق تقرير المصير للعميل .

كما تخلو العلاقة المهنية من أنواع التحيز الوجدانى كالحب والكراهية مهما كان شكل العميل أو لغته أو مظهره ومهما انحطت الأعمال التى يأتى بها .

ويجب أن يعرف الاخصائى العميل وظيفة المؤسسة ودور الاخصائى فيها والشروط الواجب تطبيقها على العملاء حتى يعرف كل من الاخصائى والعميل دوره فى هذه العلاقة .

(٢) **التنفيس الوجدانى** : أى اطلاق المشاعر المؤلمة الحبيسة التى عانى منها العميل عن طريق إتاحة الفرصة له للتعبير الحر المطلق عن مشكلته بالانصات الجيد من جانب الاخصائى الاجتماعى حتى ينعم العميل براحة الاعتراف وتخفيف الأحمال الجاثمة على صدره . ومن قبيل التنفيس أو التفريغ الوجدانى أيضاً مساعدة العميل على تحقيق بعض حاجاته الرئيسية بصورة يقبلها المجتمع دون حاجة إلى كبت هذه الرغبات ، مثل إشباع الرغبات الجنسية عن طريق الاشتراك فى نادى مختلط من الجنسين يقوم فيه الطرفان بأنشطـة رياضية واجتماعية مشتركة فى بيئة علنية وتحت إشراف تربوى دقيق يحقق المثل الصالح لرواد النادى من الجنسين ويدعم الإشراف التربوى سند دينى يقضى باقامة شعائر الدين لكل رواد النادى وفى مقدمتهم الرواد . هذا ما يسمى بالاعلاء بالنسبة للدافع الجنسى ، أما إذا استبدل الاختلاط مع الجنس الآخر بأى

بديل لا يمت للجنس بصفــة مثل استثمار وقت الفراغ بنشاط رياضى أو اجتماعى أو فنى للانصراف عن التفكير فى الجنس الآخر سمى هذا ابدال .

والإعلاء الذى لا ينكر أو يتجاهل طبيعـة الدوافع الأولية والسمو بها بصورة مهذبة يقبلها الدين والمجتمع يفوق أثره الابدال فى تخفيف آلام الكبت النفسى وتقليل نتائجه السيئة .

(٣) **تخفيف قلق العميل** : إذا كان ضمير العميل متزمتاً متعسفاً فانه يثير فيه الشعور بالإثم لأتفه الأسباب ويضخم من شعوره بالقلق تضخماً سرطانيا خبيثا ، ودور الاخصائى الاجتماعى هنا هو رد الضمير إلى مستوى الاعتدال دون إباحية أو عدم هدم للقيم الأخلاقية .

وقد يكون العميل قلقاً لخوفه من مصادر بشرية فى بيئته كالآباء والرؤساء والمعلمون الذين يسيئون معاملته ، وواجب الاخصائى حينئذ العمل على تغيير اتجاهاتهم نحو العميل للتخفيف من قلقه .

(٤) **تكوين البصيرة** : ومعناها مساعدة العميل على الوقوف على حقيقة الأسباب الذاتية أو البيئية التى كانت خافية أو غامضة عليه من قبل ، ويتم ذلك بواسطة التفسير والشرح والتوضيح لما يغلق على العميل فهمه بوضوح ودقة . ومعرفة الأسباب الذاتية تعرف بالدراية الذاتية ، ومعرفة الأسباب البيئية تعرف بادراك الواقع الخارجى .

ومحور الارتكاز فى تكوين البصيرة هو العلاقة المهنية فلولا الفهم والثقة والاحترام المتبادل ما تكون لدى العميل أدنى بصيرة .

وفى سبيل تكوين الدراية الذاتية كثيرا ما يلجأ الاخصائى الاجتماعى إلى الاستعانة بعرض بعض الحالات المشابهة أو بعض الأفلام التى تعرض حالات مماثلة ، وهدف هذه الأفلام هو لفت نظر العميل إلى دوافعه الخافية عليه

والتى تلعب دورا رئيسياً فى مشكلته بطريق غير مباشر فكم من عملاء يدفعون ابناءهم للانحراف وهم لا يشعرون بمسئوليتهم فى ذلك برغم كونهم مثلا سيئـاً لأبنائهم ، وكم من زوج خائن يتهم زوجته بالخيانة الزوجية ، فالفرد يميل إلى إسقاط رغباته المستكرهة للنفس والناس على الغير حتى يبادر بلومهم قبل أن يلوموه لتخفيض قلقه وحماية نفسه .

ومساعدة العميل على إدراك دنيا الواقع الخارجى يتم بتعريف العميل أثر العوامل البيئية والثقافية فى تكوين مشكلته ، أو توضيح بعض ما يحتاجه العميل من معلومات يجهلها عن موارد المؤسسة أو المؤسسات الأخرى .

(٥) **مراجعة الخطط العلاجية** : يجب مراجعة الخطط العلاجية مع العميل للتأكد من سلامتها والتنبؤ بما ينتظر حدوثه حتى لا يفاجىء العميل بوقوعها أو يمل من انتظار النتائج .

(٦) **النصح** : برغم أن النصح غير مرغوب فى الخدمة الاجتماعية ولكن لا مانع من الالتجاء إليه فى بعض الأحيان إذا كانت نتيجته غير مشكوك فيها ، أو لتفادى ضرر محدق محقق للعميل .

(٧) حصر أو تحديد نقط الضعف الشخصى فى العميل كالخجل والتردد ووضعها تحت نظر العميل ليرغب فى تعديلها .

(٨) العمل على أن يقبل العميل بعض الصفات التى يضيق بها والتى لا يمكن تعديلها كقصر القامة أو النحافة الشديدة أو العاهة المستديمة . والعمل على التعويض عن النقص باستغلال القدرات الباقية إلى أقصى حد .

(٩) تصحيح الأهداف الاجتماعية وجعل مستوى الطموح يقارب مستوى القدرة حتى لايئن العميل من صراع الرغبة والقدرة الذى يجعل الشخصية أو الذات تمارس لونا من القلق والضعف والتخاذل .

على أن العلاج الشخصى قد يتعثر فى أحيان كثيرة إذا ظل العميل واقعاً

تحت ضغوط بيئية شديدة مثل الحرمان المادى (نقص الموارد المالية أو الملبس أو المأكل) أو الحرمان النفسى (الحرمان من الحب أو الأمن أو الانتماء) ، أو معيشة العميل فى ظروف سيئة فى بيئة السكن أو العمل (ازدحام — رطوبة — اظلام — قذارة) ، وفى مثل هذه الحالات يعمل الاخصائى الاجتماعى على تغيير اتجاهات الأفراد الذين لهم صلة شديدة بحياة ومشكلة العميل حتى يحسنوا معاملته ، وكذلك تغيير اتجاهات العميل نحوهم حتى يحسن معاملتهم ، أما من ناحية نقص الموارد فانه يستعين بامكانيات المؤسسة أو المؤسسات الأخرى أو تجنيد قدرات العميل ببرامج تعليمية مختلفة لمواجهة النقص فى هذه الموارد وهذا ما يعرف بالعلاج البيئى . ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن العلاج الشخصى والبيئى يكملان بعضهما البعض وإن كانت مدى الحاجة لكل نوع من الاثنين يختلف من حالة لأخرى باختلاف العملاء واختلاف مشكلاتهم والعوامل الغالبة فيها والتى يحددها عملية التشخيص الاجتماعى .

(٢) الاعتبارات الهامة المتصلة بالشخصية التى يجب ان يراعيها الاخصائى الاجتماعى فى عمله

(١) العناصر الشعورية واللاشعورية :

سبق الذكر أن البصيرة هى عملية تمكين العميل من فهم ذاته والوقوف على أسباب المشكلة التى كانت خافية عليه . والأسباب قد تكون شعورية أو شبه شعورية أو لا شعورية . وتكون البصيرة المقصودة هنا عملية اخراج المادة ذات الأهمية الخاصة من منطقة شبه الشعور إلى منطقة الشعور فى الشخصية فاذا أمكن للعميل تذكر الأسباب والأفكار بسهولة قيل أن هذه الأفكار تحتل منطقة الشعور ، وإذا تذكرها بصعوبة نسبياً — أى بعد توضيح وتفسير من جانب الاخصائى الاجتماعى — قيل إن الأفكار تحتل منطقة شبه الشعور ، أما إذا لم يستطع العميل تذكرها إلا بمساعدة عملية التحليل النفسى قيل إن الأفكار تحتل منطقة اللاشعور . والعناصر شبه الشعورية واللاشعورية تتكون نتيجة كبت الأفكار المشينة أو المخيفة أو المؤلمة ، وكلما كانت الأفكار أكثر ألما للنفس كلما أزيحت إلى منطقة شبه الشعور واللاشعور ، وبنـاء على ذلك تكون عملية استرجاع واستحياء هذه الأفكار والمشاعر المؤلمة واحتلالها بؤرة شعور الفرد مصحوبة بمقاومة من جانب العميل وزيادة قلقه وظهور اتجاهات مشحونة بالعداء للاخصائى الاجتماعى.

والاخصائى الاجتماعى لا يتعامل إلا مع الأفكار والمشاعر الشعورية وشبه الشعورية القريبة من وعى العميل ، أما الطبيب النفسى والمحلل النفسى فهو يتعامل مع المكبوتات اللاشعورية . وبذلك تختلف البصيرة التى يكونها الاخصائى الاجتماعى عند العميل عن البصيرة التى يكونها الطبيب النفسى، ولكن الاختلاف

فى درجة النسيان — وبمعنى أدق فى الكبت — لا فى نوع المكبوتات ذاتها . وليس معنى ذلك أن الاخصائى الاجتماعى يهمل تكوين البصيرة عن المكبوتات اللاشعورية لأنها ليست من اختصاصه ، ولكن يجب عليه تحويل العميل إلى الطبيب النفسى المختص للاستعانة بخدماته وتكامل خدمات المختصين .

وحينما لا يعرف العميل لتصرفاته الشاذة سبباً ولا يستطيع التحكم فيها بارادته تكون صادرة من عقـــدة نفسية مشحونة بدوافع وصراعات لا شعورية كما فى الأمراض النفسية والأمراض العقلية ذات الأساس النفسى والتى تحتاج لجهد الطبيب النفسى أساسا .

(٢) التشخيص الطبى والنفسى والاجتماعى :

فى عملية التشخيص الطبى الجسمى يقرر الطبيب مثلا أن مريضاً معينا مصاب (بانفلوانزا) بعد دراسة أمراض معينة كرشح الأنف وارتفاع درجة الحرارة وآلام بالجسم . . الخ ثم يقرر العلاج اللازم بالمضادات الحيوية وما إلى ذلك .

ولكن فى عملية التشخيص فى الخدمةالاجتماعية أو علم النفس لا يكفى أن نقول أن فلانا انحرف لأن شخصيته قلقة أو هستيرية أو مصابة بعقدة نفسية تماما كما يقرر الطبيب الجسمى أن فلانا مصابا (بانفلوانزا) . والأولى من ذلك نبحث عن أصول هذه الأمراض الهستيرية أوأعراض القلق أو أعراض عقدة النقص أو الذنب وأسباب رسوخ هذه الأعراض وتحجرها والطريق الصحيح لتفسير هذه الأمراض هو البحث عن مختلف العوامل التى تؤدى إلى تكوين شخصية العميل وهى العوامل الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، الماضية والحاضرة والمستقبلة ، الحقيقية والخيالية . وبذلك

نقف على العوامل الممهدة والمعززة والمعجلة بأعراض القلق أو الهستيريا أو العقدة .

هذه العوامل هى القوى المتفاعلة التى انتجت السلوك الحالى ، وهذا الموقف هو ما يعرف « بالمجال السلوكى الكلى للفرد » .

وعن طريق المجال الكلى للفرد نستطيع أن نفهم لماذا يختلف سلوك الناس حيال موقف واحد كمرض جسمى معين أو ضائقة مالية أو فضيحة اجتماعية .

وكذلك نستطيع أن نفهم لماذا يختلف سلوك الفرد الواحد من موقف لآخر كالطالب الذى يتلعثم فى المدرسة ولا يتلعثم فى البيت ، والمدير الذى يكون مستبداً فى عمله مستكيناً أمام زوجتـــه . . . . الخ .

ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أن البحث عن قوى المجال الكلى تبدأ من الأعراض الحالية ثم نتعمق رويدا رويدا فى المشكلة للكشف عن القوى المختلفة المؤثرة فى الموقف . ومن الخطأ الفاحش أن يقفز الأخصائى النفسى أو الاخصائى الاجتماعى إلى بحث ظروف طفولة العميل فى الخمس سنوات من العمر مثلا ضارباً بأعراض المشكلة الحالية عرض الحائط فلا يلبث أن يلقى استغرابا ومقاومة شديدة من جانب العميل .

(٣) الحقائق السيكلوجية والموضوعية :

لكل حقيقة وجهان وجه سيكلوجى (نفسى) وآخر موضوعى . فمرض السكر مثلا حقيقة موضوعية تثبتها التحاليل الطبية ، ولكن شعور المرضى نحو هذا المرض هو حقيقة سيكلوجية ، وهذه الحقيقة النفسية تختلف من فرد لآخر ، فمريض نراه يائساً من الحياة ، بينما الآخر مستسلماً متواكلا تاركاً الأمور لله دون الاستعداد لبذل أى مجهود ، كما نجد ثالثاً مستبشرا مجــداً فى العــلاج .

وهذا الاختلاف فى الحقائق السيكلوجية ينشأ من الاختلاف فى شخصيات الأفراد ومن تجارب مرت بهم ، أو اختلافات فى عقلياتهم ، أو أساليب تنشئتهم إلى غير ذلك .

والحقيقة الموضوعية لا يمكن أن تكون لها معنى صحيحاً إلا إذا فهم معناها النفسى ، لذلك كان من واجب الاخصائى الاجتماعى أن يساعد العميل فى إدراك الفرق بين ما هو قائم فى الواقع الخارجى والصورة الداخلية التى التى يعكسها العميل عن هذا الواقع بحيث يظهر له كما يراه .

وإحساس العميل بمشكلته يزداد دائما فى اللحظة التى يتحدث عنها مع شخص آخر حتى لو كان عاش فيها مدة طويلة ، وأن هذه الاحساسات والانفعالات قد يظهر بعضها بواسطة التعبيرات الجسمية مثل انسكاب الدموع وارتعاش اليدين أو تصبب العرق ، ويظهر الآخر باللفظ أما تلقائيا أو بواسطة تشجيع الاخصائى الاجتماعى للعميل .

والعميل لا يمكنه أن ينجح فى حل مشكاته ما لم يعبر عن مشاعره وانفعالاته للاخصائى الاجتماعى الذى يساعده بعد ذلك عن طريق التوضيح والتبصير على رؤية الأمور على حقيقتها .

وعلاوة على ما سبق نجد أن البيئة الموضوعية قد تكون واحدة بالنسبة لعدد من الأفراد ، لكنها تكون بيئات سيكلوجية مختلفة لكل منهم ، فالبيت الواحد ليس بيئة سيكلوجية واحدة . لجميع من به من اخوة وأخوات وذلك لاختلافهم فى السن والخبرة والميول والقدرات ، كذلك الحال فى تلاميذ الفصل الواحد ، أو عمال المصنع الواحد ، أو المرضى فى مستشفى واحد .

وغنى عن البيان ذكر أن فهمنا لشخصية الأفراد يحتم دراسة البيئة السيكلوجية

التى تجد فى أعيننا دلالة خاصة ونشعر بها ونستجيب لهـا أو تثير انتباهنا واهتمامنا وتتجاوب مع حاجاتنا وقدراتنا ، أما البيئة الموضوعية أو الواقعية فهى لا تثير اهتمامنا بقدر البيئة السيكلوجية لأسباب عديدة ترجع إلى جنس الشخص وسنه وحالته الجسمية والعقلية وخبرته ومهنته وميوله وثقافته ومعتقداته ووجهة نظره ... الخ .

(٤) يميل الفرد الى مقاومة التغيير المفاجىء فى عاداته :

العادة هى نمط من السلوك المتعلم الثابت نسبياً عن طريق التكرار ويؤدى بطريقة آلية ، أى بأقل جهد وفكر سابق على الفعل .

وقد تكون العادة سوية أو شاذة مثل عادة ممارسة الرياضة أو الصلاة بانتظام ، أو عادة الإدمان على المخدرات والمسكرات . وقد تكون حركية أو عقلية أو وجدانية . مثل عادة الاستيقاظ مبكرا (حركية) أو التفكير العلمى الهادىء (عقلية) ، أو حب المال أو كراهية السود (وجدانية) .

وحيث أن العادات تعطى للفرد صفاته الخاصة التى تميزه عن غيره بوضوح وتغطى مظاهر شاملة للسلوك البشرى الإدراكى والوجدانى والنزوعى (الحركى) قيل أن شخصية الانسان ما هى إلا مجموعة من العادات الثابتة .

والعادة تحقق الاقتصاد فى الجهد والوقت ، وتدعم الشعور بالأمن وتوفر جهد الفرد وطاقته النفسية لمواجهة مسئوليات الحياة ، فهى من هذه الزاوية نعمة ، ولكنها قد تكون نقمة إذا استعصت على التطوير والتغيير لمواجهة ضرورات البيئة المتغيرة ولذا يصبح الفرد مقيدا عبدا لعاداته لذلك يقال أحيانا (من العادة ألا تكون لك عادة) .

ويميل الفرد إلى مقاومة التغيير المفاجىء العنيف فى عاداته الراسخة التى شب عليها لأن فى ذلك تهديد لذاته وإثارة للخوف من المجهول وفرض مسئوليات جديدة

لذلك يجب على الاخصائى الاجتماعى أن يتجنب التغيير المفاجىء فى عادات العملاء الضارة أو التى لا تساير العصر ، والأصح أن يكون التغيير تدريجياً وبخطوات تتمشى مع قابلية العميل فى التغيير بعد الاقتناع الفعلى بفوائد التخلص من العادة القديمة ومضار استمرارها ، وإثارة دوافعه التى تساعد على التخلص من العادة ، وتزويد العميل بعادة جديدة مفيدة مضادة للعادة القديمة إلى غير ذلك من الوسائل .

(٥) الدوافع المقالة والمضمرة :

فى كثير من الحالات نجد أن الشخص الذى تتملكه عاطفة حب المادة مثلا دون سواها من عواطف حب البشر أو الدين أو العلم ، أو الشخص الذى تكتسح دوافعه الاقتصادية دوافعة الأخلاقية والدينية ، فى أغلب الأحيان نجد أن هذا الشخص يظهر فى حديثه عدم اكتراثه بالمادة وأنها آخر شىء يفكر فيها ولا يجعل لها وزنا ، هذه دوافعه المقالة ، أما دوافعه غير المقالة — أى المضمرة — تكون متمركزة حول المال . فالدوافع المقالة هى المقبولة اجتماعياً ، وغالباً — وليس دائما — تكون غير حقيقية ، أما الدوافع غير المقالة هى غير المقبولة اجتماعيا وغالباً ما تكون حقيقية .

وليس معنى ما سبق أن نتشكك فى نوايا العملاء دائماً كقاعدة . ولكن يجب ألا نتسرع بالتشخيص قبل توثيق العلاقة المهنية وتكوين البصيرة لدى العميل والتخفيف من مقاومته حتى يتم ظاهره عن باطنه .

(٦) السلوك الواحد وراءه دوافع متعددة متعاونة أو متضاربة :

فالسلوك الاجرامى مثلا قد يكون وراءه رغبة مرتكب الجريمة فى تلويث سمعة عائلته التى أذلته وعذبته ، أو رغبة الحصول على المال ، أو رغبة فى

السيطرة والقوة كتعويض عن مشاعر النقص ، أو رغبة فى الانتماء إلى جماعة تحبه وتفهمه حتى لو كانت من المجرمين .

والسلوك البشرى سلوك معقد وراءه عدة دوافع لا دافع واحد فى أغلب الأحوال ، وقد يكون بعض الدوافع شعورية أو لا شعورية ، حقيقية أو وهمية من نسج خيال العميل .

وقد تكون الدوافع متصارعة متضاربة ، فمثلا العانس الذى تزوجت من رجل متزوج صاحب أسرة لها أولاد صغار . يدفعها إلى هذا الزواج الدافع الجنسى وقد يتعارض هذا الدافع مع دافع الهرب الذى يتضمن الخوف من إيذاء الأولاد والزوجة السابقة . لذا نجد سلوك هذه الزوجة الجديدة سلوك قلق متردد يشوبه اقدام الجنس واحجام الخوف .

(٧) الدافع الواحد يؤدى الى مظاهر سلوكية متعددة :

فالشخص الذى يعانى من عقـدة النقص مثلا ورغبته الشديدة فى القوة قد يخفى نقصه وراء ظلم الغير ، أو يخفى نقصه وراء مرض وهمى ، أو يحقق رغباته فى القوة عن طريق أحلام اليقظة ، أو عن طريق جذب انتباه الغير بأى طريق ، أو الالتجاء للاختلاق أو للعدوان وما إلى ذلك .

(٨) التعبير عن الدوافع يختلف باختلاف الثقافات :

فمثلا دافع المحافظة على الذوق والأدب يدفع الرجل الأمريكى إلى مدح جمال زوجة أمام زوجها ، فى حين أن هذا السلوك بالنسبة للرجل العربى يعتبر من قبيل قلة الذوق والأدب .

وكذلك الغمز بالعين للشخص الغريب فى أمريكا سواء أكان رجلا أو امرأة يعتبر من قبيل الذوق والأدب والترحيب بالشخص الغريب ، فى حين نجد أن هذا السلوك بالنسبة للرجل العربى من قبيل (البصبصة) وقلة الحياء .

وحتى فى الثقافة الواحدة نجد أن السلوك أو التعبير عن الدوافع يتباين من مكان إلى آخر . فالأخذ بالثأر والانتقام للعرض سلوك عادى و حميد فى الصعيد فى حين أنه سلوك إجرامى بالنسبة لسكان المدن وهكذا .

(٩) الحرمان بالنسبة للدوافع السيكلوجية والفسيولوجية :

تبين أبحاث عالم النفس الأمريكى ماسلو بأن الحرمان الشديد فى إشباع الدوافع السيكلوجية يؤدى إلى الإفراط فى إشباع الدوافع الفسيولوجية ، كذلك يؤدى الحرمان الشديد فى إشباع الدوافع الفسيولوجية إلى إهمال الفرد إشباع دوافعه السيكلوجية.

فمثلا الموظف الذى يتعرض للاهانة والحرمان والإذلال بشكل موصول من رئيسه فى العمل بشكل يعرقل إشباع دوافعه النفسية للامن والتقدير تجده غالباً ما يلجأ إلى الإفراط فى إشباع دوافعه الفسيولوجية كدافع الجوع والجنس . لذا تجده يفرط فى تناول الطعام وفى الاتصال الجنسى بزوجته كوسائل للتخفيف من آلام حرمانه وقلقه .

ومن جانب آخر نجد أن الحرمان الشديد من الطعام أو النوم مثلا لا يجعل الفرد مهتماً كثيرا باشباع دوافعه النفسية مثل الدوافع إلى أن يحب ويحب ودافع التقدير الاجتماعى . . . . الخ .

(١٠) ميل الانسان الى التهرب من الخطالة :

يشعر الانسان بألم فى النفس عندما يرتكب خطأ . وقد تعمد النفس إلى حيلة لاشعورية للهرب من هذا الإحساس المؤلم بأن تنسب أسباب الخطأ إلى عوامل خارجية. فالطالب الذى يرسب فى الإمتحان مثلا قد يرجع ذلك الرسوب إلى صعوبة الامتحان ، أو إلى ما بينه وبين مـــدرسه من سوء تفاهم ولا يرجعه إلى إهماله فى الاستذكار والاستعداد للامتحان .

والوالد الذى أهمل فى تربية ابنه مما سبب انحرافه وتشرده ، يرجع ذلك إلى صحبة السوء ، أو عناد هذا الابن ، أو إلى اسباب أخرى غير اهماله فى تربيته .

والعامل المتعطل يذكر للاخصائى الاجتماعى أسبابا كثيرة عن تعطله مثل قسوة صاحب العمل ، أو أنه يريد توفير العمال ، أو أن بعض زملائه فى المصنع قد دسوا له عند صاحب العمل ولكنه لا يذكر سبباً ينسبه إلى نفسه .

وهذه التبريرات التى لجأ إليها مثل هؤلاء العملاء تعمل فى الحقيقة على التوازن النفسى بالهرب من الألم الذى قد ينشأ عن الشعور بالذنب والخطأ .

ودور الاخصائى الاجتماعى فى مثل هذا الموقف يجب أن يخلو من النقد أو مواجهة العميل بشكل مباشر بتعريفه أنه المتسبب فى الخطأ ، فان ذلك الاتجاه يثبت العميل فى موقفه ويزيد من مقاومته والنفور من الاخصائى الاجتماعى ، ولكن يجب أن يقف الاخصائى الاجتماعى موقف التقبل ومحاولة إصلاح الخطأ ، مع استدراج العميل إلى كشف خطئه وعيوبه بنفسه ، ويساعد الإخصائى الاجتماعى فى ذلك عرض حالة مماثلة ومناقشة المتسبب عن الاشكال فيها ، أو عرض فيلم سينمائى أو شريط تسجيل لحالة مشابهة ، أو أن يرشد الاخصائى الاجتماعى العميل لقراءة كتاب فى علم النفس يشرح معنى التبرير ومناقشة الاخصائى بعد قراءته ، مثل هذه الوسائل تساعد العميل على اكتساب البصيرة وفهم دوافعه وبالتالى العمل على تعديلها . والأمثلة السابقة توضح حيلة دفاعية واحدة هى التبرير ، وهناك حيل نفسية دفاعية متعددة مثل الاسقاط ورد الفعل العكسى والتعويض وغيرها .

(٣) معنى الشخصية وتعريفها

ر من الملاحظ أن تصور معنى الشخصية ووضع تعريف لها، وكذلك كيفية دراستها يعكس وجهات النظر فى مدارس علم النفس المختلفة وطرق البحث السائدة فى كل مدرسة. فالمدرسة التكوينية ورائدها (فونت) اهتمت بتحليل الخبرات الشعورية إلى عناصرها الأولية عن طريق التأمل الباطنى ، تماما كما يحدث فى علم الكيمياء من تحليل المركبات الكيميائية إلى عناصرها الأولية، ولذلك تسمى هذه المدرسة مدرسة الكيمياء العقلية. لذلك نجد تعاريف للشخصية تدور حول فكرة المرء عن نفسه وتقديره لذاته وتحليل الخبرات الشعورية التى يحس بها دون سواه ، وأن المركب السيكولوجى المسمى بالشخصية يمكن تحليله إلى عناصره الأولية وهى العوامل الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية.

أما المدرسة الوظيفية ومن زعمائها (وودورث) و (جون ديوى) فقد أهتمت ببحث الحياة العقلية من الناحية الوظيفية، وهى التكيف مع البيئة مع ما يقتضيه ذلك من تعلم وتحسين لأساليب السلوك، مع الاهتمام بالتفاعل الذى يحدث بين الكائن الحى وبين البيئة المادية والاجتماعية التى يعيش فيها ، وما يتطلبه ذلك من كفاح عقلى للتغلب على مشكلات الحياة والوسط الذى يعيش فيه الكائن الحى . لذلك نجد تعاريف متعددة للشخصية تركز على أن «الشخصية : هى حصيلة تفاعل الفرد فى بيئته ونتيجة ذلك تكون أسلوب تكيفى خاص غالب على سلوك الفرد يوضح طريقته فى حل المشكلات وفى تعامله مع الناس ، ولا تهتم هذه المدرسة كثيراً بتحليل الشخصية إلى مكوناتها الأصلية الجسمية والعقلية . . . الخ .

أما المدرسة السلوكية ورائدها (واطسون) و (ثورندايك) فقد أكدت أن الحياة العقلية لا يمكن دراستها بمجرد تحليل الحياة الشعورية خصوصاً وأن من الصعب علينا أن نعرف ما يجرى فى نفوس الآخرين . واذن لا بد من الاعتماد على ملاحظة السلوك الظاهرى والدراسة الموضوعية لتصرفات الكائن الحى كما تبدو للغير . لذا نجد تعاريف للشخصية تدور حول الآثار التى يتركها الشخص فيمن حوله ، والطريق لمعرفة ذلك هو الملاحظة والتجريب . وحتى أصل كلمة الشخصية ذاتها يتمشى مع هذه الفكـرة ، فكلمة شخصية (Personality) مشتقة من لفظ لاتينى (Persona) ومعناه القناع أو الوجه المستعار الذى يظهر به الشخص أمام الغير . ومن ثم فالحكم على الشخصية أساسه صفات الفرد الخارجية كما تبدو للغير .

أما مدرسة الجشتالت ومن قادتها (كيرت ليفين) و (كهلر) و (كفكا) فقد رأت أن الكائن الحى يعيش فى مجال من القوى المؤثرة عليه والتى ينبعث بعضها منه وهى القوة الجسمية والعقلية والانفعالية وبعضها من البيئة وهى القوى المادية (الفيزيقية) ، والقوى الاجتماعية ، والقوى الاقتصادية ، وحصيلة تفاعل هذه القوى هو تكوين السلوك الذى يميز فرداً عن غيره تمييزاً واضحا وهذا هوأساس الشخصية . فسلوك الإنسان يشبه الإبرة المغناطيسية الموجودة فى مجال مغناطيس ، فاتجاه هذه الإبرة بالتأكيد يتحدد بتأثير قوى المجال المغناطيسى الواقع عليها ،وهذه هى الحقيقة المركزية الأولى فى هذه المدرسة . أما الحقيقة الثانية تدورحول اعتبار السلوك وحدة كلية وليس مجرد أجزاء متراصة كقوالب الطوب المنفصلة ، أى أجزاء محتفظة بخواصها الفردية متصلة مع بعضها فى تسلسل آلى ، كذلك الخبرات النفسية ليست مجرد إحساسات ومشاعر وصورة ذهنية متراصة بجانب بعضها . فالمنزل أكثر من مجرد مجمـوعة

من قوالب الطوب المتراصة . إذن الكل أكبر من مجموع أجزائه ، وأن الجزء لا يفهم معناه إلا فى ضوء الكل ، وأن أى تغير فى الجزء يتبعه تغير فى الكل العام . وكلمة جشتالت ذاتها كلمة المانية تعنى (وحدة) أو (تنظيم كلى عام) .

لذلك نجد أن تعاريف الشخصية المنبثقة من هذه المدرسة تؤكد أن الشخصية عبارة عن تنظيم كلى عام من عناصر جسمية وعقلية تحددت بتأثير تفاعل قوى المجال السلوكى للفرد ، البيئية مادية واقتصادية واجتماعية ، والذاتية جسمية وعقلية وانفعاليـة .

وفروض هذه المدرسة تتعارض مع تعريف الشخصية الذى يقول بأنها مجموعة صفات الفرد الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية . لأن الأخذ بهذا التعريف يؤدى للتسليم بأن أى تغير فى الجزء لايترتب عليه تغير فى الكل ، وبمعنى آخر فان أى تغير فى جسم الانسان لا يترتب عليه تغيـر عقلى أو انفعـالى ، وهذا عكس ما تثبتـه المشاهدة الاكلينيكية والتجريب العلمى ، ومن الحقائق المقررة فى الخدمة الاجتماعية أن العلاج الشخصى يؤثر فى العلاج البيئى والعكس صحيح .

أما مدرسة التحليل النفسى ومن روادها (فرويد) و (ادلر) و (يونج) فقد أكدت أن فهمنا للحياة العقلية للفرد وبالتالى شخصيته سيكون قاصرا إذا تغافلنا أمرين على جانب كبير من الأهمية هما : —

(١) **اللاشعور** : وأثره على سلوك الفرد ، وهو حصيـلة الدوافع الأولية والأفكار والرغبات المؤلمة والمخيفة والمشينة التى كبتت كبتاً عنيفاً خصوصا فى الطفولة المبكرة ، أما الشعور فهو حصيلة وعى الفرد وإدراكه لقوى البيئة المادية والاجتماعية والاقتصادية.

(٢) **الديناميكية** : وتعنى الحركة المستمرة ، عكس الاستاتيكية أى السكون الدائم . والحياة العقلية للفرد مجال نشط أى ديناميكى تتفاعل فيه وتتصارع قوى الشعور الكابتة مع قوى اللاشعور المكبوتة ، وسلوك الانسان ما هو إلا محصلة هذا الصراع ، أى محاولات الفرد ارضاء القوى الكابتة والمكبوتة معاً ، ومن ثم يتكون أساوب الفرد فى الحياة (Style of life) أو ما يعرف بالاساوب التكيفى العام والذى تعلمه الفرد أثناء عملية التنشئة الاجتماعية خاصة فى فترة الطفولة المبكرة . هذا الأساوب التكيفى الغالب على سلوك الفرد هو مفتاح فهمنا لشخصيته سواء أكانت سوية أو شاذة . وتعاريف الشخصية المنبثقة من هذه المدرسة تؤكد أهمية المفهومين السابقين .

المدرسة الغرضية ومن قادتها (ماكدوجل) ويرى أن سلوك الانسان ينشأ من دافع نحو غرض ،وأهم الدوافع هى الدوافع الفطرية مثل الجوع والجنس والمقاتلة والهرب والتملك.. الخ ، ولفهم سلوك الانسان يجب أن ندرس تصرفاته وطريقته فى التغلب على العقبات التى تعترض اشباع دوافعه الفطرية والمكتسبة. لذلك نجد تعاريف للشخصية تنص على أنها نمط ثابت نسبيا لاستجابة الفرد للعقبات التى تعترض إشباع الدوافع وتحقيق الأهداف الجوهرية .

وتأسيساً على ما سبق يرى الكاتب أن كل مدرسة قد نظرت لشخصية الانسان وسلوكه من جانب واحد لا من الجوانب مجتمعة ، لذلك نرى أن كل مدرسة صحيحة جزئياً وليست صحيحة كلية . فالكائن الحى كائن معقد يعيش فى بيئة معقدة ولا يكفى لتفسير شخصيته نظرة أحادية تؤمن بوحدانية السبب ،ومن ثم نرى أن المدارس السابقة متكاملة وليست متناقضة ، واختلاف الأئمة رحمة كما يقولون .

وفى ضوء هذه المدارس جميعاً يمكن وضع تعريف شامل للشخصية وهو : الشخصية هى وحـدة ديناميكية مكونة من الصفات المتداخلة الثابتة نسبياً الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، الموروثة والمكتسبة ، الشعورية واللاشعورية ، التى تميز الفرد عن غيره تمييزا واضحا ، وتوضح طريقته الخاصة فى التكيف مع بيئته .

أركان التعريف الشامل :

(١) الوحـدة : أى التنظيم الكلى العام وان التغير فى الجزء يتبعـه التغير فى الكل فالتحسن فى الجسم يتبعه التحسن فى الحالة النفسية والعكس صحيح .

(٢) الديناميكية : إشارة للتفاعل المستمر المتبادل بين عناصر الشخصية بين الوراثة والبيئة ، بين التكوين البيولوجى والاجتماعى ، بين القوى الكاتبة والمكبوتة ، بين الشعور واللاشعور . . . وما إلى ذلك ، وبناء عليه فليس لأى سمة أو صفة للشخصية معنى مطلقاً وإنما يكون للصفة معنى صحيحاً إذا نسبت لظروف البيئة التى نشأ فيها الفرد وظروف الموقف التى ظهرت فيه هذه الصفة .

(٣) الثبات النسبى للسمات (الصفات) : وهذا يؤكد أهمية الصفات التى لها صفة الدوام النسبى فى الحكم على الشخصية . مثل الذكاء والقدرات الخاصة (المواهب) وهيئة الجسم والأسلوب التكيفى العام . الخ علما بأن الشخص الذى يوصف بالأمانة مثلا ليس الشخص الذى يتصرف بأمانه فى جميع المواقف ، بل فى أغلبها ، وفى ظروف أتيح له فيها أن يكون غير أمين وأصر على أمانته .

(٤) الصفات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية : هذا التكوين الرباعى مهم فى الحكم على الشخصية ، وتغافل عنصر يجعل فهمنا للشخصية قاصراً . فالطبيب يركز على حالة الجسم الصحية ، والاخصائى النفسى يهتم بالجانب العقلى والانفعالى ، والاخصائى الاجتماعى يهتم بالجانب الاجتماعى ، أما الصورة الشاملة الكلية الدقيقة تظل مرهونة بتكامل كل جهود المختصين ، وهذا ما يتبع فى العيادات النفسية ، وفى أسلوب دراسة الحالة فى الخدمة الاجتماعية .

(٥) الشعور واللاشعور : ويمكن الكشف عن اللاشعور بالطرق الاسقاطية والتداعى الحر وتفسير الأحلام فى التحليل النفسى .

(٦) التمايز والانفرادية: إشارة إلى أنه لا يوجد إثنان متشابهان تشابها كاملا . والمدلول العملى لهذا المبدأ يجعلنا لا نحكم على الحقائق الموضوعية بمعزل عن الحقائق السيكولوجية السابقة الذكر . وعليه يجب ألا نكتفى باستنتاجات عامة عن الحقائق الموضوعية للحكم على شخصية فرد ، مثل المرض والعجز والفضائح الاجتماعية والكوارث الاقتصادية ، ولكن يجب أن نبحث عن رد فعل الفرد (الحقائق السيكلوجية) إزاء هذه الكوارث ، فهنالك فرق جوهرى بين اليائس والمتحمس ، القدرى والمكافح ، الهارب والصامد . الخ .

(٧) الأسلوب التكيفى العام مع البيئة : إشارة إلى أن أبرز سمات الشخصية التى تميز الفرد عن غيره تمييزا واضحاً هو أسلوبه الخاص الغالب فى حل المشكلات وفى تعامله مع بيئته المادية والاجتماعية . وهذا الأسلوب يمكن تحديده بواسطة المقابلات والأساليب الإسقاطية واختبارات المواقف العملية . . . الخ .

هذا ويجب أن نضع في اعتبارنا أن كل فرد له شخصية ، ومن الخطأ أن نقول إن فلانا (ليس له شخصية) إذ أن هذا التعبير لا يعبر عن المعنى المقصود وهو أن فلانا مفكك الشخصية أو له شخصية ضعيفة . وهذه بديهية لأنه لا يوجد إنسان يعيش فى فراغ ، وطالما كل إنسان تفاعل مع بيئة عاش فيها ، فاذن قد تعلم أساليب سلوكية معينة تميزه عن غيره وإذن تكون له شخصية على درجة معينة من السواء أو اللاسواء .

(٤) بناء الشخصيه مع امثله تطبيقيه من مجال الخدمه الاجتماعيه

Personality Make - up

حتى يمكن معرفة كيف تتكون الشخصية وتنمو نستعرض أهم مواطن الاهتمام فى البحث الاجتماعى لشخصية الحدث الجانح فى الوحدة الاجتماعية.

وأهم مواطن الاهتمام هى :

(أولا) : دراسة الانحراف نفسه.

(ثانيا) : دراسة بناء شخصية الحدث ، ومعنى ذلك تحديد كيف تفاعلت العوامل الداخلية الشخصية جسمية ونفسية وعقلية واجتماعية ، مع العوامل الخارجية البيئية ، أسرية ومدرسية ومهنية ومجتمعية ، حتى حدث هذا النمط المعين من الانحراف.

(أولا) : دراسة الانحراف :

من حيث نوع الانحراف ، وهل هو عارض أم متكرر ، منتشر فى عائلة الحدث أم لا ، تم بتخطيط سابق أم لا ارتكب بالمشيئة أو بالتورط.

وكذلك تفسير الحدث للسلوك الذى صدر منه ، ورأى الأسرة فى انحراف الطفل. وتتبع الانحراف إلى الوقت الذى بدأ فيه والظروف التى أحاطت به ، ونوع المشكلات الأخرى التى ترتبت على الانحراف ، والطريقة التى عولج بها.

(ثانيا) : دراسة تفاعل العوامل الشخصية والبيئية :

العوامل الشخصية : (جسمية — عقلية — وجدانية — اجتماعية).

النواحي الجسمية :

يلاحظ الأخصائي ما يبدو على الحدث من مظاهر الصحة والمرض والعاهات ومدى تناسق بناءه الجسمي العام ومدى حيويته ونشاطه أو خموله ثم يشفع رأيه بتقرير الطبيب الذى قام بفحصه .

النواحي العقلية :

يصف الأخصائي مقدرة الطفل على التعبير وقدرته على التفكير ، كما يتناول مستواه الثقافي وحالته المدرسية ، ثم يشير إلى تقرير الأخصائي النفسي أو مختبر الذكاء والمواهب وكذلك المعلومات المستقاة من البطاقة المدرسية .

النواحي الوجدانية :

يركز الاخصائي ملاحظته الخاصة على خصائص الطفل الانفعالية كما ظهرت فى المقابلات والزيارات وتقرير السلوك والشخصية لدار الملاحظة ، ويصف ما قد يبدو عليه من عدم التوافق بين المنبهات الانفعالية والاستجابات الانفعالية ، ومدى سرعة الانفعال وقوته ومدته وتقلباته والانفعال السائد عنده بما يجعل الطفل مختلفاً بدرجة كبيرة عن الطفل العادى فى مثل سنه .

كذلك ما يظهر على الطفل من تعبير عن ألوان الحرمان المادى والنفسى والظلم والفشل فى حياته ، والمشاعر العدائية لبعض الموجودين فى بيئته ، ثم يشير الإخصائي إلى تقرير الطبيب النفسى الذى اختبر الطفل .

النواحي الاجتماعية :

ينصب على نمط علاقاته مع غيره سواء مع الأفراد أو الجماعات فى مثل سنه أو أكبر منه أو أصغر منه ، وأهم هذه الجماعات الأسرة والمدرسة وجماعة

العمل ، وجماعة الرفقاء والأصدقاء أثناء شغل وقت الفـــراغ ، والمجتمع المحلى فى الحى الذى يقطن فيه .

ويظهر ذلك من تقرير السلوك والشخصية فى دار الملاحظة ، ومن زيارات الأخصائى الاجتماعى لهذه الجماعات المختلفة التى يظهـــر فيها مدى تعاونه وطريقة تنافسه وقيادته أو تبعيته ، ونمط صداقته ، ومدى تحمله للمسئولية بمفرده أو داخل الجماعة ، ومدى احترامه لرأى الغير ، وميوله للمبادىء الديمقراطية ، واحترامه للسلطة سواء السلطة الأسرية أو المدرسة أو المهنية ، أو المجتمعية . . . الخ .

العوامل البيئية الخارجية :

تتكون من الأسرة والأوساط الخارجية التى ينتقل بينها فيهتم الأخصائى بتكوين الأسرة ومدى تماسكها وتفككها ، و حالتها الاقتصادية وأثر هذه الحالة فى أفرادها ، ومدى الحرمان المادى الذى يتعرضون له بسببها ، ثم الحالة الصحية للأسرة عموماً ، وطريقة معيشتها واتساع المسكن بالنسبة لعدد أفرادها ، كما تدرس حالة الأسرة الاجتماعية والثقافية بما فيها من تقاليد وعادات وضوابط اخلاقية واحترام للمثل العليا ، وميول ثقافية ، وما وصل إليها أفرادها من التعليم .

ويركز الإخصائيون بصفة خاصة على الجو العاطفى فى الأسرة خاصة العلاقات الزوجية والوالديه والأخوية ، ومدى قيام كل من الوالدين بدورهما كمصدر للرزق ، أو ملجأ للحب والعطف والحنان ، أو كمنبع للأفكار الاجتماعية ، أوكمصدر للرقابة والسلطة .

أما البيئة خارج المنزل فأهمها بيئة المدرسة ومكان العمل ان وجد ، والأمكنة التى يرتادها للترفيه وقضاء وقت الفراغ ، والنواحى الثقافية التى تسود مجتمع

الطفل وتؤثر فيه ، والعادات والتقاليد والمستويات الأخلاقية التى يعيش فيها الطفل فى المجتمع المحلى أو المجتمع الأكبر والتى يحتمل أن تكون قد ساعدت على تكوين وتثبيت الاتجاهات المنحرفة ، ويجب أن نضع فى الاعتبار هنا أن التوسع أو التعمق فى دراسة شخصية العميل أمر يحدده الوزن النسبى للعوامل المختلفة المساهمة فى التشرد أو الجناح .

فاذا أشار الفحص الطبى أن للحالة الصحية دخلا كبيرا فى حدوث الانحراف تعمق الإخصائى فى التاريخ الصحى للطفل بما فيه من أنواع العلل والنكسات والمضاعفات وما ناله الطفل من عناية وعلاج فى كل حالة ، وفى ظل هذه المعلومات تبدو حاجة الطفل إلى العلاج الطبى جليـــة .

وإذا دلت الاختبارات العقلية على نقص فى نسبة ذكاء الطفل عن (٧٠ درجة) أعطى الاخصائى الاجتماعى لهذه الناحية عناية خاصة . وكذلك بحث العمر التحصيلى ، والنسبة التعليمية ، وحاول أن يربط بين الضعف العقلى ومدى استغلاله بواسطة الآخرين الأذكياء لجـــره إلى الجريمة ، كذلك يوضح الاخصائى مظاهر الذكاء المحدود فى أسرة الحدث . . . الخ .

وإذا كانت المشكلة كما جاء فى تقرير الطبيب النفسى نفسية فى المقام الأول فلابد أن يوجه الاخصائى الاجتماعى بحثه ويحاول الحصول على التاريخ الاجتماعى النفسى . وهل هناك شذوذ وراثى أم لا ، وظروف الحمل والولادة ، ثم التدريب على العادات البيولوجية (التغذية والفطام والتبول والتبرز والنوم) والتدريب على الحياء الجنسى وضبط المشاعر العدوانية ، والحرمان من الحب الأمومى ، والموقف الأوديبى ، والصدمات الانفعالية فى الطفولة المبكرة ، وكذلك أنواع الصد والحرمان والإذلال التى حدثت فى الفترة بين الطفولة .

المبكرة والرشد ، ثم الظروف الاحباطية الأخيرة التى اندلع فى أعقابها الجناح وهكذا نحدد الأسباب الممهدة والمعززة والمعجلة للانحراف .

وإذا كانت المشكلة اجتماعية فى المقام الأول فلابد من التركيز على نمط معاملة الوالدين للطفل ، أو سوء القدوة ، داخل الأسرة وخارجها، ومدى انتشار وسائل اللهو الرخيص والخرابات ومدارس النشل وتأثير الكبار والرفاق والعادات والتقاليد الاجرامية المنتشرة فى الحى أو فى المجتمع بصفة عامة . . الخ ويلتجىء الاخصائى الاجتماعى فى دراسة بناء شخصية العميل إلى جميع الأساليب الدراسية المعروفة من مقابلة الحدث وأسرته فى المنزل أو فى المؤسسة ، وكذلك مقابلة رفاقه إلى زيارة مدرسته ومحل عمله ، إلى الاتصال بمصادر المعلومات ، إلى الاطلاع على المستندات وما إلى ذلك مما يجده مناسباً لظروف الحالة .

ويسترشد الأخصائى الاجتماعى فى عمله بالتقارير التى يحصل عليها من من الاخصائيين الذين فحصوا الحدث كالطبيب البشرى والطبيب النفسى والاخصائى النفسى وغيرهم .

ومما سبق نرى أن الإنسان كائن معقد يعيش فى بيئة معقدة ، لذا نجد أن الشخصية تنمو وتتكون نتيجة تتضافر عدة عوامل داخلية وخارجية . والحياة النفسية ليست من البساطة بحيث يكون تكوينها أو اعتلالها رهنا بحادثة واحدة أو صدمة واحدة ، أو عامل واحد جسمى أو عقلى ، أو وراثى فقط أو بيئى فقط . . . الخ .

تراءى لنا مما سبق نقاط رئيسية فى كيفية بناء الشخصية أهمها ما يلى :

(١) أن الشخصية تتكون من تفاعل عوامل بيولوجية مع عوامل اجتماعية والانسان يولد مزود بأنواع شتى من الاستعدادات الوراثية الجسمية والعصبية

والنفسية مثل الذكاء والمواهب والحساسية الانفعالية ، ودرجة الحيوية أو الخمول ، وقدرته على الاحتمال النفسى لضغوط البيئة ... الخ

تتفاعل هذه المعطيات الوراثية مع المعطيات البيئية فى شىء من المقاومة فالبيئة ليست حرة مطلقة فى تشكيل الشخصية كما يصنع المثال فى التمثال ، وليست الوراثة حرة مطلقة فى أن تحدد الشخصية بطابع دائم يتكون عند الميلاد وللأبد ، فنحن لا نرث مكونات شخصياتنا كما نرث الثروة من آبائنا وأجدادنا . وإذا كانت الوراثة تحدد الحد الأعلى لقدراتنا ، فان البيئة تحدد مدى استغلالنا لهذا الحد من القدرة . وإذا كانت الوراثة تلعب الدور الأكبر فى صفاتنا الجسمية والعقلية فان البيئة تلعب الدور الأكبر فى اكتساب صفاتنا الاجتماعية والخلقية والمعلومات والمهارات والاتجاهات العقلية والقيم والعواطف والميول والعقد النفسية والعادات وغيرها .

(٢) أن الشخصية تتشكل طبقاً لأسلوب الوسائط التربوية فى التنشئة الاجتماعية ، وأهم هذه الوسائط هى الأسرة والمدرسة والعمل والمؤسسة الدينية وبيئة شغل وقت الفراغ وبيئة المجتمع المحلى وبيئة المجتمع العام وما به من وسائل للاعلام وغيرها . وهذه الوسائط التربوية تقوم باعداد الفرد للثقافة التى يعيش فيها ، أى تقــوم بعملية التربية الخلقية والاجتماعية ، والمدرسية والمهنية والدينية حتى يتعلم الفرد الامتثال لمطالب المجتمع وهى عملية مستمرة من المهد إلى اللحد .

ومتى تكون الضمير أى السلطة الخلقية الدخلية للفرد يصبح حاملا لجزء كبير من المقومات الخلقية والاجتماعية للمجتمع الذى يعيش فيه ، ويتضح الإطار العام لهذا الضمير فى وقت مبكر ، ربما قبل دخول المدرسة . لذلك برزت الأهمية البالغة للاسرة فى تشكيل شخصية الفرد .

ولا شك أن الشخصية تتأثر إلى حد كبير إذا كان ضمير الفرد مشطط أو غائب أو نائم أو منحرف ينطوى على قيم شاذة .

كما تتأثر الشخصية إذا كانت أسرة الفرد فقيرة أو ميسرة ، محافظة أم مجددة ، مثقفة أو غير مثقفة ، متدينة أو م غير متدينة ، متماسكة أم مفككة ، حانية أم جافية ، مكتظة أم محدودة العدد .

وتتأثر الشخصية إذا كانت ثقافة المجتمع ديمقراطية أو دكتاتورية ، تعاونية أو تنافسية ، مادية أو روحية ، مسالمة أو عدوانية .

فالثقافة تؤثر فى نظرتنا للكون ، وفى طريقة تفـــكيرنا ، وفى تحديد المواقف التى تثير إنفعالاتنا ، وفى وسائل تعبيرنا عن هذه الانفعالات وفى تحديد الانفعالات السائدة عند أغلب الناس ، وفيما نتعلمه من المباح والمحظور والعدل والظلم والحق والباطل وتؤثر فيما تكتسبه من معلومات ومهارات واتجاهات عقلية نحو الناس والأشياء والمبادىء ، وتؤثر فى طرق ارضائنا لدوافعنا ، وفى الطرق التى يتبعها الوالدان فى تنشئة الأطفال وما يشوب هذه الطرق من تسامح أو تشدد ، تزمت أو تراخى . الرضاعة الطبيعيـــــة أم الصناعية ، أو يقوم الوالدان بتربية الطفل أو بدائل عنهما . . . الخ.

والتنشئة الاجتماعية فى ثقافة واحدة لا يجعل الناس متشابهون مثل نسخ الكتابة بالكربون ،ولكن نجد الثقافة تجعل كل شخص منا يشبه جميع الناس من بعض الوجوه ، ويشبه بعض الناس من بعض الوجوه ، ولا يشبه أحدا من الناس فى صفات أخرى غير موجودة فى الآخرين بنفس الشكل أو بنفس القدر أو مختلفة عن صفات الآخرين من حيث أسباب تكوينها يرغم تشابه مظاهرها .

والسبب فى هذا الاختلاف هو تأثر الشخصية بالثقافات الفرعية أى ثقافة الأسرة والمدرسة والمهنة التى يعمل بها الفرد وبيئة قضاء وقت الفراغ ونوعية أصدقائه ، ونوعية وسائل الإعلام فى المجتمع ، بل والبيئة الجغرافية التى نشأ فيها الفرد هل هى بيئة زراعية أم صحراوية ، ساحلية أم جبلية سخية الأمطار أم شحيحة المطر ، غنية أم فقيرة بالغلات الغذائية أو المعادن . . . الخ . فلقد دلت الدراسات الانثروبولوجية مثلا أن قبيلة الأرابش Arapesh فى غينيا الجديدة تعيش فى منطقة جبلية تكفل لهم الأمن من الغزو وتمدهم بما يكفيهم من الطعام ، لذلك ساهم هذا العامل الجغرافى مساهمة فعالة فى جعل الناس يتسمون بالوداعة والمسالمة وروح الصداقة بل يمقتون التنافس والتفاخر والخشونة ، وينبذون الشخص الغيور الطموح الذى يتطلع إلى التملك . أما قبائل الاسكيمو الذين يعيشون فى شبه جزيرة جرينلاند يعيشون فى ظروف جغرافية قاسية عنيفة بحيث لا يقوى على العيش إلا الأقوياء أما الضعيف أو المريض أو العاجز عن كسب قوته فمصيره الهلاك لذا كانت أظهر سمات شخصية الاسكيمو التحدى والتنافس والسيطرة والاعتماد على النفس والقدرة الكبيرة على تحمل المشاق .

وعلاوة على ما سبق تتأثر الشخصية بالدور الاجتماعى والمهنى الذى تتوقعه الثقافة من الفرد ، ومدى انسجام هذه الأدوار أو تصارعها .

مما سبق نرى أن الوراثة تقدم المادة الخام للشخصية وثقافة المجتمع تقدم القيم ومعايير الخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم ، والوسائط التربوية وأهمها الأسرة هى الصانع المكلف بتشكيل المادة الخام حتى يقترب من النموذج الذى ترتضيه الثقافة .

وحبذا لو ساعدت هذه الوسائط التربوية الفرد على أستدماج المعايير الثقافية على غير كره منه ، أو علمته كيف يحافظ على العناصر الثقافية الصالحة وكيف ينبذ العناصر الفاسدة ، وكيف يستقبل القيم الجديدة : خاصة قيم العلم والتكنولوجيا بقلب وعقل مفتوح طالما يسير هذا العلم في ركاب الايمان.

وهكذا نجد أن شخصية الفرد مرآة ينعكس عليها صورة التكوين البيولوجى والعقلى والنفسى للفرد ، وصورة الحضارة التى يعيش فيها ، فالعقل السليم لا يوجد إلا فى جسم سليم ومجتمع سليم .

(٣) ان سمات وخصائص شخصية الانسان تتكون وتنمو نتيجة تغيرات عملية النضج وتغيرات عملية التعلم . والنضج يؤدى إلى تغيير صفات الفرد الجسمية والحركية والعقلية والانفعالية بتغير السن أى بدون تدريب وسبب ذلك التطور التشريحى والفسيولوجى فى أجهزة الجسم خاصة الجهاز العصبى أما التعلم فهو تغير خصائص الفرد نتيجة التمرين والتدريب ، فتغيرات الجلوس والمشى والوقوف والجرى تغيرات نضج ، أما العزف على آلة موسيقية نتيجة تعلم .

وتغيرات النضج أساسها الوراثة أصلا ، أما تغيرات التعلم أساسها البيئة ولا شك أن التعلم مبنى على النضج ويكملان بعضها البعض ، فتقل فترة التدريب كلما زاد النضج ، كما أن التعلم قبل اكتمال النضج لا يؤدى إلا إلى تحسن طفيف ، بل أن الإكراه على التعلم قبل النضج يؤدى إلى أضرار جسمية وعقلية . كما أن التعلم الجيد هو ما بنى على الفترة الحرجة للنضج بلا تبكير ولا تأخير . فأفضل وقت لتعلم القراءة والكتابة مثلا هو عندما يبلغ العمر العقلى ما بين ست سنوات وست سنوات ونصف .

وكما يحدد العمر العقلى فترة النضج الحرجة أو فترة الاستعداد النضجى

لتعلم المهارات العقلية ، كذلك يحدد العمر التشريحي والعمر الفسيولوجي الاستعداد النضجي لتعلم المهارات الحركية .

ويقاس العمر التشريحي بفحص عظام رسغ اليد بأشعة أكس ،أما العمر الفسيولوجي فيمكن تحديده على أساس فحص المميزات الجنسية الرئيسية والثانوية مثل شعر العانة ودم الطمث ووقت البلوغ وغير ذلك .

ونحن نكتسب سمات الشخصية عن طريق التعلم بأوسع معانيه ،فنتعلم سمة الأمانة أو الصدق مثلا حينما ترتبط الأمانة بمواقف سارة (التعلم الشرطي) وتكف عن السرقة عندما ترتبط السرقة بمواقف مؤلمة . ونتعلم الاشتراكية حينما نقتنع بفائدتها للفرد والمجتمع (التعلم الصبرى)، ونتعلم السباحة بالممارسة عن طريق المحاولة والخطأ (التعلم بالمحاولة والخطأ)، وقد نتعلم السباحة عن طريق التقليد اللاشعورى لسلوك شلة الأصدقاء (المحاكاة) وقد نتعلم الرحمة نتيجة (المشاركة الوجدانية) للجماعة التى ينتمى عيها الفرد ، أو نتعلم الأفكار الاشتراكية عن طريق (الايحاء) أو تبنى أفكار الغير بلامناقشة أو روية .

وقد نتعلم عادة التدخين نتيجة (تقمص) شخصية الوالد أو المدرس أو الممثل الذى تعجب به .

وأخيرا قد نتعلم عن طريق (الإحباط) أى عن طريق الإعاقة والفشل والحرمان فنتعلم كيف نتغلب على هذه المشاكل ونستفيد من الخطأ فيكون من بعض الداء الدواء .

(٥) مكونات الشخصية

المكونات هى العناصر المتفاعلة التى يتكون منها الشخصية ، وينبغى على الأخصائى الاجتماعى أن يبين كيف تكونت هذه السمات فى ضوء دراسته لبيئة العميل الأسرية والمدرسية والمهنية والمجتمعية كما هو ثابت بالبحث الاجتماعى لشخصية الحدث الجانح السابق شرحه والذى يوضح ديناميكية الشخصية بتفاعل العوامل الذاتية والبيئية وفيما يلى نعرض هذه العناصر منفصلة للتوضيح النظرى فقط : —

(١) المكونات الجسمية :

لا شك أن التكوين الجسمانى يحدد مدى نشاط الفرد وقدرته على تحمل المجهود ويحدد نظرة الفرد لنفسه ونظرة الآخرين له . والفرد الذى يولد مريض أو مشوه تتبلور شخصيته فى اتجاهات معينة تخالف الاتجاهات التى تتبلور فيها شخصية الفرد السوى ، وأهم هذه المكونات الجسمية ما يلى :

- المظهر الجسمى العام من ناحية الطول والعرض والحجم وتناسق أجزاء الجسم .
- سرعة النمو الجسمى أو تأخره .
- الصحة العامة والمرض .
- سلامة الحواس أو العاهات .
- سلامة الجهاز العصبى والغدى وعملية الهدم والبناء .
- الحيوية والنشاط أو الخمول والكسل .

(٢) المكونات العقلية :

تتضح المكونات العقلية في بناء الشخصية فى النواحى الآتية :—

— الذكاء .

— الاستعدادات العقلية الخاصة (المواهب) .

— المستوى الثقافى العـام .

— المستوى الثقافى الخاص .

الذكاء :

المكونات العقلية خاصة الذكاء هى سلاح الشخصية فى النجاح الدراسى والمهنى والاجتماعى ومصدر احترام الفـرد لنفسه واحترام الغير له وعلو مكانته الاجتماعية بين أترابه . والثقة فى نفسه واعتماده على نفسه .

ويظهر أثر الذكاء كما عرفه (ستودارد) فى قدرة الفرد فى معالجة الأعمال التى تتميز بالصعوبة والتعقيد والتجريد والهادفية والاقتصاد فى الفكر والمجهود . وبمعنى آخر يظهر أثر الذكاء فى ثلاث نواح هامة هى : —

— القدرة على التكيف أى مرونة الشخصية فى تغيير السلوك بما يتلائم مع تغير الظروف البيئية .

— القدرة على التعلم وتحصيل المعارف والمهارات والاتجاهات العقلية .

— القدرة على معالجة المجردات أى الرموز سواء أكانت لفظية أو رقمية أو إشارية .

والذكاء قدرة عقلية فطرية عامة كما عرفه (بيرت) Burt أى أنه استعداد للتفوق فى النواحى النظرية أكثر من النواحى العملية الحركية ، وكونه فطرى يشير إلى تأثره بالوراثة أكثر من البيئة ، وكونه عامل عام

أى استعداد يؤثر فى النجاح فى جميع قدرات الانسان وأوجه نشاطه . ولقد دلت البحوث الاحصائية على أن توزيع الذكاء فى بنى الانسان يتبع بصفة عامــة المنحنى البيانى الجرسى (الاعتيادى) حيث نجد الأغلبية فى وسط المنحنى من العاديين فى الذكاء ثم يتدرج التوزيع على الجانبين إلى أن نجد العباقرة فى طرف و ضعاف العقول فى الطرف الآخر .

وطبقاً للدراسات (ترمان) نوضح فيما يلى توزيع الأفراد فى طبقات الذكاء المختلفة :

مراتب الذكاء	نسبة الذكاء	نسبة عدد الأفراد
عبقــــرى	١٤٠ فأكثر	,٢٥ ٪
ذكى جـــداً	١٢٠ — ١٤٠	٦,٧٥ ٪
ذكــــى	١١٠ — ١٢٠	١٣,٠٠ ٪
عادى أو متوسط الذكاء	٩٠ — ١١٠	٦٠,٠٠ ٪
غـــبى	٨٠ — ٩٠	١٣,٠٠ ٪
غـبى جـــداً	٧٠ — ٨٠	٦,٠٠ ٪
ضعيف العقــــل	أقل من ٧٠	١,٠٠ ٪
		١٠٠,٠٠ ٪

ويمكننا أن نلمس أثر عامل الذكاء فى الشخصية بوضوح أكثر بدراستنا لشخصية العباقرة — أى من وهبوا كمية كبيرة من الذكاء (نسبة ذكاء ١٤٠ فما فوق طبقاً لترمان) . وكذلك من وهبوا كمية قليلة من الذكاء وهم ضعاف العقول (نسبة ذكاء ٧٠ فأقل) .

ومن أهم الدراسات التى تفيدنا فى دراسة شخصية العبقرى تلك التى قام بها

(جولتون) Golton. . (وكاترين كوكس) Cthárine Cox فى تتبع مشاهير الرجال ، وكذلك البحث الذى قام به (ترمان) Terman لتتبع حياة (١٤٥٠) طفلا من أطفال المدارس الأمريكية المختلفة الذين حصلوا على نسبة ذكاء (١٤٠ وأكثر) تجعلهم فى مصاف العباقرة وبدأ هذا البحث فى سنة ١٩٢٢ ومازال التتبع مستمراً حتى الآن .

وقد أثبتت هذه البحوث عدم صحة الفكرة السائدة وهى أن الأشخاص الموهوبين وذوى العقليات الفذة يكونون ضعيفى الجسم أو عصبيين أو غير ثابتين من الناحية المزاجية . بل أن العكس هو الصحيح حيث أن القوة والصحة الجسمية وكذلك الصفات المزاجية والخلقية فى الأذكياء والعباقرة تفوق تلك التى توجد فى الأغبياء وضعاف العقول .

كما أن المصابين بالجنون ونسبة الطلاق فى المتزوجين من الأذكياء والعباقرة أقل منها فى العاديين وضعاف العقول .

وما يقال أحياناً من أن هناك صفات مشتركة بين العباقرة ومرضى النفوس ، مثل شدة الحساسية الانفعالية وضعف التحكم الانفعالى والاسراف فى الخيال أمر يفتقر إلى السند العلمى .

وما يلاحظ على العبقرى أحيانا من هذه الصفات فيكون مرجعها إلى ضيقه من النظم التعليمية التى وضعت لتلائم العاديين لا العباقرة ، كذلك ينشأ هذا الضيق والتوتر من فضول الناس وكثرة مراقبتهم وملاحظاتهم للعبقرى من قبيل حب الاستطلاع ، كما يميل البعض إلى مضايقته أحيانا كرد فعل لمشاعر النقص الذى يثيرها العبقرى فى نفوسهم مما يجعله نافذ الصبر سريع الانفعال .

أما كثرة السرحان والخيال التى تبدو على العبقرى أحيانا مرجعها ميله للتركيز العقلى الشديد فيما يفكر فيه من مشكلات صعبة .

ولعل أهم ما يدل على أثر الذكاء فى الشخصية ما وجده ترمان من أن نسبة المشتغلين باعمال مهنية وراقية بين مجموعته ٥٠٪ ، ٣٠٪ يشتغلون بأعمال قريبة من الراقية ، وهذه النسبة تبلغ ستة أضعاف نسبة الأفراد العاديين .

ومن الثابت أن جميع من وصلوا إلى الشهرة والتفوق كانوا من بين من ظهرت عليهم علامات النبوغ والعبقرية فى طفولتهم ، ولكن بعض من أثبتوا الذكاء العالى فى طفولتهم اضطرتهم ظروف حياتهم بعد ذلك للاشتغال بأعمال بسيطة لا تحتاج لذكاء رفيع كالأعمال الكتابية مثلا . ومرجع ذلك للاختلافات الفردية بين هؤلاء الأشخاص فى مكونات الشخصية الأخرى سواء أكانت مزاجية أو اجتماعية رغم تساويهم مع غيرهم فى الذكاء العالى . ومن أمثلة ذلك عدم تساوى الفرص بين الرجال والنساء واضطرار كثير من السيدات للتفرغ للشئون المنزلية مما يمنعهم عن التفوق والشهرة فى ميادين الحياة العامة الظاهرة . لهذا يعزى نقص ظهور المشاهير والمتفوقين من النساء فى العلم والأدب والفن لعدم توافر الفرص لا لعدم وجود المواهب .

وقد وجد (ترمان) أن يرغم تساوى مجموع أفراد مجموعته فى الذكاء الرفيع فان النجاح فى الحياة الزوجية يختلف بينهم بحسب الاختلاف فى التكوين الانفعالى والعادت الخلقية .

وظهر ان عوامل اخرى لازمة للابداع والخلق الذى يعتبر أساس العبقرية وليس مجرد الذكاء الرفيع — ومن أهم هذه العوامل سمات شخصية أهمها : المثابرة والقدرة على الاستمرار فى العمل رغم صعوبته والثقة بالنفس ، والقدرة على التركيز الذهنى والانتباه الشديد ، والطموح ووضوح الهدف ، والتحرر من الشعور بالنقص والرغبة فى التفوق ...الخ

ويرى (هولنجورث) أن المثابرة هى أهم سمات الشخصية التى تظهر

الذكاء الرفيع والذى لا يقل من وجهة نظره عن (نسبة ذكاء ١٨٠ وليس ١٤٠ كما ذكر ترمان) . وأن العبقرية ليست مجرد ذكاء رفيع ، بل عملية خلق وابداع والاتيان بفتح جديد فى ميدان التخصص العلمى أو المهنى للعبقرى .

ووجود الموهبة الابتكارية شرط ضرورى أيضاً لبلوغ مرتبة العبقرية وهذا الاستعداد الفطرى للتفوق له مجالات وأنواع متعددة مثل الموهبة اللفظية ، والرقمية ، والميكانيكية ، والفنية ، والاجتماعية .. الخ .

وعلاوة على ما سبق نجد أن وجود الانفعال الشديد نسبيا يلهب دافع الحاجة للتحصيل والتفوق وهذا الانفعال نابع إما من إعاقة العبقرى عن تحقيق أهدافه فى نواحى تفوقه ، أو من الصراع النفسى الذى يمر به العبقرى من جراء ميله إلى تصديق من سبقوه من العلماء الكبار ، وميله إلى معارضتهم ومخالفتهم فى النواحى الجديدة الأخرى التى تكشفت له .

ومن أمثلة المعوقات التى لاقاها العباقرة قبل الوصول إلى اكتشافاتهم العالم بسكال (Pascal) الذى حرمه أبوه من كتب الرياضة حتى يتفرغ لدراسة اللاتينية والاغريقية ، ولكن بسكال عصى وتمرد وتعذب حتى تمكن سراً من أن يكون لنفسه نوعا خاصا من القواعد الهندسية أمكن بواسطتها من أن يدرس النظريات الهندسية الاقليدية حتى نظرية (٣٢) .

ولقد لاقى أيضاً فرادى (Faraday) من المشقة الكثير حتى أرغم على ترك المدا سة فى سن (١٣) عاما واشتغل صبياً فى مصنع لتجليد الكتب ، وميله الشديد للعلوم خاصة الكهرباء كان يدفعه للاستغراق فى قراءة الكتب العلمية فى الكهرباء التى كان يقوم بتجليدها ، وظل على هذا الحال سنتين إلى أن ساقت الظروف له شخصية كبيرة حانية شجعته وشدت من أزره

هو (السير همفرى دافى) Humpherey Davy ونتيجة هذا التوجيه والإرشاد ظهرت عبقرية فرادى واكتشافاته فى عالم الكهرباء .

وفى كلمة نقول إن :

العبقـــرية = ذكاء رفيع + موهبة + سمات شخصية أهمها المثابرة والطموح + انفعال شديد يلهب الحاجة للاختراع + وظروف بيئية مواتية خاصة لو تبنى العبقرى مثل أعلى .

والعبقرية ليست مجرد ذكاء رفيع بل عملية ابداع وخلق أو اكتشاف تركيبة جديدة من عناصر موجودة من قبل تدفع بالعلم والتكنولوجيا قدما للأمام .

أما شخصية ضعيف العقل فهى شخصية عاجزة قاصرة عن التعليم الدراسى والمهنى والتكيف للمواقف البيئية الجديدة نظرا لنقص ذكائه ، فالمعتوه مثلا وهو أدنى طبقات الضعف العقلى لا يزيد عمره العقلى عن ثلاث سنوات مهما بلغ عمره الزمنى ونسبة ذكائه (٢٥) فما دون ، وهو غير قادر على حماية نفسه من الخطر وخطر على غيره . وغير قادر على التفاهم مع غيره لغويا وعاجز عن التعلم لذلك يجب عزله ورعايته فى مستعمرات خاصة .

أما الأبله وهو من يبلغ نسبة ذكائه من (٢٥ — ٥٠) فلا يزيد عمره العقلى عن سبع سنوات مهما كان عمره الزمنى (عمره العقلى من ٣ سنوات حتى ٧ سنوات) وهو عاجز عن الارتزاق وتعلم القراءة والكتابة ولكن مع التدريب يمكن أن يحمى نفسه من المخاطر ، ويجب عزله ورعايته فى مستعمرات خاصة أيضاً .

أما المورون وهو أعلى طبقات الضعف العقلى ، هو من تبلغ نسبة ذكائه من (٥٠ إلى ٧٠) وعمره العقلى يتراوح من (٧ سنوات حتى ٩ سنوات)

مهما كان عمره الزمنى وبالتدريب يمكن أن يتعلم القراءة والكتابة حتى مستوى السنة الثانية أو الثالثة الابتدائية ولكن فى مدارس خاصة وبطريقة خاصة تعتمد على المشاهدات الحسية أكثر من معالجة المجردات، وتسمى هذه المدارس بمدارس التربية الفكرية . ويستطيع المورون أن يحمى نفسه من الأخطار وكذلك يستطيع الارتزاق بتعلم عمل روتينى حركى مثل الحملى والجر والتعبئة أو بعض أعمال النظافة وما إلى ذلك.

الاستعدادات العقلية الخاصة (المواهب) Special Aptitudes :

- **الموهبة** معناها الاستعداد الفطرى الكامن لدى الفرد الذى يمكنه من النجاح والتفوق فى مجال معين إذا توفر له التدريب اللازم مثل الموهبة اللفظية أو العددية أو الفنية . . . الخ .

أما **القدرة** Ability هى الاستعداد الفطرى أو المكتسب الذى يمكن الفرد من النجاح والتفوق فى مجال معين فى اللحظة الراهنة سواء قبل التدريب (فطرى) أو بعد التدريب (مكتسب) . ومعنى ذلك أن القدرة قد تكون فطرية مثل القدرة اللفظية أو الفنية ، أو تكون مكتسبة مثل القدرة على الضرب على الآلة الكاتبة أو العزف على آلة موسيقية ... الخ. وعلى ذلك تكون كل موهبة قدرة ، ولكن ليس كل قدرة موهبة . ويلاحظ أنه من الجائز أن يكون لدى الشخص استعداد قوى فى ناحية معينة ولكنه لا يستغل هذا الاستعداد لأن البيئة لم تهىء له الفرصة للافادة والانتفاع به فيكون عنده الاستعداد (الموهبة) ولا توجد عنده القدرة .

وأهم المواهب هى ما يلى :

١ — الموهبة اللغوية Verbal Aptitutde (V.)

٢ — الموهبة العددية Numerical Aptitude (N.)

٣ — الموهبة الميكانيكية (M.) Mechaniical

٤ — الموهبة الفنية (A) Artistic Aptitutde

٥ — الموهبة الموسيقية " Musical

٦ — الموهبة الكتابية " Clerical

٧ — الموهبة البدنية الحركية Physical & Motor Aptitutd

٨ — موهبة التفكير المنطقى (R) " Reasoning

٩ — موهبة الذاكرة " Memory

١٠— موهبة الإدارك السليم (P) Perceptual

١١— الموهبة الاجتماعية " Social

١٢— موهبة القصور الذاتى السريع " Perseveration

١٣— الموهبة الأكاديمية " Academic

(١) الموهبة اللفظية (اللغوية) وهى تبدو فى سرعة ودقة فهم الألفاظ والجمل وسهولة التعبير الشفوى والتحريرى اللغوى ، ومدى فصاحة الفرد وما عنده من ثروة لغوية وحسن استخدامها . وهذه الموهبة مهمة للنجاح فى مهنة التدريس والوعظ والمحاماة وغيرها .

(٢) الموهبة العددية : وتبدو فى قدرة الفرد على اجراء العمليات والمسائل الحسابية والتفكير الحسابى فى سهولة ودقة وسرعة ، وهذه الموهبة مهمة للنجاح فى تدريس مادة الرياضة والاحصاء وغيرها .

(٣) الموهبة الميكانيكية : وتبدو فى قدرة الفرد على فك وتركيب وفهم العلاقة بين أجزاء آلات سهلة وشائعة فى البيئة التى يعيش فيها مثل جرسى الدراجة ، مزلاج الباب ، طبلة الباب ، مصيدة الفيران ، مفرمة اللحمة ، أجزاء النورج أو الساقية (عند اعطاء نموذج مصغر من النورج

أو الساقية وغيرها . والقدرة الميكانيكية مركبة عدة قدرات أهمها التصور البصرى Visualization ومعناه القدرة على تصور ما ستؤول إليه وضع آلة معينة بعد دورانها فى جهة خاصة أو بزاوية خاصة . وفى الغالب يعطى للمفحوص صورة الآلة مرسومة على ورقة ثم يطلب منه تحديد ما ستؤول إليه وضع الآلة بعد دورانها إلى اليمين أو الشمال . . . الخ .

وكذلك القدرة على إدراك العلاقات المكانية Spatial Perception

وتبدو فى قدرة الفرد على تقدير المساحات والحجوم والمسافات والأشكال وكذلك تجميع شكل معين من أجزائه المتناثرة وملاحظة ما بين الأشياء من تشابه أو اختلاف .

والقدرة على معرفة المعلومات الميكانيكية Mechanical Information وتبدو فى إلمام الفرد بالأدوات الميكانيكية السهلة الشائعة فى المهن المختلفة فى بيئة الفرد مثل بعض أدوات النجار والحداد والكهربائى وغيرها .

ثم اللباقة اليدوية والرشاقة الأصبعية وتبدو فى سهولة وسرعة ودقة استخدام الأيدى والأصابع ، وفى اتزان وثبات الأيدى فى حركتها وفى التقاط الأشياء . والموهبة الميكانيكية مهمة للنجاح فى المهن الهندسية وبالنسبة للصناع المهرة . وجدير بالذكر أن موهبة التصور البصرى قد اكتشفها العالم النفسى المصرى الدكتور عبد العزيز القوصى مستخدماً طريقــة التحليل العاملى الاحصائية وأثبت مدى أهميتها البالغة للنجاح فى الهندسة . وهى عامل أساسى فى اختبارات القدرات العقلية التى تستخدم فى انتقاء أصلح الطلاب المستجدين فى كليات الهندسة فى جميع انحاء العالم ، ومع ذلك وبكل أسف وأسى وألم لا نستخدم ولا نهتم بهذه القدرات فى عمليــة التنسيق بعد الثانوية العامة وكم يتشدق المسئولون بعبارة محفوظة « ليس هناك بديل عادل لمجموع الدرجات فى

الثانوية العامة » وبذلك اكتسب مجموع الدرجات هالة ضخمة هولت من حجمه كثيرا وهونت من المواهب والميول وكلها مجتمعة مع مجموع الدرجات عوامل مترابطة مسئولة عن النجاح فى أى كلية دراسية ، وترتب على ذلك أن تضخم الخوف من المجموع تضخماً سرطانياً خبيثاً وخر كثير من فلذات أكبادنا صرعى وتهاوت صحتهم النفسية تحت ضربات عقدة المجموع وعصاب الثانوية العامة ! !

(٤) الموهبة الفنية : وتبدو فى قدرة الفرد على معالجة العناصر الجمالية بنجاح ، كالقدرة على اكتشاف عناصر الجمال والقبح فى صور معينة، أى اصدار حكم جمالى سليم Aesthetic Appreciation ، وكذلك القدرة على النحت والرسم أو الزخرفة مع مراعاة تناسب المساحات والأحجام والظلال والألوان والبعد والقرب والشكل والأرضية وغيرها مما يعكس تذوق الجمال وتقدير الجمال وخلق الجمال .

(٥) الموهبة الموسيقية : وتبدو فى القدرة على النقد وتقدير جمال القطع الموسيقية ، وتمييز النغمات من حيث ترددها وذبذبتها ، وتذكر الأنغام ، وتحديد المسافات الزمنية بين الأنغام ، وتمييز شدة الصوت من حيث الارتفاع والانخفاض ، وتعرف الايقاع ، والتمييز بين المجموعات المتوافقة من الانغام، ومن أشهر اختبارات هذه الموهبة هو اختبار (سيشور) المسجل على اسطوانات الفونوغراف .

(٦) الموهبة الكتابية : وتبدو فى حسن الترتيب والتصنيف وتبويب وتنسيق الأشياء ، وسرعة الكتابة وحسن الخط ، والدقة والسرعة فى نقل الأرقام من الجداول ، والدقة والسرعة فى إجراء العمليات الحسابية البسيطة والصبر على احتمال العمل الآلى الرتيب .

وتتفوق البنات على البنين فى هذه الموهبة وكذلك فى الموهبة اللفظية ، بينما يتفوق البنين فى الموهبة الرقمية والميكانيكية .

(٧) الموهبة البدنية والحركية والحسية : وتبـــدو فى الكفاية الرياضية العامة والتنظيم الدقيق للنشاط الجسمى . وهى قدرة مركبة تتكون مـــن :

١) اللياقة البدنية وتبدو فى القوة والسرعة والجلد والرشاقة والسعة الحيوية (كفاءة الجهاز التنفسى فى بذل المجهود الجسمى) .

٢) المهارة الحركية Motor Skills وتبدو فى القدرة على اكتساب بعض الألعاب الرياضية مثل الجمباز أو السباحة وغيرها .

٣) الاتزان الحركى Motor Steadiness وتبدو فى الأداء الحركى الثابت الدقيق خصوصا فى حركات الدوران والمرجحة والشقلبة وغيرها .

٤) المهارة اليدوية Manual Steadiness كما تظهر فى استعمال اليد بسرعة ودقة وسهولة كما عند الصناع والمثالين المهرة .

٥) مهارة الأصابع Finger Dextcrity وتبدو فى استخدام الأصابع فى سهولة وسرعة ودقة . كما فى التقاط الكرة وتمريرها بكفاءة وتظهر فى أشغال الإبرة والرسم والعزف على الآلات الموسيقية وغيرها .

٦) التوافق بين اليد والعين ، أو القدم والعين كما تبدو فى التقاط الكرة وتمريرها وتصويب الكرة بالقدم بسرعة ودقة وتظهر أيضاً فى الرسم والكتابة .

٧) الموهبة السمعية البصرية (Andio - Vusual Ability) وتبدو فى حدة السمع والبصر وهى مهمة للنجــاح فى النشاط المدرسى والمهنى وغيرها .

وتقاس حدة السمع بحاكى أو فونوغراف متصل بسماعة توضع على الأذن وتتلى أرقام وألفاظ وجمل بأصوات مختلفة لرجال ونساء وأطفال ثم تنخفض تدريجياً حتى يصعب على الأذن العادية سماعها ويكتب الشخص ما يسمعه .

أما حدة البصر فتقاس باللوحة المعروفة ، أما اكتشاف عمى الألـوان (ضعف القدرة على تمييز الألوان) وعشى الليل (ضعف القدرة فى الضوء الضعيف) يمكن اكتشاف ذلك بقراءة أرقام مرسومة بلون مماثل للون الذى تحته على قرص من الورق فى دائرة متداخلة الألوان ويقدم للمفحوص لقراءتها فى الضوء العادى والضعيف .

(٨) موهبـة التفكير المنطقى :

وتتضمن القدرة على ذكر الأسباب أو التعليل ، والاستقراء أى الخروج بقاعدة معينة تربط بين عدة أمثلة أو أفكار ، والقدرة على الاستنباط أى استخلاص علاقات جديدة من قاعدة معروفة سلفاً .

وبصفة عامة تضم هذه القدرة إلى ما يلى :

أ — القدرة على التصميم أى رسم الخطط ووضع المشروعات

ب — القدرة المنطقية فى الاستقراء والاستنباط والتعليل .

ج — القدرة على الفصل أى الحكم فى المواقف المختلفة .

٩) موهبـة الذاكرة :

وتبدو فى قدرة الفرد على استرجاع المواد المحفوظة أو التعرف عليها .
وموهبة الذاكرة مركبة تتكون من : —

أ — الذاكرة القديمة والحديثة وتبدو فى تذكر الخبرات الماضية والحاضرة (تقسيم للذاكرة مبنى على عامل الوقت) .

ب — الذاكرة البصرية أو السمعية أو اللمسية (التقسيم مبنى على المصدر الحسى)

جـ — ذاكرة الألفاظ والأرقام والوجوه والصور وغيرها (التقسيم مبنى على المادة المراد تذكرها).

١٠) الموهبـة الإدراكيـة :

وتبدو فى سرعة تعرف الشخص على أوجه الشبه والاختلاف بين عدة أشياء أو رسوم وكذلك معرفة الجزء الناقص فى شيء ما أو رسم ما.

وهذه الموهبة هى أساس قوة الملاحظة.

(١١) الموهبة الاجتماعيـة :

وهى استعداد الفرد لفهم الناس والتأثير فيهم والتعامل معهم بنجاح وحل مشاكلهم وتنظيم جهودهم نحو الأهداف المشتركة.

وهذه الموهبة أساس النجاح فى مهنة الخدمة الاجتماعية والتوجيه والعلاج النفسى.

١٢) موهبـة سرعة القصور الذاتى :

وتبدو فى استعداد الفرد لسرعة أنهاء النشاط الفكرى أو الحسى أو الإنفعالى أو الحركى إذا انتهت موثرات هذا النشاط.

والأشخاص الذين يصعب عليهم انهاء فكرة أو موثر عاطفى أو نشاط حركى يشغلهم بعد زوال أسبابه نجد حياتهم مؤلمة.

١٣) الموهبـة الأكاديميـة :

وهذه القدرة تشمل عوامل فطرية ومكتسبة ،وتستخدم اختبارات هذه القدرة فى انتقاء الطلاب المستجدين فى الكليات المختلفة.

فمثلا اختبارات الموهبة الأكاديمية الطبية تشتمل على اختبارات تقيس الذكاء والتفكير المنطقى والتذكر البصرى بالاضافة إلى اختبارات تتصل

بمعلومات مكتسبة ضرورية للنجاح فى مهنة الطب مثل الطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء .

واختبارات الموهبة الأكاديمية الهندسية تشتمل على اختبــار للذكاء والموهبة الرقمية والتصور البصرى والموهبة الميكانيكية ، بجانب اختبارات تحصيلية فى مواد لازمة للنجاح فى كلية الهندسة مثل الرياضة بأنواعها ، والطبيعة والكيمياء ، وتسمى مجموعة الاختبارات مجتمعة بالبطارية .

القدرة الثقافية المكتسبة العامة والخاصة :

القدرة الثقافية العامة تتصل بمستوى استيعاب الفرد للمعلومات الشائعة فى بيئته فى مجالات متعددة ومن مصادر متعددة ، أما القدرة الثقافية الخاصة فتحدد بمجال واحد مثـل الثقافة النظرية ، أو الثقافة الاقتصادية ، أو الثقافة الفنية . . . الخ .

والمستوى الثقافى العـام يشمل أنواع مختلفة من الثقافات الخاصة يستخلص من مصادر متعددة مثل الأسرة والمدرسة والنادى ودار العبادة ومن جماعة الأصدقاء ومن وسائل الأعلام وغيرها . ولا شك أن الشخصية ذات المستوى الرفيع فى الثقافة العامة شخصية غنية مثل دائرة المعارف العامة قادرة على التجاوب والتكيف مع هيئات مختلفة وأوساط مختلفة وأنماط مختلفة من الشخصيات الأخرى ، والمستوى الثقافى العام مهم فى شغل الوظائف القيادية المختلفة .

كما نلاحظ أن نظرة الفرد للحياة وعلاقته مع الغير يتـأثر بمدى اتساع وعمق مستواه الثقافى الخاص، فالشخصية التى يغلب عليها الثقافة النظرية يغلب عليها النزعة المعرفية وتهتم بالبحث عن الحقيقة، وصاحبها

يرى أن السعادة فى الدنيا تتجلى فى البحث عن الحقيقة الموضوعية والنظرة العلمية فى حل المشاكل .

أما صاحب الشخصية الذى يغلب عليها الثقافة الاقتصادية فتغلب على نظرته للحياة النظرة النفعية ويهتم بجمع المال قبل أى شىء آخر ، ويبنى علاقته مع الناس على أساس مدى ما يستفيده منهم ، ولا يهمه المعارف والمعلومات أو حب الناس وما شاكل ذلك . وصاحب الشخصية التى يغلب عليها الثقافة الفنية . يهتم بالحصول على كل ما هو جميل سواء فى المجال المادى أو البشرى . ومغرم بالرشاقة والتنسيق والنظام والنظافة والترتيب وهو غالباً مرهف الحس ويغلب عليه حياة التأمل وحب العزلة .

وصاحب الشخصية التى يغلب عليها الثقافة الاجتماعية يهتم أساساً بحب الناس عطوفاً محباً للخير بعيداً عن الأنانية ولا يعجبه النزعات المادية .

وصاحب الشخصية التى يغلب عليها الثقافة الدينية يهتم أساساً بالتفكير فى عظمة الخالق والتعمق فى الدين والحرص على إقامة الشعائر والطقوس الدينية ويرى أن السعادة فى الدنيا تتلخص فى رضاء الله والسعى لتحقيق العدل والحق والخير والسلام .

وصاحب الشخصية التى يغلب عليها الثقافة السياسية فيهتم أساساً بالقوة والسيطرة وتحريك الغير وفق الإرادة ، ويرى أنه لا يوجد مفتاح آخر لحل أغلب المشاكل سوى القوة فى كل صورها سواء قوة الحجة أو قوة السلاح أو القوة الجسدية أو قوة المال أو قوة العائلة أو الطبقة وما إلى ذلك .

ويلاحظ أن المظاهر السابقة تنطبق على الحالات المتطرفة أما معظم الناس فهم خليط من هذه الأنواع كلها . كما يجب أن تضع فى الاعتبار أن الشخصية

لا يحددها العامل الثقافى العام أو الخاص فقط ولكن يحددها عدة عوامل متفاعلة عقلية وجسدية وانفعالية واجتماعية .

(٤) المكونات الانفعاليـــة :

المقصود بالانفعال – بصفة عامة – هو حالة التوتر فى الكائن الحى المصحوب بتغيرات فسيولوجية داخلية وتغييرات حركية أولفظية خارجية وتزداد شدة التوتر أو الانفعال كلما تعرض الفرد لمنبهات مفاجئة لم يستعد لها بنمط معين من الاستجابة ، وكذلك المواقف التى يزداد فيها الخطر على ذاته الجسمية والنفسية ، أو عند تحقيق الأهداف الجوهرية ، أو عند إثارة الدوافع كدافع الهرب المصحوب بالخوف ، أو دافع المقاتلة المصحوب بالغضب . أو عند إشباع الدوافع كما يحدث للفرد الجائع عند حصوله على طعام شهى .

والانفعالات إما سارة أو مؤلمة كالفرح والحزن ، أو بسيطة ومركبة كالغضب أو الغيرة ، والغيرة انفعال مركب يتضمن حب تملك المحبوب ، والغضب من المشاركة فى موضوع الحب ، والخوف من فقد موضوع الحب وكذلك القلق انفعال مركب من الخوف والضيق وتوقع الشر والفشل . أما الخوف بمفرده فهو انفعال بسيط .

والمواقف التى يتكرر ارتباطها بالسرور ينتج عنها عاطفة الحب ، والمواقف التى يتكرر ارتباطها بالألم ينتج عنها عاطفة الكره .

وتتبلور العواطف حول الأشياء كعاطفة حب الوطن وحول الأشخاص كحب الخطيب لخطيبته ، وحول المبادىء والأفكار كحب الاشتراكية والحرية والوحدة .

والعواطف أما مادية أو معنوية ، فحب نوع من الطعام عاطفة مادية أما حب الأفكار والمعتقدات أو حب العدل والحق والخير عواطف معنوية .

وحينما تزداد الشحنات الانفعالية فى عاطفة الحب زيادة كبيرة مسرفة تنقلب إلى هوى Passion ، الذى يجعل اهتمام الفرد مركزا فى المحبوب دون سواه فيصبح شارد الذهن مشتت الفكر فى دراسته وعمله وعلاقته مع أصدقائه ويضطرب نشاطه الذهنى و الحركى والحسى .

وكثيرا ما يرتبط الهوى بالتعصب أو التحيز Prejudice سواء فى الكراهية أو الحب ، وهو اتجاه عقلى جامد يصعب تغييره بالمنطق المستقيم ولا يقبل صاحبه ــ غالبا ــ الأدلة على الخطأ . وهنا يفقد الفرد ارادته ويصبح ألعوبة فى يد موضوع الحب ، لايرى فيه إلا المحاسن . ولا يقتنع أن به عيب واحد مهما كانت أدلة هذا العيب ، وكلما زادت قسوة المحبوب وهجرانه زاد خضوع الفرد وهوانه حتى يصبح ذليلا مستعبدا(كالنعجة الذبيحة التى تقول لجزارها احترس حتى لا ينجرح أصبعك) . والسبب فى ذلك أن العاطفة تتكون فى المقام الأول نتيجة ارتباط شرطى غير منطقى ، وهذا يحدث حينما يتكرر اقتران موضوع الحب بمنبهات صناعية متعددة فى أماكن لقاء المحبوب و زمان هذا اللقاء . وحينما يتعرض الفرد لهذه المنبهات الصناعية المكانية والزمانية يستجيب استجابة لا إرادية غير مسبوقة بروية وتفكير سابق للفعل . وقديماً استطاع العالم الروسى (بافلوف) أن يجعل الكلب يسيل لعابه حين سماع جرس أو رؤية مصباح كهربى (منبه صناعى)،وهذا الضوء أو الجرس سبق تكرار اقترانه بطعام الكلب (منبه طبيعى) وبالقطع ليست هناك علاقة منطقية بين طعام الكلب والجرس أو الضوء . أو بين الجرس والضوء وبين سيل لعاب الكلب . وهذا هو السبب فى تصادم التفكير المنطقى مع العاطفة المتضخمة حباً كانت أو كرها . وهذا ما يعبر عنه فى اللغة الدارجة بصراع القلب (منبت العواطف) والعقل (منبت التفكير المنطقى) . أو الشاعر ــ جراح القلوب ــ الذى يصف القلب المتقلب الذى يحكم ويتحكم رغم العقل والارادة.

وتضخم العواطف أو المبالغة الانفعالية يرتبط بتفكك السلوك وهزيمة الإرادة الانسانية ، وهذا هو السبب فى قول علماء النفس أن الانفعال (خادم مطيع وسيد مسىء). وإذا كان الاشباع العاطفى أو الحرمان العاطفى المبالغ فيه نقمة ، فان الاشباع العاطفى أو الحرمان العاطفى المعتدل نعمة . تماماً كتناول الطعام إذا بالغ الفرد فى تناوله يؤدى للتخمة ، وإذا زاد الجوع أصيب الفرد بانيميا ، والحرمان المعتدل فى الأكل كما فى صوم رمضان مثلا يريح المعدة ويزيد من درجة تحمل الفرد للجوع ومقاومة شهواته الغذائية .

ولولا المقاومة الجسمية والمعنوية ما كانت الإرادة ، ولولا الإرادة ما كانت الشخصية القوية ، ولولا الشخصية القوية ما كانت الصحة النفسية والحياة بدون تبادل عاطفة المحبة تصبح تعيسة موحشة كالصحراء الجرداء الخالية من الماء الذى يهب الحياة حتى لعود واحد أخضر ! !

ولقد اتفقت جميع مدارس علم النفس على أن الطفل قد يعانى من الفقر والقدوة السيئة وانقطاع التعليم وغير ذلك من المصاعب والظروف المهيئة للانحراف النفسى دون أن ينحرف نفسياً مادام الحب يسود الأسرة ويجمع بين الوالدين وبينه وبينهما . (وكذلك الحال فى الحياة الزوجية وجميع مجالات الحياة الهامة) .

فالحب حاجة نفسية رئيسية تدفع الانسان على أن يتعلق بسواه وحاجة أزلية إلى أن يتعلق سواه به ، وكثيرا ما كشف البحث النفسى لمن أنهارت صحتهم النفسية وتفككت شخصياتهم أو ناصبوا المجتمع العداء عن افتقارهم

إلى الشعور بأن هناك من يحبهم ويعنى بهم وعجزهم عن بذل العاطفة وتبادلها مع الآخرين .

ان العملة التى يعرفها الطفل فى عائلته هى التى سوف يتعامل بها فيما بعد مع المجتمع . والطفل الذى عومل فى قسوة وصرامة فلم يتدثر قلبه بدفء عاطفة الحب والحنان سوف تتجمد عواطفه وتتثلج مشاعره ، ولن يشب فى مستقبل حياته إلا انسانا متحجر الفؤاد فظا غليظ القلب ، لا يعرف الرحمة فإن احدا لم يعلمه اياها ! !

والتوافق بين العواطف المادية والمعنوية يلعب دورا رئيسياً فى النجاح الاجتماعى وتكامل الشخصية والصحة النفسية ، وهنا يستطيع الفرد أن يشبع حبه للمال أو الجنس أو الغذاء أو الأشياء مثلا بما لا يتعارض مع عواطفه المعنوية مثل حبه لله وحبه للناس وحبه للحق والخير والعدل ، أما إذا حدث شطط ومبالغة فى العواطف المادية أو المعنوية طغى نوع على آخر ومالت الشخصية والصحة النفسية للتفكك وساء التكيف الذاتى والاجتماعى للفرد .

ومن المكونات الانفعالية المكتسبة أيضاً — بجانب العواطف — العقد النفسية (Complex) وهى تنظيمات إنفعالية مؤلمة لا شعورية . أى لا يفطن الفرد إلى وجودها ولا يدرك صلتها بسلوكه . وفيها يندفع الفرد إلى سلوك شاذ على غير إرادته وتلقائياً بدون تفكير مسبق على الفعل ، وتنشأ هذه العقد النفسية — فى المقام الأول — من صراع عنيف مكبوت خاصة فى مرحلة الطفولة المبكرة .

وتسمى العقد باسم الانفعال الغالب فيها مثل عقدة الذنب وعقدة النقص وعقدة الغيرة ، أو باسم الموضوع الذى تتركز حوله ، مثل عقدة الأم وعقدة الأب . . . الخ .

ومن أمثلة العقد النفسية عقدة النقص (Inferiority Complex) ومن أعراضها الزهو الشديد والتظاهر بالشجاعة أو تكلف الوقار والميل الشديد لاسترعاء اهتمام الغير عن طريق التفاخر والتباهى والاختلاق أو عدم الاحتشام فى الملبس أو الكلام أو المشى .

وعقدة الأب (Father Complex) ومن أهم أعراضها التصادم مع السلطة فى كل صورها سواء أكانت السلطة الأسرية أو المدرسية أو المهنية أو القانون بوجة عام . وعقدة الأم (Mother Complex) ومن أعراضها الاتكال والالتصاق المسرف بالغير من ذوى السلطة ، والحب الاستحواذى الذى يأخذ ولا يعطى .

وعقدة أوديب (Oedipus Complex) — بالنسبة للرجل — ومن أهم أعراضها العجز الجنسى (العنه) . وحب النساء الأكبر من الفرد سنا والميل الشديد نحو المعاملة الأمومية من جانب الزوجة . وعقدة الكترا Electra — بالنسبة للمرأة — ومن أهم أعراضها البرود الجنسى . وحب الرجال كبار السن ، والميل الجارف نحو المعاملة الأبوية من جانب الزوج .

وعقدة الذنب Guilt Complex وتبدو فى الدافع القهـــرى لدى الفرد لعقاب الذات عن معاصيه الموهومة للتخلص من عذاب الضمير وقد يعض الفرد أنامله حتى تدمى أو يهمل واجباته المدرسية أو يرتكب ما يضر بسمعته أو لا ينتهـــز فرص الترقى أو يكثر الصدام بسيارته رغم مهارته فى القيادة . . . . الخ .

ومن المكونات الانفعالية المكتسبة أيضاً الاتجاهات العقلية Mental Attitude والاتجاه : استعداد نفسى مكتسب ثابت نسبياً لدى الفرد يتضمن حكم اما بالقبول أو الرفض أو التجاهل نحو فكرة أو شىء أو فرد أو جماعة من الناس .

ومن أمثلة ذلك الاتجاه العقلى نحو تعليم البنت أو عدم تعليمها ، أو نحو عمل المرأة أو بقائها فى البيت ، أو نحو تنظيم النسل ، أو نحو مجاراة الموضة أو فض غشاء البكارة بالأصبع ، أو ختان البنات ، أو نحو المعيشة فى المدن أو الريف ، أو اتجاه الأبيض نحو الرجل الأسود ، أو اتجاه الاهلاوى نحو الز ملكاوى . . . . الخ .

وكل اتجاه يهدف إلى قيمة معينة Value فالاتجاه الايجابى نحو الطقوس الروحية مثل الصلاة والحج والزكاة يهدف لتأكيد قيمة الدين . ورفض فكرة اللعب الخشن والتحايل على القانون لإحراز النصر الرياضى يؤكد قيمة الروح الرياضية وهكذا .

والاتجاهات العقلية السلبية جامدة لا تتغير على أساس المنطق أو شهادة الواقع وتصبح شخصية الفرد متحيزة متعصبة مندفعة اندفاعا أعمى لكراهية الفرد أو الجماعة التى نتعصب ضدها . لذلك نجد موجات العدوان العارمة فى الملاعب الرياضية ، وفى التمييز العنصرى والدينى والطائفى والطبقى .

وقد دلت الأبحاث على أن الأشخاص الذين يظهرون اتجاهات عقلية مطلقة فى أى من الطرفين (قبول تام ثابت أو رفض تام ثابت) نحو موضوع معين يتصفون بالانفعالية الشديدة وسرعة الحكم والمبالغة فى تقدير مواهبهم والثقة بأنفسهم . بينما الأشخاص المعتدلين فى أحكامهم والذين يميلون نحو الأخذ بأواسط الأمور تتميز شخصياتهم بالانفعالية المعتدلة والتروى فى أحكامهم والاعتدال فى تقدير مواهبهم والاتزان فى ثقتهم بأنفسهم .

أما الأشخاص المتقلبين فى اتجاهاتهم العقلية تقلباً شديدا يكونون غالباً من ذوى الشخصيات العصابية غير الناضجين انفعاليـا .

وكلما كانت فلسفة الفرد أو نظرته للحياة تؤكد القيم المادية والروحية

معا بلا طغيان نوع على الآخر كلما تضافرت اتجاهاته العقلية وتكاملت شخصيته وصحته النفسية . وكلما طغت القيم المادية على الروحية ساء توافق الفرد الاجتماعي واضطربت شخصيته وصحته النفسية .

ومن المكونات الانفعالية للشخصية بخلاف ما سبق الميول (Interests) وهو التعلق الواضح بشيء معين والاستمرار في الاهتمام به ، وغالباً مايكون موضوع الاهتمام دراسة معينة ، أو مهنة ، أو هواية مثل الميل لدراسة المواد التجارية أو الصناعية أو الزراعية ، أو الأكاديمية ، أوالميل نحو مهنة الطب أو المحاماة ، أو هواية الصيد أو القراءة أو جمع الطوابع البريدية . . . الخ . وتلعب الميول دوراً كبيراً في الاختيار والتوجيه المهني والتعليمي وهي قرارات مصيرية في حياة الفرد .

ومن أشهر اختبارات الميول : اختبار سترونج Strong Vocational Interettes واختبار كودر Kuder Interest Blanc .

والميول نحو شخص أوشيء أوفكرة تتضمن الترحيب بهذه الموضوعات وحب هذه الموضوعات ، لذلك يرى كثير من الكتاب وضع الميول مع المكونات الانفعالية للشخصية ، كذلك يميلون إلى قصر موضوعات الميول على أوجه النشاط مثل النشاط الرياضي والفني والثقافي والاجتماعي والديني والترويحي والمهني .

وتختلف الميول بحسب السن والجنس والحضارة . ومن الملاحظ أن البنين يميلون إلى الألعاب العنيفة والمغامرات وقراءة سير الأبطال والمستكشفين ، في حين أن البنات يملن إلى الفنون المنزلية والأعمال الفنية والاجتماعية والألعاب الهادئة وقراءة القصص الغرامية .

والميول لها من القوة فى توجيه الفكر والشعور والعمل كما للاتجاه العقـــلى .

والمزاج Temperament من المكونات الانفعالية الهامة فى الشخصية ، ويقصد بالمزاج مجموع الصفات التى تميز انفعالات الفرد عن غيره ، ويتضح المزاج فى النواحى التالية :

(١) درجة تأثر الفرد بالمواقف التى تثير الانفعال : من حيث مدة الانفعال وسرعة الانفعـال .

(٢) نوع الاستجابة الانفعالية : من ناحية قوتها وضعفها .

(٣) ثبات الحـالة المزاجيـة أو تقلبها .

الحالة المزاجيـة (Mood) هى حالة انفعالية خفيفة تتضمن المرح أو الانقباض لعدة أيام أو أسابيع ، وإذا استثير الفرد أثناءها انطلق الانفعال الغالب فى الحالة (مرح أو انقباض) بعنف .

(٤) الحالة المزاجية الغالبـة على الفـــرد : المرح أو الانقباض أو الاهتياج أو التجهم ... الخ .

وهذا التقسيم للحالة المزاجية للفرد يقابل ما أسفرت عنه أبحاث بيرت فى النواحى الانفعالية باستخدام طريقة التحليل العاملى . (طريقة احصائية تهدف إلى اكتشاف الصفات العامة فى الشخصية التى يشترك فيها جميع الناس. والصفات الطائفية التى يشترك فيها طائفة من الناس . والصفات النوعيـــة الخاصة التى لا يشترك فيها أحد بنفس القدر أو بنفس الشكل) ووجد بيرت ما يأتى :

١ — أن هناك عاملا عاما مشتركا بين جميع الانفعالات يدل على الطاقة المزاجية العامة الكامنة وراء الانفعالات جميعاً وهذا ما عبر عنه بالانفعالية

العامة General Emotionality ومعنى ذلك إذا وجدت انفعالات قوية فى شخص فنى الغالب يكون هناك احتمال كبير لوجود القوة فى باقى الانفعالات وكذلك بالنسبة للضعف أو السرعة أو المدة أو الثبات أو التقلب (العامل العام).

٢ — بعض الانفعالات يصاحب بعضها البعض فى قوتها أو ضعفها فمثلا فى الشخصية المنطوية نجد أن الانفعالات السائدة القوية هى الخضوع والحنان والحزن والخوف والتقزز ، بينما نجد فى الشخصية المنبسطة أن الانفعالات السائدة القوية هى انفعالات الفرح والميل الاجتماعى وحب السيطرة وحب الاستطلاع والمقاتلة . (العامل الطائفى) .

٣ — يمكن أن نجد انفعال واحد ذو صفة قوية واضحة كما فى الشخص الخواف أو المغرور أو المحب للسيطرة أو المتقزز أو المتعصب أو المأثوم (لديه شعور حاد بالذنب) أو الغيور أو العدوانى أو المحب للاستطلاع ، أو المحب للمقاتلة ، أو المحب للاجتماع ، أو يغلب عليه الشهوة الجنسية ، أو حب التملك ، أو الحنو ، أو الضحك ، أو البكاء ، أو العرفان بالجميل الخ . (العامل النوعى) .

والحكم عما إذا كانت الحالة المزاجية وراثية أم مكتسبة أمر غير مقطوع به حتى الآن . إذ ما زلنا نجد أبحاث ترجح أثر البيئة عن الوراثة ، وأبحاث ترجح أثر الوراثة عن البيئة .

ومعنى أن المزاج يتوقف على الوراثة أساساً أن الحالة المزاجية للفرد من العسير أو المحال تغييرها ، أما إذا توقف المزاج على البيئة فيكون التغيير ممكن بسهولة نسبياً .

وأنصار الوراثة يقولون أن المزاج يتوقف فى المقام الأول على عوامل وراثية منها حالة الجهاز العصبى والغددى وعملية الهدم والبناء والصحة العامة

للفرد ، ومما يدل على أن المزاج يتوقف على الوراثة إلى حد كبير ما لوحظ من أن الرضعاء فى الأسبوع الأول من حياتهم والذين يعيشون فى بيئة واحدة تبدو لديهم فوارق مزاجية ، كما لوحظ أن التوائم الصنوية ، أى التى تنشأ من انشطار نفس البويضة المخصبة فتكون لها نفس الوراثة ، تبدى تشابها ملحوظاً فى صفاتها المزاجية حتى إن نشأ أحدهما منفصلا عن الآخر أى فى غير بيئته ، فى حين أن التوائم اللاصنوية — أى التى تنشأ من بويضات مختلفة فتختلف وراثة أحدهما عن الآخر — تبدى اختلافاً ظاهرا فى هذه الصفات حتى أن نشأت فى بيئة واحدة . ومما يدل على أثر الوراثة أيضاً فى النواحى الانفعالية بصفة عامة أن الأطفال الذين يولدون صما عمياً فى وقت واحد تظهر عليهم تعبيرات انفعالية كتلك التى تظهر لدى من يولدون سليمى الحواس . فهم يضحكون ويغضبون مع أنهم لم يروا ولم يسمعوا أحدا يضحك أو يغضب أو يبتهج (٦) .

أما أنصار البيئة فلهم من الأدلة أيضاً ما يؤكد وجهة نظرهم . فى دراسة قام بها برنهام (Burnham) على التوائم الصنوية وجد تشابها قويا فى الصفات الجسمية والذكاء ، ولكنه وجد اختلافا واضحا فى الاتجاهات العقلية والصفات المزاجية .

ولقد قام (كاتل) و (مولتينو) باختبار ٣١ زوج من التوائم الصنوية ، و ٥٣ زوج من التوائم المنفصلة وقارن بينهم من حيث الصفات المزاجية فلم يجد أى فرق جوهرى بين الفريقين وأكد هذه النتائج أيضاً (تروب) Troup بتطبيق اختبار (رورشاح) (٧) .

ومن الأسلم طبقاً لما سبق أن تقرر أن أثر الوراثة يكاد يتعادل مع أثر البيئة فى التكوين المزاجى للفرد ، وأن هناك أمل لا بأس به فى تغيير التكوين

المزاجى للفرد بالإرادة والجهد المتظم والتنشئة الأسرية الناجحة بدلا من أن نقرر أنه من المحال تغيير التكوين المزاجى للفرد لأن هذا الحكم ينطوى، على بعض المبالغة .

مجمل ما تقدم أن المكونات الانفعالية فى الشخصية تتضمن ما يلى :

(١) العواطف والهوى والانحياز .

(٢) العقد النفسية .

(٣) الاتجاهات العقلية .

(٤) الميول .

(٥) المزاج والسمات الانفعالية العامة والطائفية والنوعية .

(٥) المكونات الخلقية :

الخلق هو جانب الشخصية المتصل بالمظهر الاجتماعى ، والتكيف فى المواقف المتعلقة بالقيم الدينية والمثل العليا والعرف والقانون والمعايير الاخلاقية السائدة فى البيئة التى يعيش فيها الفرد . وبعبارة أخرى نقول أن الخلق : هو نظام من الاستعدادات النفسية التى تمكننا من التصرف بصورة ثابتة نسبياً حيال المواقف الأخلاقية والدينية والاجتماعية برغم العقبات وضروب الإغراء .

وعبارة (الثبات النسبى على المبادىء الاخلاقية والمثل العليا رغم العقبات وضروب الإغراء) تشير إلى سلامة التكوين الإرادى الذى يمكننا من ضبط النفس وكبح جماح الشهوات المحرمة ، مهما تحملنا من عذاب ومهما كان بريق الإغراء . كما تشير أيضاً إلى قوة الرقابة الداخلية أو الضمير السليم الذى يجعلنا نؤمن ايمانا عميقاً بأنه إذا نامت عين الناس فان عين الله لا تنام .

لذلك نجد أنه مهما تعددت وطالت قوائم السمات الخلقية والاجتماعية فى كتب علم النفس ، والتى يستعان بها فى تقدير الشخصية والحكم عليها فانه

يمكن تلخيصها جميعاً فى عبارة واحدة هى « حسن العلاقة مع الله أولا والناس ثانياً » .

فكم من أناس أذكياء العقول، أو أقوياء الجسوم، أو من أصحاب المراكز المهنية العالية، أو من أصحاب المال، أو الجمال، تضاءلت شخصياتهم لسوء علاقاتهم مع الله والناس . وكم من أناس تعاظمت شخصياتهم لشدة تمسكهم بالقيم الدينية والمثل العليا مهما وهنت جسومهم أو كانوا من العاديين فى الذكاء أو ليسوا على حظ كبير من المركز أو المال أو الجمال .

يؤكد ما سبق ما دل عليه التحليل العاملى من أن الارتباط بين الذكاء أو سلامة الجسم والإصابة بالمرض النفسى أو الانحراف الاجتماعى ارتباط ضعيف لا يعتد به (٨) فالذكاء وسلامة الجسم شرط ضرورى للصحة النفسية وتكامل الشخصية و لكنه ليس كافياً . ولكن العامل الذى يلعب دور البطولة فى مسرح الشخصية المتكاملة والصحة النفسية هو النضج الانفعالى والإرادة القوية وحسن التكوين الدينى الخلقى ، أى الأنا القوية المبنية على ضبط النفس والثقة بالنفس والاعتماد على النفس وفهم النفس . وهذه الأنا السليمة مرتبة قد لا يصل إليها حتى من نضجت جسومهم وعقولهم .

ولا نقصد هنا بحسن العلاقة بالناس — كل الناس — ولكن أغلب الناس. كما لا نقصد بحسن العلاقة مع الله سبحانه وتعالى ادعاء العصمة من المعصية فى كل مكان وزمان ، فنحن نعيش فى دنيا البشر لا دنيا الملائكة .

إن الأنا القوية هى التى أوتيت الإرادة السليمة القادرة على التوفيق بين الحاجات الجسمية والنفسية ونزعات الضمير ونداء السماء ومقتضيات الواقع الاجتماعى . إنها الطريق السلطانى لسكينة النفس والأمن الداخلى والخارجى فى الشخصية المتكاملة « أنها هى من يشير إليها الله سبحانه وتعالى فى قوله العزيز

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

ولقد أشار فلوجل (Flugel) إلى تطور الصفات الخلقية من الطفولة إلى الرشد كما يلى :

- من الأنانية إلى الغيرية .
- من السلوك الخلقى المبنى على مجرد خوف العقاب ونشدان اللذة إلى السلوك المبنى على الاقتناع التلقائى فى ضوء المصلحة الاجتماعية والمنطق وشهادة الواقع مهما كانت مرارة الواقع .
- من الانسياق وراء الانفعالات والدوافع الفسيولوجية إلى الرضوخ لما يمليه العقل والتفكير .
- من السلوك المبنى على العادات والتقاليد والحكم والأقوال المأثورة بدون فهم ومناقشة إلى السلوك المتطور المبنى على البحث والتأمل والوعى .
- من الأنانية والهروب من المسئولية والاتكالية ، إلى الغيرية والاستقلالية وتحمل المسئولية .
- من الاندفاع والعدوان إلى المسالمة والأمان .
- من السلوك المبنى على عدم النظام والفوضى إلى السلوك الهادف لتحقيق المصالح الاجتماعية والشخصية .

وإذا كانت المكونات العقلية تتأثر بالوراثة أكثر من البيئة ، والسمات الانفعالية يتعادل فيها تأثير الوراثة والبيئة تقريباً ، فاننا نجد أن المكونات الخلقية والاجتماعية تتأثر بالبيئة والتنشئة الاجتماعية أكثر من الوراثة . لذلك نجد أن الصفات الخلقية أكثر قابلية للتغيير من المكونات العقلية والوجدانية الانفعالية .

ويقول (هارتشورن وباى) فى بحثهما عن الأمانة والتعاون : (يصح أن نتحدث عن أفعال صادقة أو كاذبة لا عن أشخاص صادقين أو أشخاص كاذبين) . ويشير بذلك إلى أن الصفات الخلقية ليست ثابتة وتتغير دائما بتغير الظروف البيئية . ولكن هذا الحكم يصدق على الأطفال حيث لا يكون الطفل قد كون لنفسه مبادىء خلقية يسترشد بها فى سلوكه على عكس الكبير الراشد الذى نلمس عنده سمات خلقية ثابتة نسبياً .

ومن القوائم الخلقيـــة المشهورة فى الحكم على المكونات الاجتماعية للشخصية قائمة (كاتل) Cattel وقد وصف كاتل كل صفة بذكر عكسها (polar opposite) مما يسهل تقدير الأشخاص بتعيين الدرجة التى توجد بها كل صفة أو ضدها عنده ، كأن نقول مثلا أن أحد الأشخاص شجاع جداً أو شجاع ، أو متوسط أو جبان أو جبان جدا . . . وهكذا .

وهذه بعض الصفات الخلقية الاجتماعية فى قائمة كاتل :

- التهذيب والتكامل الخلقى وما يتبع ذلك من صفات الأمانة والصدق والإيثار والرحمة والضمير وغير ذلك من قواعد الدين والأخلاق
- النضج الانفعالى وما يتبع ذلك من قدرة الشخص على التحكم فى انفعالاته أو ارجاء رغباته بما يقتضيه الواقع الاجتماعى.
- الصراحة والتفاؤل والاتزان وما يتبع ذلك من الروح الرياضية والتحرر من التعصب والانحياز .
- التواضع ضد الغرور والتعالى والميول المظهرية .
- الشجاعة والإقدام ضد الجبن والإحجام .
- الروح الاجتماعية والتعاون مع الغير ضد التحوصل والانطواء .
- انسجام الأغراض فى ضوء فلسفة خاصة لدى الشخص ضد البوهيمية وعدم النظام والفوضى وتفكك السلوك .

— احتمال المشاق والصبر على مواجهة الصعوبات والتركيز والإقبال على العمل مدة طويلة والنشاط والحيوية والإرادة والتحمس والمثابرة ضد التواكل وقعود الهمة والتكاسل .

— توجيه الحياة إلى ما هو أجدى ضد الانسياق وراء الشهوات الحسية.

— بعد النظر وتقدير العواقب واللذات الآجلة ضد الاندفاع الفورى وراء اللذات العاجلة .

وفى محاولة للتركيز على أقل عدد من السمات الخلقية الاجتماعية حاول كاتل و ثرستون ووب Webb تحديد العامل الخلقى العام (General Character Factor) على نمط العـــامل المعرفى العام وهو الذكاء ، أو الانفعالية العامة وهو التكوين المزاجى ، واستخدموا فى ذلك طريقة التحليل العاملى . وفى هذا الشأن توصل وب إلى أن العامل الخلقى العام يتضح فى :

— المثابرة والكفاح للتغلب على الصعوبات والوصول للهدف .

— الإرادة القوية التى تتمثل فى ضبط النفس والاتزان الانفعالى .

— الصفات الخلقية المبنية على القيم والمبادىء الاجتماعية .

— التعامل الاجتماعى (٩) .

وهذه الدراسة المبنية على التحليل العاملى الدقيق تؤكد أن أساس تكامل الشخصية والصحة النفسية يدور حول :—

— الإرادة السليمة والمثابرة .

— النضج الانفعالى .

العادات الدينية والاجتماعية خاصة ما يتصل بالضمير : كما سبق ذكـــره .

ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أن تقسيم الشخصية إلى مكونات منفصلة جسمية وعقلية وانفعالية واجتماعية هوضرورة علمية لتوضيح الشرح وليس حقيقة واقعية .

الفصل الثانى

نظريات الشخصية

Theories of Personality

حيث أن النشاط النفسى – حسياً وحركياً وعقلياً ووجدانياً واجتماعياً – يمكن التعبير عنه فى شكل ألفاظ أو أفعال مما يمكن أن يلاحظها الناظر الخارجى ويقدرها أو يقيسها إذن السلوك وبالتـالى الشخصية الانسانية ظاهرة موضوعية مثل الظواهر الطبيعية والبيولوجية التى يمكن دراستها بطريقة علميـة .

والطريقة العلمية تبدأ بالشك وتنتهى باليقين النسبى ، أى اليقين فى ضوء الحقائق المعاصرة وليس اليقين المطلق . وبعبارة أخرى تبدأ النظرية العلمية بالملاحظة وتنتهى بالنظريات والقوانين التى تعرف الظواهر المختلفة وتعللها ، وتحدد شروط حدوثها و توضح نشأتها وتطورها حتى يمكن التنبؤ والتحكم فيها لصالح الفرد والمجتمع سواء أكانت هذه الظواهر سيكلوجية ، أو فسيولوجية أو كيمائية أو طبيعية . . الخ .

والنظرية عبارة عن صيغة نظرية تتضمن فرض يوضح العلاقة بين متغيرين أو أكثر تحت شروط ثابتة ، هذا الفرض أمكن إثباته عن طريق الملاحظة أو التجربة . قد تكون ملاحظات مقننة أو تجارب معملية أو تجارب ميدانية . . الخ وإذا أمكن أن نعبر عن الفرض فى صورة رقمية صار الفرض قانونا ، ويمكن أن ينبثق من النظرية قانون أو أكثر .

وهكذا نجد فى علم النفس شأنه شأن العلوم الأخرى نظريات وقوانين مختلفة ، وأن كانت أقل دقة من العلوم الأخرى نظرا لأن هناك متغيرات أو عوامل من الصعب التحكم فيها تماما أثناء التجارب ، ولكن بتقدم تكنولوجيا القياس وتكتيكات الاحصاء تزداد درجة الدقة تدريجياً فى علم النفس ويضيق معدل الخطأ المحسوب إلى الدرجة المعقولة .

وهكذا نجد فى علم النفس مثلا نظرية التعلم الشرطى التى توضح العلاقة بين المنبه الطبيعى والمنبه الشرطى تحت شروط ثابتة منها الدافعية والاقتران السريع بين المنبه الطبيعى والشرطى وتكرار الاقتران وانتباه المتعلم . . الخ . (تكرار الاقتران السريع بين المنبع الطبيعى والمنبه الشرطى (الصناعى) يكسب المنبه الشرطى قوة إثارة الاستجابة المنعكسة الشرطية) ، ونجد كذلك نظرية المحاولة والخطأ التى تثبت العلاقة بين المحاولة والخطأ والتغير فى أداء المتعلم تحت شروط ثابتة ، وينبثق من هذه النظرية قوانين الأثر والاستعداد والتكرار . . . الخ. كما ينبثق قانون التدعيم والانطفاء فى النظرية الشرطية .

وبالمثل فى الشخصية هناك نظريات علمية مختلفة تعرفها وتعللها وتفسرها منها نظرية التحليل النفسى التى توضح العلاقة بين الشعور واللاشعور وتثبت هذه العلاقة بمنهج تداعى المعانى وتأويل الأحلام والملاحظات العيادية ومنها نظرية النفس التى تثبت أثر فكرة المرء عن نفسه فى تعيين سلوكه الذى يميزه عن غيره ويحدد أبعاد شخصيته ، ومنها نظرية التحليل العاملى التى توضح أثر الاكتشاف الاحصائى للعامل العام والطائفى والنوعى فى تحديد محاور الشخصية الانسانية والبناء الهرمى لها . . . . الخ .

وأهم النظريات المعاصرة للشخصية هى :

(١) نظرية الأنمـاط .

(٢) نظرية السمات .

(٣) نظرية البناء الهرمى للشخصية (التحليل العاملى) .

(٤) النظرية السلوكية . (المثير والأستجابة) .

(٥) نظرية النفس .

(٦) نظرية المجـــال .

(٧) نظرية التحليل النفسى .

(١) نظرية الأنماط Typological Theory

مقدمة : من قديم الأزل وحتى اليوم اهتم الناس بتصنيف الأفراد إلى أنواع أو فئات أو طرز مختلفة (أنماط) حتى يكونون صورة أو فكرة عن أبرز خصائص الفرد الثابتة تقريباً ، أى شخصيته .

وفى مجرى الحياة اليومية نجد الخطيبة مثلا تهتم بنوع أو نمط شخصية الفرد المتقدم لخطبتها حتى يمكن أن تتنبأ بدرجة سعادتها الزوجية المستقبلة ، فتقول أن الخطيب من النمط المتفائل ، وتحت هذا النمط تضع صفات معينة مثل المرح والروح الاجتماعية ، أو من النوع المتشائم وتحت هذا النوع تحدد صفات متقاربة مثل التأمل والبحث عن العلم والحقائق . وبذلك فالخطيب يتماثل مع خطيبته فى هذه الصفات ، وعليه فكل نصف تفاحة تحاول أن تبحث عن النصف الآخر وتتم الخطوبة والزواج .

أو تقول الخطيبة انى من النوع الرقيق الضعيف الخاضع وأريد الرجل من النوع المسيطر القوى الذى يستطيع أن يدافع عن حقوقى فاذن هو يكملنى ويعوض نقصى .

وهكذا نجد البعض يبحث عن تشابه أنماط الشخصيات والبعض يبحث عن تكامل الأنماط وصولا للسعادة الزوجية .

وقديماً وضع أبو الأطباء الاغريقى هيبوقراط (٤٠٠ سنة قبل الميلاد) تقسيمه الرباعى لأنماط الشخصية : (١) الدموى المتفائل المرح ، (٢) والصفراوى المقاتل حاد الطبع متقلب المزاج ، (٣) والسوداوى المتأمل المتشائم المنطوى (٤) والليمفاوى البليد البارد عاطفياً .

وفى تصنيف (أمبيدوكل) نجد الهوائى والنارى والترابى والمائى يقابل الدموى والصفراوى والسوداوى والليمفاوى عند هيبوقراط .

كما تحدث الطبيب الفيلسوف العربى العبقرى الرازى (١١٥٠-١٢١٠م) فى كتابه (الفراسة): عن الاستدلال بالأحوال الظاهرة عن الأخلاق الباطنة، وكل دليل واحد ليس يقينا بل ظن ضعيف ، وكلما زاد عدد الأدلة كلما تحول الظن إلى يقين وكلما زاد علمنا بطبائع الناس وشخصياتهم .

وتحدث الاغريق عن أنماط شخصية الرياضيين فى الدورات الأولمبية فذكروا الرياضى الدب ،وهو السمين القوى ولكنه بطىء الحركات ، والرياضى الصقر ، سريع الانقضاض على المنافس ، والرياضى النمر ، القوى المرن المخادع .

وفى القرن التاسع عشر حاول الفسيولوجى الايطالى لمبروزو Ceasare Lambroso تقسيم الناس إلى نمطين ، مجرمين وعاديين ، بحسب صفات جسمية للمجرمين تميزهم عن العاديين ، وسبب ذلك - حسب اعتقاده - خطأ وراثى فى سلسلة تطورهم من الانسان البدائى للانسان العصرى ، أو هو ارتداد إلى حالة الوحشية الأولى ذات الصفات المنحطة (Degenerative Stegmata) ، ومن هذه الصفات فرطحة الأنف واستطالة الفك الأسفل ودقة الذقن وانخفاض الجبهة. وبروز الأذنين وابتعاد محاجر العينين عن بعضهما وعدم تماثلها وغير ذلك من السمات الوراثية القبيحة التى لا يمكن علاجها ، وما علينا إلا عزلهم وتخليص الناس من شرورهم ، وظلت هذه النظرية سائدة فى علم الاجرام إلى أن أثبت العالم جورنج سنة ١٩١٣ أن نمط المجرمين لا يختلف عن نمط غير المجرمين من حيث الصفات الجسمية . واستخدم مجموعة تجريبية ضخمة من المجرمين ومجموعة ضابطة من العاديين ، ووجد بالمقارنة بين المجموعتين أنه لا توجد فروق لها دلالة احصائية .

وفى القرن العشرين ظهرت عدة نظريات للانماط جسمية ونفسية وغدية مبنية على أسس علمية أهمها ما يأتى :

(أ) نظرية الأنماط الجسمية :

نظرية كرتشمر Kretschmer طبيب المانى نشر أسس هذه النظرية فى كتابه بعنوان : « الجسم والخلق » (Kretschmer, Ernest., Physique and Character, London : Routledge 1936.)
وقد أجرى أبحاثه فى مستشفى بافاريا للأمراض العقلية بألمانيا .

فكرة هذه النظرية مبنية على ما وجده (كربلن) من الاختلاف والتباين الواضح فى شخصية من يصابون بنوعين رئيسيين من الأمراض العقلية وهما الذهان الدورى (Manic Depression) والفصام (Schizophrenia) .

على هذا الأساس قام كرتشمر بدراسة عدد كبير من مرضى العقول لكى يبحث عن وجود علاقة بين الصفات الجسمية وبين الإصابة بأحد هذين المرضين ، فتوصل إلى أنه على وجه العموم يتصف المصابون بالفصام بطول القامة ونقص الدهن والنحافة ، والمصابون بالذهان الدورى بالقصر وزيادة الدهن والسمنة .

إذن النمط النحيف الطويل يرتبط بشخصية فصامية. والنمط القصير السمين يرتبط بشخصية نوابية (مصابة بذهان دورى) هذا بالنسبة للافراد المصابين بالمرض العقلى الشواذ .

ثم تساءل : هل الأفراد العاديين يمكن تصنيفهم أيضاً إلى أنماط جسمية ترتبط بخصائص وجدانية ونزوعية معينة بما يوازى ما وجده بين المرضى ؟.

حاول كرتشمر أن يثبت هذا الفرض أو ينفيه : وللتحقق من ذلك كون مجموعة عشوائية تجريبية من مرضى الفصام ومجموعة ضابطة من الأفراد العـــاديين ، وكل مجموعة تضم ٢٥٠ فردا ، وكرر ذلك أيضاً مع فئة المصابين بمرض الذهان الدورى ، وعالج النتائج احصائياً لمعرفة الدلالة الاحصائية للفـــــروق بين كل جماعتين فوجد أن الفروق جوهرية ، ثم وضع نتائجه مصنفاً الأفراد العاديين إلى الأنماط الجسمية التالية وكل نمط يرتبط بخصائص إدراكية ووجدانية ونزوعية معينة .

(١) النمط البـــدين Pyknic :

ويمتاز بالسمنة والقصر واستدارة أبعاده الجسمية (بما يشبه البرميل Barrel chested على حد تعبير كرتشمر : (فهو ممتلىء الجسم ثقيـــل الوزن غليظ الرقبة قصير الساقين عريض مستدير الوجه والصدر).

يرتبط هذا النمط الجسمى بشخصية نوابية (ليس مريضاً بأى مرض عقلى) يتناوب فيها المرح والانقباض فى فترات زمنية قد تطول أو تقصر ويتميز بالتقلب الانفعالى والتفاؤل والميل إلى التعبير الواضح الصريح عن انفعالاته والاختلاط بالناس ، وهو إذا مرض بمرض عقلى يكون من نصيبه مرض الذهان الدورى .

(٢) النمط النحيف Asthenic :

نحيف طويل القامة ضيق الصدر طويل الأطراف ويرتبط هذا النمط الجسمى بشخصية فصامية (ليس مريضاً بالفصام ولا بأى مرض عقلى أو نفسى مجرد اصطلاح للتصنيف) وهو الذى يميل للتأمل والتفكير بعمق والخجل والعلاقات الاجتماعية المحدودة قلق ويهتم بالنظام - بشكل زائد ، وهو إذا مرض كان من نصيبه مرض الفصام .

(٣) النمط العضلى Athletic :

يتميز بحسن تكوينه العضلى والأكتاف العريضة والعضلات النامية .

ويرتبط هذا النمط الجسمى بطابع شخصية معين يبدو وسطاً بين النوعين السابقين مع قربه نوعاً من الشخصية الفصامية .

وعموما فهو يميل للقوة والاحتكاك البدنى مع الغير والسيطرة والمنافسة والنشاط الحركى ويبدو عليه فى كثير من الأحيان الخجل والحساسية الانفعالية والعزلة كما فى النمط النحيف وإذا مرض يكون من نصيبه مرض الفصام .

(٤) النمط غير المنتظم Displastic :

نوع لا يتميز بشىء مما سبق من الناحية الجسمية فهو لا يتصف بانتظام أبعاد جسمه، وهو أقرب إلى النوع النحيف فى نمط شخصيته—أى الشخصية المنقبضة — فهو كثيرا ما يبدو عليه الخجل والانطواء والحساسية الانفعالية بارد عاطفياً ، وإذا فرض يكون من نصيبه مرض الفصام .

والموقف العلمى الحالى إزاء هذه النظرية وما على شاكلتها أنه لا توجد علاقة سببية بين النمط الجسمى والنمط المزاجى، فليس النمط الجسمى هو سبب النمط المزاجى أو العكس . ويبدو أن كلا النمطين يقعان تحت تأثير عامل خارجى مشترك فى الاثنين قد يكون تكوين عصبى أو غدى أو استعداد وراثى معين (١٠) .

نظرية شلدون Sheldon :

يرى شلدون أن كرتشمر قد أخطأ فى أنه أخذ صفات الأنواع المتطرفة فى الصفات الجسمية — وهم الأقلية — وطبقها على العاديين وهم الأغلبية، كما أن أى صفة جسمية أو عقلية أو نفسية تمثل متغير متدرج يبدأ من أقل درجة وينتهى عند أعلى درجة الأمر الذى لم يتبعه كرتشمر .

فصفة الطول مثلا تبدأ بقيمة متطرفة هى طويل جدا، ثم فوق المتوسط فى الطول، ثم عادى الطول ، ثم قصير جدا وهى قيمة متطرفة ، وغالبية الناس عاديين فى الطول .

وحينما نأخذ القيم المتطرفة وهى فى بداية ونهاية المتغير المتدرج (طويل جدا وقصير جدا) ونطبقها على غالبية الناس تكون قد أخطأنا . ومما ينطبق على الطول ينطبق على أى صفة نفسية أخرى .

ولا يمكن أن نضع خطوطاً تقسم الناس إلى فئتين منفصلتين . ولعلاج هذا التطرف وضع شلدون ثلاث موازين أو معايير يقاس بها الأبعاد الجسمية للشخص من اتجاهات مختلفة ، وكل معيار يبدأ من درجة (٧) وينتهى عند درجة (١)، وبذلك يرصد لكل شخص ثلاث درجات تبعاً للثلاث معايير، وأعلى رقم فى الثلاث أرقام يحدد النمط الجسمى للفرد . واذا حصل الفرد فى المعيار البطنى مثلا على درجة (١) والمعيار العضلى(١)، والمعيار النحيل (٦)، يكون النمط السائد لدى هذا الفرد هو النمط النحيل المقابل لأكبر رقم فى الثلاث أرقام .

وبذلك ينقسم الناس إلى ثلاث أنماط سائدة لديهم هى :

(١) النمط البطنى (بدين) Endomorphic : وهو الذى تسيطر عليه النزعة الاحشائية فهو بدين نهم فى الأكل باحث عن اللـــذة والحياة العاطفية الناعمة والمرح والراحة وحب الاجتماع مع الغير وإذا مرض عقلياً يكون من نصيبه الذهان الدورى .

(٢) النمط العضلى (رياضى) Mesomorphic : وتسيطر عليه النزعة البدنية ويتميز بعضلاته النامية والصدر العريض وحسن تنسيق القوام وتسيطر عليه النزعة لاستخدام القوة والسيطرة والمنافسة والمخاطرة والصراحة والاندفاع وفرض الذات وإذا مرض عقلياً يكون من نصيبه الذهان الدورى .

(٣) النمط النحيل Ectomorphic (نحيف) وهو الذى تسيطر عليه النزعة المخية طويل ضيق الصدر نحيف ،ويتميز بكثرة التأمل والتفكير وحب العزلة والخجل والحساسية الانفعالية ، وغالباً ما يظهر عليه مرض الفصام إذا ما أصيب بمرض عقلى . (١١)، (١٢) .

هذا ولقد نجح شلدون فى علاج نزعة التطرف فى نظرية كرتشمر ومنهجه فى البحث أكثر دقة . ولكن ما زالت الصعوبة قائمة فى تحديد العلاقة السببية بين النمط الجسمى والإصابة بمرض عقلى معين أو ظهور سمات مزاجية أو عقلية معينة (١٣) .

(ب) نظرية الأنمـــاط النفسية : (يونج — هورنى — روزنزويج)

أسفرت الملاحظات والخبرات العيادية للعالم النفسى السويسرى يونج Jung إلى أن الشخصيات يمكن تحديدها بحسب النمط النفسى التى تنتمى إليه كمايلى :

(١) نمط الشخصية الإنبساطية : Extrovert

الانفعالات السائدة لدى الشخصية المنبسطة هى : الفرح ، والمرح حب الاجتماع بالآخرين ، وحب السيطرة والاستطلاع والمقاتلة . والطاقة الانفعالية هنــا تتجه للخارج نحو الناس والأشياء .

(٢) نمط الشخصية الانطوائية : Introvert

الطاقة الانفعالية هنا تتجه للداخل نحو الذات ،والانفعالات القوية السائدة هنا هى الخضوع والحنان والتقزز والحزن والخوف والشك والخجل .

وفيما يلى جدول يبين أهم الفروق بين الشخصية الانطوائية والشخصية الانبساطية :

صاحب الشخصية الانطوائية	صاحب الشخصية الانبساطية
(١) يميل للانطواء والانعزال عن المجتمع	(١) يميل للانطلاق ومشاركة المجتمع.
(٢) يستغرق فى أحلام اليقظة والتخطيط للمستقبل	(٢) يفكر فى يومه دون غيره .
(٣) له مثله الخاصة ومبادئه الذاتية .	(٣) يشارك الناس مثلهم واعتماداتهم .
(٤) يحاول الوصول لمفاهيم عميقة لطبيعة الأشياء .	(٤) يهتم بالمعانى السطحية الواضحة .
(٥) قراراته نظرية أكثر منها عملية .	(٥) قراراته عملية أكثر منها نظرية .
(٦) يتردد فى أغلب أموره .	(٦) أغلب تصرفاته حاسمة .
(٧) يفكر أكثر مما يعمل .	(٧) يعمل أكثر مما يفكر .
(٨) يشغله ويهمه آراء الناس فيه .	(٨) لا يجعل لآراء الناس الاعتبار الأول
(٩) يميل للشك فى دوافع الناس .	(٩) يثق فى الناس ويأخذ تصرفاتهم ا الحسن .
(١٠) يشعر بالنقص ولكنه يخفيه .	(١٠) يشعر بالثقة فى النفس والاعتدادبا
(١١) من السهل أن يجرح شعوره .	(١١) من الصعب بأن يجرح شعوره :
(١٢) قليل الأصدقاء وصداقاته عميقة ويصعب عليه عمل صداقات جديدة	(١٢) كثير الأصدقاء ولو بصورة سـ ومن السهل أن يكون صداقات جد
(١٣) إذا مرض نفسياً يكون من نصيبه عصاب الوسواس القهرى .	(١٣) إذا مرض نفسياً يكون من نصيبه ع الهستيريا .

على أنه ينبغى تأكيد أنه لا يوجد شخصية انطوائية تماما، كما لا يوجد شخصية انبساطية تماماً كما تتصور من هذا التقسيم لأول وهلة . فكثيرا ما نجد صفات من هذه مع صفات من تلك فى نفس الشخص (٣١).

أنماط الشخصية طبقاً لهورنى : Horney

وهو تصنيف للشخصيات بحسب أسلوب التعامل مع الناس .

(١) نمط الشخصية الهارب من الناس .

ويبدو عليه الخجل والانطواء والتحوصل واستخدام الحيل الدفاعية التى تحقق له الهروب من المشاكل والناس (Mo.ing away from the people)

(٢) نمط الشخصية المهاجم للناس ويبدو فى مواجهة المشاكل بعنف والميل لاستخدام القوة كمفتاح للحل أوالتعامل مع الناس.(Moving against people)

(٣) نمط الشخصية المشارك للناس ويبدو فى الميل للتفاهم والتعاون والحب واستخدام الإقناع والإقتناع — لا لوى الذراع — فى حل المشاكل والتعامل مع الناس (Mo.ing twoard people) .

أنماط الشخصية طبقاً لروزنزويج : (Rosenzweig)

وهو تصنيف الشخصيات بحسب أساوب مواجهة الضرر الواقع من الغير على الذات :

(١) نمط الشخصية ذات العدوانية الخارجية : يميل للانتقام المباشر من الناس أو الأشياء إذا وقع عليه ظلم .

(٢) نمط الشخصية ذات العدوانية الداخلية : يميل للانتقام من نفسه واحتقارها إذا وقع عليه ظلم من الغير .

(٣) نمط الشخصية ذات العدوانية الخامدة : يميل إلى القاء اللوم لا على الغير أوالذات ولكن على قوة غيبية مجهولة مثل الظروف والمكتوب والمقسوم والحظ وما إلى ذلك .

(٤) نمط الشخصية ذات العدوانية الخيالية : وهو الذى يحقق دوافع الانتقام عن طريق أحلام اليقظة .

أنماط الشخصية طبقاً لبرمان Berman :

وهو تصنيف للشخصية يشير إلى النشاط الهرمونى السائد عند الأفراد .

(١) النمط النخـــامى:

يتميز أفراده بالقدرة على التحكم الانفعالى وارجاء الرغبات للظروف المنـــاسبة .

(٢) النمط الدرقى :

يتميز أفراده بالسلوك الاندفاعى وضعف التحكم فى الانفعالات

(٣) النمط الجنسى :

يتميز أفراده بالمبالغة الانفعالية والتناقض الوجدانى حباً وكرها والخجل من الموضوعات الجنسية رغم الاهتمام بها .

(٤) النمط التيموسى :

يتميز أفراده بالنزعة للشذوذ الجنسى والإختلال الخلقى .

(٥) النمط الادرنالينى :

يتميز أفراده بالمثابرة والنشاط (١٤) .

نقـــد نظرية الأنماط :

العيوب

(١) أنها نظم لتصنيف الشخصيات أكثر منها نظرية مفسرة توضح الأسباب وراء الأنماط أو العلاقة بينها .

(٢) أنها تضع حدوداً فاصلة بين الأنماط والواقع أن الأنماط لا تمثل إلا الحالات المتطرفة فى حين أن أغلب الناس خليط من الأنماط وعلى درجات كبيرة متفاوتة .

(٣) إغفال أثر العوامل الثقافية والاجتماعية فى الفروق الفردية بين الشخصيات المختلفة .

المحاسن : تعطينا نظام للمقارنة بين الأفـــراد يصلح للتوجيه أو الاختيار التعليمى أو المهنى أو علاج المشكلات السلوكية وهذه المقارنة تزيد فاعليتها إذا قيست الأنماط قياساً كمياً وكانت منفصلة احصائياً .

ومجمل ما تقدم يمكننا أن نقول إن النمـــط يعنى لفظياً النوع أو الصنف أو الفئة أو الطراز .

أما المعنى الاصطلاحى للنمط Type :

(١) صفة رئيسية جسمية أو نفسية تضم مجموعة من الصفات الفرعية المتقاربة والمترابطة احصائياً .

(٢) أو صنف من الأفراد مشتركون فى نفس الصفات العامة ويختلفون فيما بينهم فى درجة اتسامهم بهذه الصفات . (الانبساطيون أو الانطوائيون) .

ونظرية الأنماط تهدف أساساً إلى تقسيم الناس إلى فئات بدنية أو نفسية تصلح كأساس للتنبؤ بأهم خصائص شخصياتهم وسلوكهم .

(٢) نظرية السمات

السمـــة : أو البعـــد : هى الصفة الثابتة نسبياً برغم تغير الظروف البيئية والبارزة فى الشخص بحيث تميزه عن غيره تمييزا واضحاً .

وبعبارة أخرى هى الاستعداد الثابت نسبياً لنوع معين من السلوك برغم اختلاف الظروف البيئية . وهذا الميل يظهر أثره فى كثير من المواقف لاكل المواقف .

فالشخص الذى لديه سمة الأمانة هو الأمين فى كثير من المواقف خاصة الظروف التى تغريه أو تدفعه لأن يكون غير أمين .

وتهدف نظرية السمات إلى تكوين صورة للشخصية بأقل عدد من السمات التى يمكن قياسها والمنفصلة بعضها عن بعض والثابتة نسبياً بحيث تميز الفرد عن غيره تمييزا واضحاً .

وكما نستطيع قياس أبعاد الشكل الهندسى (مربع ، مستطيل.. الخ) لتحديد خصائصه ، كذلك نستطيع قياس أبعاد الشخصية أو سماتها لتحديد خصائصها .

وكل سمة تمثل بعد متدرج ممتد بين طرفين ، طرف يمثل أعلى درجة والطرف الآخر يمثل أقل درجة من هذه السمة .

وهذا البعد المتدرج يسمى أحيانا بالمتغير المتدرج Continuoum ، وفى استخبار برنرويتر مثلا Bernreuter (استبيان أو استفتاء) لقياس سمات شخصية الفرد نجد أبعاد مختلفة ، منها بعد العصابية الذى يمتد من أقصى درجات العصابية إلى أقل درجات العصابية أى السواء النفسى ، وكذلك بعد الانطوائية حتى الانبساطية ، ويعبر عن ذلك اصطلاحا الانطوائية ضد الانبساطية ، وكذلك السيطرة ضد الخضوع ، والاتكالية ضد الاكتفاء الذاتى .

. وهذا الاستخبار يتكون من ١٥٠ سؤالا يجيب عليها المفحوص بنعم أو لا ومن هذه الأسئلة ما يلى :

— هل تشعر بالوحدة حين تكون مع الناس	نعم	لا
— هل تحب أن تتحمل المسئولية وحدك	نعم	لا
— هل تتغير ميولك بسرعة	نعم	لا

ثم يقدر لكل فرد درجة لكل بعـد أو سمة ، وبذلك تكون قد قيمنا شخصية الفرد بأقل عدد من السمات المقاسة كمياً .

وهذه السمات يفترض أن تكون مستقلة أى منفصلة بعضها عن بعض عن طريق المعالجة الاحصائية بأسلوب التحليل العاملى ؛ كما يجب أن تكون السمات ثابتة ، لذلك نجد للاستخبار معامل ثبات معقول وكذلك معامل صحة (أى يقيس الاستخبار ما يدعى قيامه من سمات .) .

نقـد نظرية السمات :

محـاسن النظـرية :

(١) تمدنا بسمات أمكن قياسها وتقديرها كمياً لذلك ترتفع درجة الدقة فى مقارنة الأفراد بعضهم وبعض .

(٢) لهـا قيمة عملية فى التوجيه والإختيار المهنى والتعليمى وتشخيص أسباب سوء التكيف .

(٣) تتحاشى تطرف نظرية الأنماط لأنها تمدنا بأربع أبعاد على الأقل بدلا من نمطين فقط .

عيـوب النظـرية :

(١) كثير من الاستخبارات تدعى استقلال السمات فى حين أن درجة الارتباط بينها قد يكون غالياً فمثلا نجد فى استخبار برنو يتر ظهر أن

الاستعداد العصابى هو الانطواء نفسه ، وأن السيطرة مرتبطة ارتباطاً كبيراً بالاكتفاء الذاتى . ولهذا السبب لا نجد اتفاق بين العلماء هنا فى عدد ونوع السمات التى يجب أن يتألف منها استخبار سمات الشخصية .

(٢) قد يحصل بعض الأفراد على نفس الدرجات فى سمات معينة ولتكن حب السيطرة أو حب التملك . ورغم ذلك لا يتساوى تركيب شخصية الأول مع تركيب شخصية الثانى ، فقد نجد فى الأول دافع حب السيطرة وسيلة للتملك ، وقد نجد فى الثانى حب التملك وسيلة للسيطرة على الآخرين . ولذلك نجد أن تغافل هذه النظرية للعوامل الاجتماعية والثقافية التى تبين العلاقة بين السمات المختلفة أهم عيوب هذه النظرية .

ولا توضح هذه النظرية ديناميكية العوامل : أى كيف تتفاعل ويتبادل التأثير بين العوامل المختلفة حتى تكونت السمات الحالية . ولا توضح تكوين شخصية الفرد باعتبارها تنظيم فريد لا يشبهه أحد فيه بنفس الشكل أو القدر أو الأسباب .

(٣) كثير من العلماء لا يرتاح إلى فكرة أن أساس الشخصية عدد بسيط من السمات أربع سمات أو ست سمات مثلا : فهذا عدد قليل لوصف مركب معقد مثل الشخصية .

(٤) هناك سمات لا يفطن الفرد لوجودها فلا يدرك الصلة بينها وبين سلوكه كالرغبات والمخاوف المكبوتة ، وفى الغالب ينفر الفرد من ذكرها حين مساءلته عنها لأنها مستكرهة للنفس وللناس على فرض أن هذه الرغبات قريبة من الشعور لذلك لا تظهر هذه السمات الهامة فى الشخصية فى الاستخبار لأنها لا شعورية .

وعلاوة على ذلك هناك سمات ظاهرية ايجابية وباطنية سلبية. فكم من حب ظاهر أخفى الكراهية أو العكس ، ورحمة تخفى وراءها القسوة ، وتقوى يخفى وراءه ميولا محـــرمة .

ومثل هذه السمات الظاهرية لا تكون حقيقية فى استخبار للسمات .

(٣) نظرية البناء الهرمي (التحليل العاملي)

Factor - Analysis Theory of Persolnality

هذه النظرية كما وصفها هـ. ج. إيزنك فى كتابه (الحقيقة والوهم فى علم النفس) (٣٢) والدكتور مصطفى سويف فى كتابه «علم النفس الحديث» (١٥) عبارة عن إدماج وتطوير لنظريتي الأنماط والسمات معا وإعادة بنائهما على أسس علمية عصرية روعى فيه الاهتمام بالقياس لدقة المشاهدات لضروب السلوك المختلفة، والمعالجة الاحصائية لدقة التعميم.

والمعالجة الاحصائية هنا هدفها الكشف عن العوامل المستقلة الأولية التى لا يمكن ردها إلى أبسط منها، وسميت هذه العوامل بالمحاور الكبرى للشخصية (أبعاد أو سمات رئيسية) فالمركب السيكلوجى الذى تسميه شخصية مثل المركب الكيميائى الذى نسميه الماء مثلا. وكما يحلل الماء إلى ايدروجين وأكسوجين، وهما عنصران مستقلان ويختلفان تماما عن بعضهما البعض ولا يمكن تحليل أى عنصر منهما إلى عنصر آخر أبسط منه. كذلك مركب الشخصية يمكن تحليله عامليا إلى عوامل أولية مستقلة لا يمكن ردها إلى أبسط منها. هذه العوامل هى المحـــاور الكبرى للشخصية. وهذه المحاور الكبرى هى حجر الزاوية وبيت القصيد فى هذه النظرية.

ومركب الماء العـادى (يد٢ ا) يختلف عن مركب الماء الثقيل (يد٢ ا٢) مثلا، لأن جزىء الماء العادى به ذرتين من الأيدروجين وذرة واحدة من الأكسجين أما الماء الثقيل فيه ذرتين من الايدروجين وذرتين من الأكسجين.

إذ أن التفرقة بين مركب وآخر أساسه تقدير مدى احتواء كل مركب على العناصر الأولية مقدرة تقديرا كميا. وكذلك التفرقة بين شخصية وأخرى يجب أن يبنى على أساس الحصيلة النهائية للدرجات المختلفة التى يحصل عليها الشخص فى مجموعة المحاور الكبرى للشخصية. وهذه الحصيلة هى التى تحدد طراز الشخصية الذى يميز فرد عن الآخـــر تمييزا واضحاً، وهذا هو الفرض الرئيسى فى هذه النظرية.

وكما أن البعد يدل على مسافة أو مستقيم يمتد بين نقطتين طرفيتين ، طرف يمثل أقل درجة من الطول وطرف يمثل أكبر درجة من الطول .

كذلك محور الذكاء مثلا يمتد بين قطبين قطب يمثل أكبر قدر من الذكاء (العبقرية) وقطب يمثل أدنى قدر من الذكاء (الضعف العقلي) والمسافة بين القطبين متدرجة .

فاذا كان لدينا مقياس دقيق لمحور الذكاء وطبقناه على عدد من الأشخاص بحيث ينال كل شخص درجة على هذا المقياس فان هذه الدرجة تحدد لكل منهم موضعا معينا على محور الذكاء الذى نحن بصدده .

وعلى ذلك فالأبعاد الكبرى تقدم لنا أطارا يصلح للمقارنة الكمية بين جوانب النشاط النفسى لدى الأفراد المختلفين . كما يقدم لنا مفهوم درجة الحرارة ومفهوم ضغط الدم وما إليها إطارا للمقارنة الكمية بين بعض مظاهر النشاط الفسيولوجى لدى الأفراد .

وصحيح أن المحاور ليست كل شيء عن الأفراد ولكنها على كل حال جزء من خصائصهم الرئيسية .

والمحاور الكبرى التى أمكن اكتشافها حتى الآن ثلاث : (١) الذكاء وهو محور ينتظم جميع العمليات التى درجنا على تسميتها بالعمليات العقلية العليا ، وهى تضم كل ضروب النشاط الذى يؤدى إلى تحقيق قدر من المعرفة ، (٢) محور الاتزان الوجدانى وهو ينتظم جميع العمليات الانفعالية أو الوجدانية من حيث تحقيقها لاتزان الشخصية وتوافقها أو من حيث إخلالها بهذا التوافق ، لذا نجد أنه أحيانا يطلق على هذا المحور محور العصابية ،

(٣) محور الانبساطية (وقد سبق الحديث عنه قبل ذلك وعن الانطوائية). وهناك محاور أخرى لا يزال حكم العلماء عليها معلقاً لأنها تظهر فى بعض التحليلات ولا تظهر فى البعض الآخر ومنها محور الذهانية (نسبة إلى الذهان وهو الجنون) ومحور الذكورة ضد الأنوثة ، والسيطرة ضد الخضوع ، والاكتفاء الذاتى ضد الاتكالية وغير ذلك من المحاور الكبرى .

والتحليل العاملى لبناء الشخصية الانسانية يشير إلى أنه تصميم هندسى هرمى يبدأ أسفله بقاعدة عريضة تضم وقائع سلوك الأفراد وعاداتهم وعينة كبيرة من هذه الوقائع والعادات ، ثم تتلخص هذه القاعدة فى مستوى أعلى منها عبارة عن عدد محدود من المحاور الصغرى (أو السمات» ، ثم تتلخص هذه السمات أو تتجمع فى مستوى أعلى منها هو مستوى المحاور الكبرى . ويقل عدد المفردات السلوكية من القاعدة إلى الرأس من وقائع السلوك اليومية إلى العادات ثم المحاور الصغرى ثم المحاور الكبرى .

والأبعاد الصغرى تضم عدداً كبيراً من عاداتنا ووقائع سلوكنا التى بينها علاقات منتظمة بحيث يزيد وقوعها معاً أو يقل معاً ، وكل مجموعة من العادات ووقائع السلوك يمثلها محور واحد منفصل عن المحور الآخر ، وكل عدد من المحاور الصغرى أو السمات يمثلها محور من المحاور الكبرى السالفة الذكر . فمثلا ثبت أن محور الاتزان الوجدانى يضم قاعدة مترابطة من السمات (محاور صغرى) هى : (١) القابلية للايحاء وهو ميل ثابت لدى الفرد لتقبل أفكار الغير دون مناقشة ، (٢) المثابرة وهو مداومة النشاط حتى الوصول لهدف أو القدرة على الاستمرار فى النشاط برغم صعوبته حتى الوصول لهدف

معين . (٣) الايقاع الشخصي (Personal Tempo) ومعناها ميل ثابت لدى الفرد إلى أن تصـــدر ضروب نشاطه الحركي والنفسي كالمشي والكلام والإدراك . . الخ أقرب إلى البطء أو أقرب إلى السرعة ، (٤) القصور الذاتي ومعناه ميل ثابت لدى الفرد إلى الاستمرار في نشاطه الحركي والحسي ، والفكري رغم انتهاء المؤثر الخارجي الذي أثار هذا النشاط ، (٥) سمة التناسب بين السرعة والدقة ومعناها الميل المستقر إلى أداء العمل بسرعة على حساب الدقة أو بدقة على حساب السرعة .

ولقد أثبتت الدراسات التجريبية والاحصائية أن هذه السمات الخمسة متداخلة فيما بينها . صحيح أن بينها درجة من الاستقلال والتمايز لكن بينها كذلك قدرا من الاشتراك ، بينها أرض مشتركة هي مستوى الاتزان الوجداني (المحور الكبير الذي يضمها جميعاً) ومعنى ذلك أننـــا إذا استطعنا أن نصنع مقياسا جيدا للاتزان الوجداني فعندئذ تكون الدرجة التي يصل إليها أي شخص على هذا المقياس بمثابة تلخيص بليغ للدرجات التي يمكن أن يحصل عليها إذا ما طبقنا عليه مقاييس للسمات الفرعية الخمسة . ومعنى ذلك بعبارة أخرى أننا نستطيع عن طريق الاستعانة (بمعادلات خاصة) أن ، نتنبأ بمستوى قابلية هذا الشخص للايحاء والمثابرة والايقاع الشخصي والقصور الذاتي والتناسب بين السرعة والدقة .

وتؤكد هذه النظرية — عن حق — أنه لا سبيل لتقدم أي علم من العلوم إلا عن طريقتين : (١) مقاييس صحيحة ثابتة لدقة المشاهدات ، (٢) استخدام سليم للاحصاء لدقة التنبؤ والتعميم .

ولنضرب مثلا لنعرف كيف يقاس الاتزان الوجدانى :

يستخدم لهذا الغرض مقياس رد الفعل السيكوجلفانى وهو جهاز حساس لأصغر كمية ممكنة من الكهرباء ، ومصدر الكهرباء فيه بطارية تعطى تيارا يستطيع الانسان أن يتحمله دون تألم . ونقطع الدائرة الكهربائية فى أحد مواضعها ونثبت طرفى السلك المقطوع فى نقطتين متقاربتين فوق كف الشخص الذى نقيس لديه الاتزان الوجدانى .

ومن المعلوم أن البشرة فى حالة جفافها تعتبر موصلا رديئا للتيار الكهربائى فاذا أبتلت بالعرق ، والعرق محلول ملحى ، أصبحت موصلا جيداً للتيار ، هنا يستعين الدارس ببعض المعارف الأساسية فى الصلة بين الاضطرابات الانفعالية وبين نشاط الغدد المفرزة ، فمن الأمور المعروفة فى هذا الصدد أن هذه الا ضطرابات تكون مصحوبة بزيادة نشاط تلك الغدد . وبناء على ذلك يبدأ الباحث عمله فيعرض الشخص لتنبيه مفاجىء وليكن صوتا مرتفعا كصوت بوق سيارة ، عندئذ يتحرك مؤشر السيكوجلفانوميتر حركة تتناسب فى سعتها مع كمية العرق التى تم إفرازها نتيجة للتنبيه المفاجىء ، فيسجل الباحث مقدار هذه الحركة كمقياس للاضطراب الانفعالى الذى طرأ على الشخص ، وهذا الرقم يمثل قابلية هذا الفرد للانفعال فى موقف ذى خصائص معينة . ويجب تكرار هذه التجربة على الشخص نفسه عدة مرات وتستخرج متوسط القراءات حتى نحصل على متوسط ثابت للفرد ، وكذلك تكرر هذه التجربة على عينة كبيرة من الأفراد فى مثل سن الفرد ثم نستخرج متوسط ثابت لمجموعة العينة أيضاً .

وإذا رتبنا أفراد العينة ترتيباً تصاعديا أو تنازليا استطعنا أن نتحدث عن أفراد شديدى القابلية للانفعال وأفراد متوسطين ثم منخفضين . وبذلك

يمكن مقارنة قابلية الفرد للانفعال بالافراد الذين فى مثل سنه الذين تعرضوا لظروف تجريبية واحدة . وهكذا أمكننا ترجمة الانفعالية إلى أرقام وأن نقارن بين الأشخاص على سمة معينة من سمات الشخصية مقارنة كمية دقيقة إلى حد كبير ، وكما أسلفنا القول نستطيع استخدام معادلات احصائية خاصة للتنبؤ من قياس قابلية الفرد للانفعال بقابليته للايحاء والمثابرة . . . الخ .

ان تحديد طراز الشخصية الذى يتعين بحصيلة الدرجات النهائية التى يحصل عليها الفرد على المحاور الكبرى هو الاسلوب العامى للتنبؤ والتدبر للمستقبل قبل مواجهته نختار أسلوب التربية المناسب لطراز الشخصية التى تقوم على تنشئتها .

ان أساوب التربية الذى يناسب طفلا يشغل موضعاً مرتفعاً على محور الذكاء ومتوسطاً على محور الاتزان الوجدانى وموضعاً ثالثاً متوسطاً على محور الانطواء يختلف عن أسلوب التربية الذى يناسب طفلا آخر يمثل طراز مغاير لما سبق ونحن الآن مقبلون على مرحلة جديدة فى تاريخ الإنسانية مرحلة تقتضى أن يضيع أقل وقت ممكن فى التخبط ويقتضى الأمر أن تقل نسبة الفشل فى حصيلة المشروعات التربوية إلى أقصى درجة ممكنة ، وما يقال عن التربية يقال عن أسلوب العلاج المناسب ، وأسلوب التوجيه التعليمى أو المهنى المناسب وبذلك تنتظم وتستثمر الطاقة البشرية فى مجال الانتاج والخدمات على أحسن صورة ممكنـــة .

نقـد نظرية البناء الهرمى للشخصية :

أولا — المحـــاسن :

(١) الدقة سواء فى المشاهدات عن طريق المقاييس الثابتة الصحيحة ، أو فى التنبؤ والتعميم بالطرق الاحصائية المختلفة ، وكذلك فى المقارنة الكمية

بين فرد وآخر ، وفى ذلك فوائد مؤكدة فى التوجيه والاختيار المهنى والتعليمى والعلاج النفسى وأساليب التربية المختلفة .

(٢) رغم أن محاور الشخصية لا وجود لها فى الحياة النفسية كوجود الكلام والمشى والضحك ، لكنها مع ذلك مفيدة فى بناء علمنا الحديث عن الشخصية تماماً كقاعدة خطوط الطول والعرض رغم أنها وهمية إلا أنها مفيدة فى بناء قسط من معلوماتنا الجغرافية . والمحاور تمكننا من التنبؤ بالمحاور الصغرى على درجة معقولة من الدقة ، وفى ذلك توفير كبير للجهد والوقت والمـــال .

ثانيا — العيـــوب :

(١) هذه النظرية نظام للتصنيف وليست للتعليل فقد يتساوى فردان فى الدرجة على محور معين ولكن العليه وراء هذا المحور مختلفة تماماً فى الفردين .

(٢) النظرية قاصرة عن الكشف عن الدوافع اللاشعورية التى لا يدرك الشخص وجودها أو علاقتها بسلوكه .

(٣) تجاهل العوامل الثقافية والاجتماعية فى بناء الشخصية .

(٤) لا يزال التضارب بين العلماء موجود سواء من ناحية عدد المحاور الكبرى أو من ناحية استقلال هذه المحاور .

(٤) نظرية النفس Self Theory

منشىء هذه النظرية هو العالم الأمريكى كارل روجرز Carl Rogers وقد أشار إليها لأول مدة فى كتابه بعنوان « الإرشاد الفردى والعلاج النفسى » سنة ١٩٤٢ :

" Counseling and Psychotherapy" Bostcn, Houghton Mifflin 1942.

ثم بلورها بشكل محدد فى كتابه بعنوان « العلاج النفسى المعقود على العميل » ١٩٥١

Client - Centered Therapy) Rogers, Carl R., Boston Houghton Mifflin 1951

يرى روجرز أن مفهوم الفرد عن نفسه (Concept of the Self) هو مفتاح التكوين السيكلوجى للشخصية الإنسانية .

تعريف مفهوم النفس: Self - Structure

ينشأ مفهوم الفرد عن نفسه من مجموع الأنماط الإدراكية الشعورية التى يكونها الفرد عن خصائصه الشخصية وعلاقاته مع غيره مع ما يرتبط بذلك من القيم التى يؤمن بها .

" Slf - Structure or Concept of the self, includes the patterned perceptions of the individual 's characteristics and relationships, together with the values associated with these. It is available to awarness".

ويمتص الفرد المفاهيم والمدركات والقيم التى تكون مفهومة عن نفسه من الوسائط التربوية المختلفة التى قامت بالتنشئة الاجتماعية له وأولها وأهمها الأسرة ثم المدرسة وبيئة العمل وشلة الأصدقاء وغيرها .

ويستدمج الفرد هذه الخبرات الحسية فى ذاته فى شكل رمزى بحيث تظهر فى شعوره على أنها خبراته الحسية المباشرة .

كيف يؤثر مفهوم الفرد عن نفسه فى بناء شخصيته وصحته النفسية :

قام روجرز بتسجيل عشرات المقابلات التى تمت بين المعالجين النفسين وعملائهم ممن ساء تكيفهم الشخصى والاجتماعى على أشرطة التسجيل ، بما فى ذلك الجلسات العلاجية التى أجراها بنفسه على أساس مبادىء العلاج النفسى المعقود على العميل ، ثم قام بتحليل هذه المقابلات المسجلة بهدف اكتشاف أهم العوامل التى تؤدى لسوء التكيف واضطراب الشخصية . وأسفر تحليل هذه المقابلات على أن فكرة المرء عن نفسه هى الخريطة أو الإطار المرجعى الذى يرجع إليه الفرد ويستشيره خاصة فى مواقف الأزمات واتخاذ القرارات الحاسمة فى الحياة والمفاضلة بين الأهداف وتحديد نوع علاقته بالغير وطريقته فى حـــل المشكلات .

كما أسفر التحليل على أن إدراك الفرد لصورة جديدة ، وصحيحة لنفسه وتقبله لها هو العامل الرئيسى الذى يجعله يقوم بالتغيير المناسب إما فى بيئته الداخلية النفسية أو بيئته الخارجية المادية والاجتماعية ، وبذلك يتحسن أسلوب تكيفه وتعالج مشاكله ويعاد تنظيم شخصيته . بناء على اكتساب هذه البصيرة الجديدة Insight ، أى أن تكوين البصـــــيرة أو اكتشاف النفس Self - Exploration وتقبل النفس Self Acceptance يؤدى إلى إعادة تنظيم النفس Self - Rcorganization ثم إلى قيام الفرد بتغيير ذاته أو بيئته أى تحقيق النفس Self - Actualization ، والمهمة الرئيسية للمعالج النفسى . كما يؤكد روجرز هى مساعدة المريض على إنماء وتقبل صورة لذاته ملائمة لدوره فى مجالات الحياة الهامة ، ثم مساعدته على أن يختبر هذه الصورة فى العالم الواقعى وأن يحولها إلى حقيقة تكفل له السعادة وللمجتمع المنفعة .

فكأن أساوب التكيف العام للشخص من ناحية طريقته فى حل مشاكله وعلاقته مع الناس ، وفى التعويض عما يشعر به من نقص يتوقف على الحكم الذى يصدره الفرد على نفسه ، أو الصورة التى يكونها المرء بنفسه عن نفسه ،

من حيث ما يتسم به من صفات جسمية وعقلية ووجدانية واجتماعية وخلقية يرضى عنها أو يكرهها ولا يسيغهـــا ، وما يراه فى نفسه من نواحى القوة والضعف ، وما يجب عليه عمله أو الامتناع عنه ، مما يدخل فى أسلوب التكيف العام مفتاح فهمنا لبناء شخصية أى فرد ، فكأن الشخصية هى دالة أو وظيفة فكرة المرء عن نفسه ، وأساس إعادة توازن الشخصية مرهون باكتشاف النفس وتقبلها الذى يؤدى إلى الثقة بالنفس والاعتماد على النفس ، وبذلك يتحقق نضج الفرد واستقلاله دون الاتكال على المعالج النفسى أو غيره من الأفـــراد .

ويضيف روجرز أننا لن نفهم النفس إذا انصرف اهتمامنا عن مشاعر الفرد وانفعالاته ومدركاته إلى بيئته الواقعية بما فيها من حقائق موضوعية .

ان الحقائق قوة خامدة ولكن المشاعر قوة محركة . ان ما يحرك سلوك الناس ليس الفقر فى حد ذاته ولكن شعور الفرد بالفقر ونمط إدراكه لحقيقة الفقر وقيمه المرتبطة بالفقر ، وما ينطبق على الفقر ينطبق على البطالة ، وعلى المرض وغير ذلك من الحقائق الموضوعية فقد يرى أن (الفقر حشمة والعز بهـــدلة — أو تجرى جرى الوحوش وغير رزقك ما تحوش — أو الله يرزق الهاجع واللى نايم على ودنه) هذه المشاعر والقيم سوف تحرك هذا العميل إلى التواكل على مساعدة الغير وعدم نضج النفس واستقلالها بعكس عميل آخر يعتقد أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وان الاتكال على الله فيما لا طاقة لنا به فقط ، وبدون بذل الجهد والكفاح هو التواكل بعينه ، ومثل هذه المعتقدات سوف تدفع العميل إلى تجنيد قدراته وطاقاته إلى العمل وتحقيق النفس .

وفيما يلى أهم العوامل التى تؤدى إلى إضطراب شخصية الفرد وتفككها طبقاً لمفهوم الفرد عن نفسه :

(١) مدى التعارض بين صورة الفرد عن نفسه كما يدركها ويشعر بها ، وما هى عليه فى الواقع طبقاً للدور الفعلى الذى يقوم به الفرد خاصة فى مجالات التكيف الهامة وأهمها البيت ، والعمل ، والمدرسة والأصدقاء وكلما زاد الصراع بين أدوار النفس زاد تفكك الشخصيـة واضطرابها

(٢) استصغار النفس وعدم تقبلها وكرهها يجعل الفرد يخفى حقيقة نفسه عن الغير مستخدماً وسائل الدفاع المختلفة كالتبرير والاسقاط والتقمص والتعويض وغير ذلك من أساليب تشوية الواقع وانكاره دفاعاً عن النفس وعدم تعرضها للاهانة ، والاسراف فى هذه الوسائل الدفاعية يؤدى إلى تفكك الشخصية واضطرابها .

(٣) حيث أن فكرة المرء عن نفسه تكفه عن فعل ما يمس احترامه لنفسه إذن فهى تتصل اتصالا وثيقاً بضميره . وعليه إذا زادت ضغوط الحيـــاة والمواقف الاحباطية وأتى الفرد بتصرفات تتنافى مع فكرته عن نفسه وضميره عانى من الصراع النفسى وتدهورت صحته النفسية واضطربت شخصيته .

(٤) فكرة المرأ عن نفسه قد تكون غامضة أو ناقصة أو خاطئة أو مبالغ فيها ، لذلك يحدد الفرد لنفسه أهدافا أو مستوى طموح غير واقعى وبالتالى تزداد المسافة بين مستوى الطموح ومستوى الاقتدار أى بين ما يرغب فيه الفرد وبين ما يقدر عليه بالفعل مما يولد

القلق والتعاسة واحتقار النفس ، وتضطر الفرد إلى اقصاء مشاعر النقص بتأكيد الشعور بالقوة فى مجالات أو بأساليب شاذة تؤدى إلى الانحرافات السلوكية واضطراب الشخصية مثل إخفاء النقص وراء ظلم وهمى من الغير ، أو اخفاء النقص وراء مرض متوهم ، أو تحقيق القوة عن طريق احلام اليقظة ، أو تحقيق القوة عن طريق الجريمة ، أو عن طريق الاختلاق (المعـر والفشر بأمجاد خيالية) أو جذب انتباه الغير قسراً بأساليب شاذة مبتذلة وما إلى ذلك من أنواع الانحرافات النفسية .

(٥) تصادم فكرة المرء عن نفسه من الواقع فى العالم الخارجى أو مع عالمه الداخلى أى مع ضميره أو مع دوافعه الفسيولوجية يهدد بالخطر ويولد القلق والمخاوف وغيرها من الانفعالات السلبية الحبيسة المؤلمة أو المخيفة أو المشينة الذى يعرقل قوى النفس من الانطلاق وتزيد من تشويه فكرة المرء عن نفسه ومتاعبه النفسية واضطراب شخصيته .

كيف تتكون صورة النفس :

(١) نتيجة معاملة الكبار للفرد خاصة الوالدين ومدى ما يظهروه من استحسان أو استهجان .

(٢) مركز الطفل فى أسرته وما يمنحه هذا المركز من امتيازات خاصة أم يحرمه من حقوق .

(٣) مقارنة النفس بالغير خاصة الزملاء .

(٤) ما يقدمه الفرد للمجتمع من أعمال نافعة تشعره بأن لديه كيانا وأنه موضع تقدير اجتماعى .

(٥) ما يلقاه الفرد فى الحياة من نجاح أو فشل .

وفى عبارة موجزة يلخص روجرز وصاياه لبناء الصحة النفسية كما يلى : « افهم نفسك ، تقبل نفسك ، كن نفسك . اضبط نفسك ، ثق فى نفسك اعتمد على نفسك » .

نقـــد نظرية النفس :

المحـــاسن :

(١) قدمت هذه النظرية مفتاحا جديدا لفهم الشخصية فى تكاملها وتفككها وأسلوبا جديدا فى العلاج النفسى . فالمفهوم الغامض أو الخاطئ أو الناقص عن النفس يؤدى لتفكك الشخصية والأسلوب الصحيح المنطقى الواقعى عن النفس يؤدى لتكامل الشخصية ، واحتقار النفس يؤدى إلى إخفائها بحيل نفسية دفاعية يؤدى الإسراف فى استخدامها إلى تبديد طاقات الشخصية وانكار الواقع وتشويه واضطراب الشخصية . وتقبل النفس يؤدى إلى الرضى عن الذات والناس والاعتراف بمحاسنها وعيوبها كما هى دون الحاجة لإخفائها أو خداعها .

والعلاج النفسى يبدأ بالفضفضة عن المشاعر المؤلمة الحبيسة التى تحيط مفهوم النفس بالغموض ، إلى أن يكتشف العميل نفسه وتتكون بصيرته فيعيد تنظيمها ويحققها بتغيير نفسه أو بيئته وبذلك يصل للنضج والاستقلال والاعتماد على النفس دون الحاجة لمساعدة المعالج أو غيره من الناس .

العيـــوب :

(١) وقعت هذه النظـــرية فى منزلق وحدانية السبب سواء فى تكوين

الشخصية أو فى استوائها أو اعتلالها فالسبب فى ذلك كله واحد يدور حول مفهوم النفس . وهذا تعميم يعوزه السند العلمى إذ لا يمكن تجاهل الأسباب الأخرى العضوية والعقلية وكثير من الأسباب النفسية الأخرى والأسباب البيئية الاقتصادية والفيزيقية والاجتماعية والثقافية .

(٢) إن مجرد تصحيح فكرة المرء عن نفسه لا يضمن استواء الشخصية وسلامتها ، وفى كثير من الاحيان يحتاج العميل مضطرب الشخصية بجانب تصحيح فكرته عن نفسه بعض المساعدات البيئية للتخفيف من الحرمان المادى والمعنوى الكائن فى بيئته أو القيام بعلاج مرض جسمى ، والجسم هو وعاء النفس ذاتها ...الخ . فبجانب كرامة النفس وعزتها وكبريائها ضرورات الحياة ومستلزمات بقائها .

(ه) النظرية السلوكية (نظرية المثير والاستجابة)

Behavioral Theory of Personality

أسس هذه النظرية العالم الأمريكى واطسن Watson سنة ١٩١٣ وبلورها فى عدة كتب له أهمها كتابه بعنوان « السلوك — مقدمة لعلم النفس المقارن ١٩١٤ » .

Waston "Behavior-An Introduction to Comparative Psychology" 1914

وكتاب « علم النفس من وجهة نظر سلوكى ١٩١٩ » ، وسار على نهجه من بعده اتباعه وأشهرهم جاثرى وإسكنر وهل وثورنديك وغيرهم . ولقد اختلف بعضهم مع واطسن فى بعض التفاصيل ولكنهم يشتركون معه فى المبادىء العامة للنظرية .

أهـــم فـــروض النظرية :

أولا : الشخصية تتكون من مجموع عادات متعلمة أو مجموع سمات مكتسبة طبقاً للارتباط الشرطى بين المنبهات والاستجابات وليس هناك شىء اسمه ذكاء موروث أو غرائز موروثة ، فالذكاء طرق مكتسبة فى التفكير السليم ، والغرائز والانفعالات طرق مكتسبة بمواقف اللذة والألم . والتفكير ما هو إلا كلام داخلى مسئول عنه غدد وأجهزة داخلية محكومة بشروط بيولوجية محددة ، والانفعالات هى اضطرابات حشوية مرتبطة بافرازات غدية وحالة الجهاز العصبى . وفى هذا يقول واطسون (أعطونى عشرة من أطفال أصحاء التكوين فسأختار أحدهم جزافاً ثم أدربه فأصنع منه ما أريد عالماً أو لصاً بغض النظر عن مواهبه وأسلافه) . ومعنى ذلك أن شخصية الانسان لعبة فى يد البيئة تحركها كيفما تشاء أو مثل تمثال الصلصال فى يد المثال يشكله كيفمـــا يشاء .

ولننظر كيف تتكون عادة الخوف ، (وهى عادة وجدانية) تجريبيا

بفعل الرباط الشرطى و لإثبات ذلك أتى واطسون بطفل اسمه (البرت) وعمره (١١) شهرا . ولقد اعتاد هذا الطفل أن يلعب مع الفئران البيضاء و لا يخاف منها ، وعلى ذلك فهى منبهات بيئية لا تثير الخوف لدى الطفل البرت جاء من خلف الطفل وفجأة وضع الفأر فى حجرة ، وفى نفس اللحظة قرع جرس عال فخاف الطفل ، ثم كرر واطسون هذا الارتباط الشرطى السريع بين المنبه الشرطى (الفأر) والمنبه غير الشرطى (الطبيعى) وهو الجرس ، وبعد ذلك قدم المجرب المنبه غير الشرطى بمفرده (الفأر) فخاف الطفل وارتعد بعد أن كان لا يخاف منه ، وبذلك تكونت عادة الخوف من الفأر تجريبياً بفعل عوامل بيئية (قانون التدعيم) وبنفس الطريقة تتكون العادات العقلية والعادات الحركية وتكون العادات مرتبطة بمنبهات شرطية خاصة حسب خبرات كل فرد مما يجعل له بناء فريد فى شخصيته يختلف عن الأفراد الآخرين .

وعلاوة عما سبق فان الطفل البرت أصبح يخاف من كل شىء يشبه الفأر فى خاصيته الفرائية . فقدم واطسون له أرنباً فخاف منه ، ثم قطعة من القطن فخاف منها أيضاً ، وكذلك أى معطف مصنوع من الفراء ، وهذا هو قانون التعميم الشرطى . ولكن يمكن للكائن الحى أن يميز بين المنبهات المتشابهة إذا أعطى المنبه المطلوب دون سواه تدعيماً عن طريق ربطه بمزيد من صوت الجرس العالى المفاجىء دون سواه (قانون التمييز) ...الخ .

وحتى لو حدث تكرار الاقتران السريع بين الأرنب وأى منبه شرطى آخر لا تربطه به أى علاقة منطقية أو عملية مثل التربيت باليد على الظهر مثلا ، فيمكن أن يخاف الكائن الحى من مجرد التربيت على الظهر حتى وإذا لم يرتبط بالمنبـه المخيف أصلا (صوت الجرس العالى المفاجىء) وهذا هو قانون الارتباط الشرطى الثانوى .

وعادة الخوف من الأرنب لا تظل ثابتة إن لم يحدث تدعيم بين وقت وآخر وبدون تدعيم تضعف تدريجياً (قانون الخمود أو الإنطفاء) . وإن كان الخوف يمكن ظهوره بعد ذلك تلقائياً بعد الخمود وبدون تدعيم (قانون العودة التلقائية) .

وإذا أردنا علاجا نفسيا لخوف البرت من الأرنب فنراعى الشروط الآتية :

١ - أن نضعف من شدة المنبه المخيف كأن نقدمه لألبرت في قفص مغلق مثـلا.

٢ - التعرض التدريجى للمنبه المخيف كأن نقربه إلى البرت تدريجياً . وباضعاف شدة المنبه وعرضه تدريجياً تضعف قوته تدريجياً فى إثارة الاستجابة المنعكسة الشرطية (الخوف) .

٣ - توفر فى نفس الوقت لالبرت بيئة آمنة (بتواجد أمه مثلا) ونعرضه لمنبهات سارة (تقدم له بعض الشيكولاته مثلا) وبتكرار هذا العمل وهو ما ينص عليه قانون التكييف السلبى بتلاشى الخوف . وهذا هو جوهر العلاج النفسى السلوكى .

ثانيا : شخصية الانسان ليست ثابتة ثباتا مطلقاً أو ثباتا نسبياً ولكنها ديناميكية متطورة بحسب نوعية الموقف البيئى . فليس هناك شخص أمين أو صادق مثلا فى كل زمان ومكان ، ولا أمين فى أغلب الأحيان ، ولكن نوعية الموقف البيئى هى التى تجعل منه أمينا صادقاً أو خائنا كاذبا .

فقد يكون الشخص أمينا مع أصدقائه أو مع والديه ولكنه خائناً غشاشاً مع الغرباء أو فى الامتحانات خاصة لو تواجدت ظروف ضغط أو اغراء شديد ، وهكذا تختلف سمات الشخصية بحسب نوعية الموقف البيئى . لذلك يقول السلوكيون ، (ليس هناك شخص أمين أو صادق ولكن يوجد أفعال أمينة وأفعال صادقة) .

ومن التجارب التى تثبت ذلك تجربة هارتشورن Hartshorne وماى May على عينة ضخمة من أطفال المدارس الابتدائية تبلغ (٨٠٠٠) طفل من مختلف طبقات المجتمع الأمريكى بقصد قياس بعض السمات الخلقية لديهم مثل العطف والتعاون . فقام الباحثان بتهيئة موقف أو ظروف بيئية للاطفال تظهر فيها سمة التعاون دون أن يعرفوا الغرض من الاختبار .

طلب الباحثان من معلمى الأطفال أن يقدموا لكل تلميذ فى العينة هدية من أقلام ومفكرات ومماح وغيرها ، ولكل منهم أن يتصرف فى هذه الأشياء كيف يشاء فقد أصبحت ملكا له .

ثم يتقدم المعلمون بعد ذلك باقتراح من مدير المدرسة فحواه أن كثيرا من تلاميذ مدارس أخرى فقراء بهم حاجة إلى هذه الأشياء المهداة ، فمن أراد أن يمنحهم شيئاً من عنده فليضعه فى مظروف يكتب عليه اسمه ثم يدعه عند معـــاون المدرسة ، ومن لم يرد فلا إثم عليه . ثم تسجل نتائج الاختبار بطريقة مقننة ، وتقدر درجاته فى مقياس التعاون ، ثم تكررت التجربة على صفات أخلاقية أخرى فى مواقف نوعية مختلفة . ولقد وجد الباحثان أن السلوك اللفظى الخلقى شىء والسلوك العملى شىء آخر . أى أن سلوك الطفل فى موقف يتحدث فيه عن التعاون والعطف شىء وموقف السلوك العملى شىء آخر . ومما يؤكد ذلك ما وجده الباحثان بأن درجة الارتباط بين المعلومات الأخلاقية عن التعاون مثلا ونتائج الاختبارات الموقفية حوالى ٠,٢٥ فقط ، أى أن سلوك الانسان يتوقف على الظروف الخارجية البيئية المتغيرة أى نوعية الموقف البيئى .

ومن النتائج الأخرى لهذا الاختبار أن درجة الارتباط بين المعلومات الأخلاقية والذكاء ٠,٧٠ ، وأن الأطفال الأذكياء يغشون أقل من متوسطى

الذكاء ومن هم دون المتوسط فى الذكاء ، وأن أطفال الطبقات الاجتماعية الاقتصادية الميسورة يغشون أقل من أطفال الطبقات الفقيرة (هذا فى أمريكا) ، وأن التعليم الدينى (ليس السلوك الدينى) ومدارس يوم الأحـد ذات أثر طفيف فى اكتساب الطفل سمة الأمانة ان كان المستوى الاجتماعى الاقتصادى خفيضاً (١٦) .

ثالثا : أن الكل يتكون من مجموع أجزائه لا أكثر ولا أقل ، وإذا أردنا أن نفهم الكل لابد أن نبدأ بفهم أجزائه جزء جزء على حدة .

فالشخصية الانسانية تتكون من مجموع سمات جسمية وعقلية وانفعالية وحركية ، وإذا أردنا دراسة الشخصية لابد من تهيأة مواقف بيئية تظهر فيها هذه الصفات للغير ، ويجب أن يتعدد الفاحصون وأن يقيمو هذه السمات التى يمكن ملاحظتها من الخارج (الموضوعية) تقديرا كميا رقمياً ، وأن يكون تعريف السمة ثابتاً وواضحاً لدى جميع الفاحصين أو الملاحظين . أما السمات التى يدركها المفحوص عن طريق ملاحظته نفسه داخلياً (التنبؤ الباطنى أو الاستبطان فهذه السمات أما أن تكون وهمية أو خاطئة أو مبالغ فيها ولا يمكن الاعتماد عليها بحال من الأحوال .

(٤) أن احتمال ونوعية استجابة الفرد فى الموقف البيئى الحاضر يتوقف على عادات الفرد المكتسبة فى المواقف البيئية الماضية والمشابهة لظروف الموقف الحاضر . فالفرد الذى اعتاد أن يحل مشاكله عن طريق الضغط على الغير بتمارضه أو تمرده وعناده ، ونجحت معه هذه الطرق فى الماضى ، فهناك احتمال كبير أن يستخدم الفرد هذا الأسلوب التكيفى فى المواقف البيئية الحـاضرة .

وهكذا تتكون سمات الانسان بوسائل آلية ميكانيكية . فالرباط الشرطى

محكوم بالتلازم ، والتكرار ، والتدعيم ، والأثر ، والحداثة ، وشدة المؤثر ، وسرعة الإثابة ، وشدة الإثابة ، وكل هذه الشروط خارجة تماما عن الغرض الذى يريد أن يحققه الفرد بسلوكه أو المعنى الذى يقصده أو مشاعره وانفعالاته المرتبطة بالموقف البيئى الشرطى . فكأن الانسان آلة محكومة بقوانين الرباط الشرطى بصرف النظر عن مشاعره وتفكيره وأهدافه وضميره وغرائزه وفكرته عن نفسه ...الخ. من التكوينات الإفتراضية التى لا معنى لها .

نقـد النظرية السلوكية :

المحـاسن :

(١) حققت السلوكية للبشرية المفاضلة الكمية بين شخصيات الأفراد مما يتيح لنا أساليب دقيقة فى انتقاء أصلح الأفراد للمهن أو البرامج الدراسية المختلفة وكذلك توجيههم توجيها تعليميا ومهنيا .

(٢) قياس السمات يتيح لنا تقييم مدى التقدم فى العلاج النفسى وكذلك تشخيص انحرافات الشخصية .

(٣) تساعدنا فى تقييم أثر طرق التدريس أو التدريب المختلفة فى التغييرات التى تطرأ على شخصية الأفراد .

(٤) تساعدنا فى دراسة مدى التوافق أو التنافر بين شخصيات المتقدمين للزواج حتى يمكن إرشادهم قبل الزواج .

العيـــوب :

(١) تتجاهل النظرية العلاقة المتبادلة بين السمات المختلفة. فبرغم تماثل درجات فردين فى سمة حب التملك وسمة السيطرة مثلا . فقد نجد فى الأول أن حب التملك وسيلة للسيطرة وفى الثانى قد نجد

أن السيطرة وسيلة للتملك وهكذا نجد أن تركيب شخصية الفرد ين مختلفين برغم تماثلهما فى السمات الظاهرة .

(٢) السمات الظاهرة لا تنم فى حالات كثيرة عن الحالات الشعورية أو اللاشعورية الباطنية ، فكم من شجاعة ظاهرة تخفى خوفاً وجبنا باطنياً ، وكم من مظاهر التقوى والورع تخفى الإثم والعدوان ، وكم من حبيب يبدى خشونة بل كراهية ظاهرية نحو المحبوب كستار يخفى حنيناً لا شعورياً أو شعورياً لحب وعطف المحبوب ، ويجاهد الحبيب فى ذلك حرصاً على كبريائه أو كرامته أو مفهومه عن نفســه .

ومن الأمثلة الشعبية فى هذا الصدد «إسعى إليه وشاغبيه ولاترتمى عليه وتدلليه التقل صنعه» وتسمى الحالة التى يتجاذب فيها الفرد عاطفتان متعارضتان التناقض الوجدانى (Law of ambivalence)

(٣) الكل لا يساوى مجموع أجزائه إلا فى لغة الحساب ، أما فى المركبات المعقدة فالكل أكبر من مجموع اجزائه مثل المركبات الكيماوية والمركبات السيكلوجية مثل الشخصية والذكاء وغيرها . وصفات المركب الكيماوى كالماء مثلا تختلف عن سائر صفات عناصره وهى الإيدروجين والأكسوجين كل على حدة . فالمخلوط الذى يتألف من عناصر متراصة كقوالب الطوب المنفصلة هو ما يساوى مجموع عناصره . أما المركب المندمج العناصر فالجزء فيه لا يفهم معناه إلا فى ضوء الكل، والتأثير بين الاجزاء تأثير متبادل ، وكذلك مجموع السمات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية فى الشخصية

لا يساوى الشخصية دون توضيح العلاقة بين الاجزاء وكيف تكونت هذه الأجزاء .

(٤) تتجاهل النظرية أثر الوراثة على الاطلاق ، وهذا تعميم يعوزه السند العلمى فلم توجد تجربة علمية حتى الآن جعلت من ضعيف العقل بالوراثة عادى الذكاء أو ذكياً مهما تحسنت عوامل البيئة . ولم توجد تجربة علمية حتى الآن ألغت تشابه التوائم المتطابقة وراثيا الذين تربوا فى بيئات منفصلة فى الصفات الجسمية والعقلية ودائما اختلاف البيئة لا يلغ وحدة المولد ، وغير ذلك من الأدلة العلمية التى لم يثبت عكسها .

(٥) أما تجربة هارتشورن وماى فتتضمن العيوب الآتية :

أ — أجريت على الأطفال قبل ثبات تكوينهم الخلقى والاجتماعى وكثير من الراشدين العاديين لديهم صفات أخلاقية واجتماعية تظهر فى أقوالهم وأفعالهم وثابتة لحد كبير ، أى ثابتة ثباتا نسبياً ، فى كثير من المواقف لا كل المواقف .

ب) أجريت على بعض الصفات دون غيرها ، فقد اثبتت التجارب العلمية أن صفة حب الاجتماع بالناس وسرعة الانفعال على درجة كبيرة من الثبات عند الصغار والكبار

(٦) لا يمكن تجاهل الحالات الشعورية أو البيئة السيكولوجية للفرد ، فنحن ندرك عناصر الواقع لا كما هو ولكن كما يبدو لنا وكما ندركه ونشعر به أى نعطى له معنى سيكلوجيا ، والسلوكية تتجاهل هذا المعنى ، مما دفع السلوكية الحديثة للاعتراف بصحة الحالات الشعورية التى تظهر فى شكل تقرير لفظى فقط دون تغيير أو تحليل هذا التقرير .

(٦) نظرية المجال (الجشطلت)

Field Theory of Personality

رائد هذه النظرية هو العالم الألمانى الأصل، الأمريكى الجنسية كيرت ليفين (Lewin) ، وقد حدد معالم هذه النظرية فى كتب عدة أشهرها كتابه بعنوان (النظرية الديناميكية للشخصية ١٩٣٥)

Lewin K., "Dynamic Theory of Personality" 1935.

ولقد عرف كيرت ليفين الشخصية بقوله : « الشخصية عبارة عن وحدة ديناميكية دائمة التفاعل بين عدة قوى ذاتية داخلية وبيئية خارجية تشكل المجال السلوكى للفرد الذى يحدد نمط تكيفه مع نفسه ومع بيئته المادية والاجتماعية ».

وحتى نفهم جوهر هذه النظرية نستعرض أهم الفروق بينها وبين المدرسة السلوكية فيما يتصل بالفروض الرئيسية :

النظرية السلوكية	نظرية المجال (الجشطلت)
(١) تهتم بالارتباط الآلى الشرطى بين المنبه والاستجابة لتحديد بنـاء الشخصية .	(١) تهتم بكيفية إملاك الفرد لمعنى المنبهات وهذا الإدراك أو المعنى هو الذى يحدد الاستجابة والشخصية .
(٢) تهتم بقوى البيئة المادية والاجتماعية كأساس لتكوين الشخصية .	(٢) تهتم بتفاعل القوى الداخلية الذاتية (جسمية عقلية نفسية) والقوى الخارجية (مادية واجتماعية واقتصادية) كأساس لتكوين الشخصية ، ومعنى التفاعل هنا هو تحديد التأثير المتبادل بين القوى المختلفة .
(٣) الكل يتكون من مجموع أجزائه لا أكثر ولا أقل . ولدراسة الشخصية نهتم بدراسة أقل عدد من السمات الجزئية المستقلة احصائيا والتى يمكن قياسها كميا بواسطة اختبارات مقننة أما استخبارات أو موازين للتقدير.	(٣) الكل أكبر من مجموع الاجزاء وتمزيق الكل إلى أجزاء يفقد الكل (الجشطالت) خواصه ، ولدراسة الشخصية نعطى الفرد الفرصة للتصرف ككل بحرية فى مواقف بيئية مخططه فتظهر صفات معينة يحكم عليها الفاحصون إما بأسلوب كيفى أو كمى حسبما يتراءى لهم بشرط ألا يعلم المفحوص الغرض من هذا الاختبار الموقفى ، وبشرط أن يركز الفاحصون على أسلوب الفرد الثابت نسبياً فى حل مشاكله وفى علاقته مع الناس وكيفية تعويض نقصه ، أى أسلوب تكيفه العام مع نفسه ومع بيئته المادية والاجتماعية وهو أبرز ما يميز شخصية فرد عن الآخر .
(٤) تهتم بعادات الفرد الماضية كأساس للتنبوء بسلوكه فى المستقبـــل :	(٤) تهتم بسلوك الفرد فى الموقف الحاضر كأساس للتنبوء بسلوكه فى المستقبل ، والماضى مهم طالما يعيش فى إدراك الفرد الحالى وإلا فلا أهمية له .

ونحن فى مجال الخدمة الاجتماعية للاحداث الجانحين مثلا نسير على منهج نظرية المجال فى دراسة شخصية الحدث أثناء تواجده فى دار الملاحظة ، إذ نتيح له فرصة التعبير ككل بحرية عن نفسه أثناء النشاط الرياضى والثقافى والاجتماعى والفنى وعند قيامه بالمسئوليات المختلفة بالدار . وفى هذه المواقف المتعددة ودون أن يشعر الحدث يكتب الاخصائى الاجتماعى بدار الملاحظة تقرير السلوك والشخصية على أساس حكم أو تقييم كيفى أو كمى لأهم عناصر شخصية الحدث وأسلوب تكيفه العام فى الوقت الحاضر .

ويستعين إخصائى مكتب الخدمة الاجتماعية بهذا التقرير وغيره من تقارير المختصين (النفسى والطبى والطبى النفسى ... الخ.) وكذلك تقارير دراسة البيئة الاجتماعية للحدث لتكوين الصورة العامة الشاملة لشخصية الحدث من زوايا نظريات متعددة وتحديد أهم العوامل التى لعبت دورا رئيسياً فى الجناح حتى يمكن رسم خطة الإصلاح ويطرح هذا كله أمام قاضى محكمــة الأحداث للتصرف على ضوء الواقع الموضوعى كما جاء فى التاريخ الاجتماعى (Social History) وكما ظهر فى مواقف الحياة الفعلية الحاضرة ، وقد سبق الحديث عن هذا الموضوع تفصيلا فى موضوع بناء الشخصية .

ويظهر من عرض الفروق بين المدرسة السلوكية والمجالية أن نظرية المجال ثورة على المدرسة السلوكية حتى لقد ذكر بعض المجاليين : أن علم النفس قد انتحر على يد السلوكيين (ومن هنا ظهرت السلوكية الجديدة التى تهتم بالحالات الشعورية (دون تحليل) التى يدركها الفرد دون سواه، من الملاحظين الخارجيين بجانب ما يقوله ويفعله، فى ظروف بيئية معينة تظهر للملاحظ الخارجى).

ومن المفاهيم الرئيسية فى هذه النظرية مصطلح الجشطلت Gestalt ، والمجال (Field) ، والشكل والأرضية (Figure & Ground) ، والبصيره Insight ومصطلح

الجشطالت سبق الحديث عنه ويعنى الكل المتكامل الأجزاء أو المركب عكس المخلوط ، أما المجال فيعنى البيئة السكلوجية للفرد ، أى الواقع الذاتى والبيئى كما يدركه وليس كما هو فى الواقع ، والذى يتكون نتيجة تفاعل عدة قوى داخلية وخارجية تحدد سلوك الفرد الغالب فى حل مشاكله وتعامله مع الناس.

والأرضية هى الخلفيــة أو مجال السلوك الكلى للفرد ، والشكل هو الخبرة التى يهتم بها الفرد أكثر من غيرها فى وقت معين ، (إطار الصورة = الأرضية ، والصورة = الشكل ، صفحة الكتاب الأرضية وعنوان الموضوع بالصفحة = الشكل وهكذا) .

والمقصود بمصطلح الشكل والأرضية هنا أن الخبرة التى يمر بها الفرد فى موقف معين أو أى سمة بارزة من سمات شخصيته (الشكل) سوف تتأثر وتتحدد بخصائص الجو العام أو المجال السلوكى الكلى الذى يدركه الفرد ويشعر به (الأرضية) .

فالتنشئة الاجتماعية للفرد فى أرضية أو مجال ديمقراطى ، غير التنشئة الاجتماعية فى مجال دكتاتورى ، أو فوضوى ، ويختلف بناء شخصية الفرد فى كل مجال منهم - والمجال العاطفى العام فى الأسرة الذى يتكون من العلاقة الزوجية والوالدية والعلاقة الأخوية يؤثر فى النضج الإنفعالى للفرد (الشكل) وسوف لا يفهم هذا النضج إلا فى ضوء هذا المجال .

والرأى العام فى الجماعة التى ينتمى إليها الفرد (المجال) سوف يؤثر فى الرأى الخاص للفرد (الشكل) الذى يتفاعل مع هذه الجماعة . وسوف لا يفهم الرأى الخاص إلا فى ضوء الرأى العام للجماعة التى ينتمى إليها الفرد . لذلك إذا أطلقنا شعارا يقول : (أن شخصية المواطن العربى الصالح الذى نريد تكوينه هى ، ذلك المواطن السليم بدنياً وعقلياً وخلقياً ، المؤمن بربه . وبوطنه ، وبقوميته العربية ، العارف بحقوقه وبواجباته والمقدر لمسئولياته والمتفاعل

مع مجتمعه بشكل يجعله مستعدا دائما للتضحية والبذل لبناء المجتمع الاشتراكى العربى) .

هذا شعار جميل لا شك، وأجمل مافيه معرفة المجال والبصيره والمنهج الذى يحقق بناء هذه الشخصية . ونظرية المجال تحدد ذلك بشكل واضح كما يلى :

(١) دع هذا المواطن يعيش فى مجال سلوكى اشتراكى يؤمن بربه ووطنه وقوميته العربية بحيث يتواجد فى هذا المجال القدوة الصالحة والمثل العليا المؤمنة بهذه الصفات .

(٢) اتح أكبر قدر من الممارسة العملية للفرد وأكبر قدر من المشكلات والخبرات الاشتراكية التى يتفاعل فيها الفرد وسط هذا المجال وهىء له وسائل الترغيب للهدف المطلوب إلى أقصى حد ممكن ، وحبذا لو بدأنا هذه الممارسة فى وقت مبكر من حياة الفرد حيث يزداد قابلية شخصيته للتشكيل فى الاتجاه المرغوب .

(٣) ضع برنامجا متوازنا بين المعلومات العقائدية والممارسة العملية لهذه المعلومات ، أى نتحاشى الإفراط فى الشحن العقائدى، أو التفريط فى العمل ، وبذلك تغذى الفكرة الخبرة، والخبرة تغذى الفكرة فتتدعم النصيرة وتنمو فى الاتجاه المرغوب .

(٤) استخدم من أساليب الاقناع إلى أقصى حد ممكن واضعاً الهدف نصب عينيك (اشتراكية نؤمن بالله وعلمية تؤمن بالمجتمع) ، أضرب أمثلة ، وازن بين الحلول المختلفة للمشاكل ، قيم التجارب الأخرى للامم فى ضوء واقعنا ، تقدم من الأمثلة للقاعدة ، أو طبق القاعدة على الأمثلة ، والهدف من كل هذا هو إعادة تنظيم المجال الإدراكى للمواطن بحيث يدرك علاقات جديدة بين

الوسائل المتاحة والأهداف التى نطلقها (بصيره) حتى تصبح الأهداف التى نريدها هى أهدافه الخاصة ، فالإنسان مخلوق هادف يسعى لغرض ويحاول دائما أن يختار من بيئته الموضوعية ما يتلائم مع أغراضه (بيئته السيكلوجية) . ولذلك تعرف البصيره بأنها عملية إعادة تنظيم المجال الإدراكى للفرد بشكل يسمح باكتشاف علاقات سببية جديده بين الوسائل المتاحة والأهداف المطلوبة .

أما من ناحيـة تطبيق فروض هذه النظرية فى مجال العلاج النفسى نجد ما يلى : —

(١) اتاحة أكبر قدر من التفاعل النشط بين العميل والمعالج . فالعميل يجب أن يكون ايجابيا لا سلبيا ، يشارك بفاعلية فى الدراسة والتشخيص والعلاج يشجعه المعالج على ذلك لأقصى حد ممكن .

(٢) مساعدة العميل على إدراك علاقة جديدة بين مفهومه لنفسه ومطالبه البيولوجية والضميرية ومطالب المجتمع الذى يعيش فيه حتى يكتشف بنفسه أساليب التشويه فى أفكاره أو الهروب من الواقع أو خداع النفس والناس (تكوين البصيرة) .

(٣) إتاحة أكبر قدر من الجـو العلاجى السمح الذى يتيح أقصى قدر من التعبير الحر عن المخاوف والمغاضب والذكريات المؤلمة الحبيسة والشهوات المحرمة دون الاصطدام بأحكام خلقية يصدرها المعالج ، ودون هذا التفريغ الانفعالى سوف يتعرقل تكوين البصيرة أو انطلاق النشاط الذاتى للعميل لحل مشاكله .

(٤) التخفيف من الحرمان المادى والمعنوى الذى يتعرض له العميل فى الوقت الحالى بإتاحة مجال عاطفى ايجابى فى مجالات التكيف الهامة وأهمها البيت والمدرسة والعمل وبين الصحاب ، هذا المجال يسمح للعميل بالقيام بالتغيير المطلوب سواء فى بيئة الذات أو المجتمع الذى يعيش فيه ، ويسعى لحـل مشاكله .

(٥) إن توجيه إدراك العميل بالتركيز على أهم العوامل التى لعبت دورا رئيسياً فى مشكلته بحيث تتبلور هذه العوامل الرئيسية وتتحدد بشكل واضح فى مجال .إدراك العميل الكلى هى عملية فصل للشكل عن الأرضية وبالتالى تهيأة أحسن الظروف لتكوين البصيرة وهى حجر الزاوية فى علاج المشكلة :

نقـــد النظـــرية :

المحـــاسن :

(١) الحـد من تطرف المدرسة السلوكية فى تفسير بناء الشخصية على أساس الرباط الشرطى الميكانيكى وكأن الانسان مجرد آلة تسير بلا هـدف ولا إدراك ولا مشاعر . ومدرسة الجشطلت قدرت وزن أهداف الانسان ومداركه ومشاعره فى تعيين شخصيته وهذا أمر يطابق الواقع التجريبى والمنطق والخبرة .

(٢) الحد من التطرف فى النزعة إلى تحليل شخصية الفرد إلى سمات ، والتعلم إلى روابط عصبية مختلفة والإدراك إلى احساسات مختلفة . ووجهت الاهتمام إلى ضرورة ملاحظة الفرد ككل أثناء حل مشكلات الحياة اليومية فى جو طبيعى ، وبالتالى لفهم شخصيته مما حقق فوائد عملية ، ببناء عديد من الاختبارات الموقفية لدراسة الشخصية .فالتركيز هنا على استجابة الفرد الكلية أثناء اشباع حاجاته لا الاستجابة الجزئية (جذب يد أو رجل) .

(٣) أعطاء قدر متوازن من الاهتمام إلى القوى الذاتية للفرد والقوى البيئيـة ، وتفاعل هذه القوى التى تحدد المجال السلوكى للفرد ، ويؤثر فى تكوين شخصيته . على عكس المدرسة السلوكية التى تركز الاهتمام فقط على قوى البيئة .

العيــــوب :

(١) الاعتماد على التقييم الكيفى للشخصية فى اختبارات المواقف العملية ، وهذا التقييم يختلف باختلاف الفاحصين على عكس التقييم الكمى لسمات الشخصية فى النظرية السلوكية وهو تقييم موضوعى لا يختلف باختلاف الفاحصين .

(٢) اختبارات المواقف العملية التى تتيح الفرصة لتقييم الشخصية ككل قد لا تكشف عن عناصر مهمة بدقة كافية ، مثل السلوك الجنسى أو درجة الذكاء أو الرغبات اللاشعورية المكبوتة . . . الخ .

(٣) تركز هذه النظرية على سلوك الانسان فى الحاضر ومشكلاته الحالية لفهم شخصيته وإصلاح انحرافاتها . ولكن النظرة الواقعية السليمة ترى أن سلوك الانسان حصيلة نظرته الوراثية والحاضرية والمستقبلية . فمشكلات الماضى وذكرياته ، والحاضر وضغوطه ، وتطلعاتنا للمستقبل كلها قوى لا يمكن اغفالها فى فهم الشخصية .

(٧) نظرية التحليل النفسى Psychoanalysis

أسس هذه المدرسة الطبيب النمسوى فرويد Freud (١٨٥٦-١٩٣٩) وتبعه كثيرون من بعده أشهرهم أدلر (Adler) ، ويونج (Jung) ، و مؤسسى مدارس التحليل النفسى الحديثة Neopsychoanalysis ومنهم (فروم) Fromm ، (وكارد نر) Kardiner ، و (هورناى) Horney ... الخ الذين اختلفو مع فرويد إختلافا جزئيا لا إختلافا كليا .

وأهم فروض هذه النظرية ما يلى :

(أولا) : توكيد أهمية اللاشعور Unconscious فى تكوين الشخصية وتكاملها وتصدعها ، وفى تفسير الظواهر النفسية الشاذة والسوية على السواء . بل أن الحياة الشعورية ما هى إلا جزءا يسيرا من الحياة النفسية إذا قورنت بالحياة اللاشعورية .

لقد ظل علم النفس فترة طويلة من الزمن هو علم الشعور ومنهج دراسته هو التأمل الباطنى للأفكار والمشاعر والرغبات ، إلى أن جاء فرويد وذكر أن اللاشعور أكبر أثرا فى تحريك أفكار الفرد ومشاعره وأفعاله وأن المنهج الرئيسى لدراسته هو التداعى الحر وتفسير الأحلام .

والسبب فى افتراض فرويد وجود اللاشعور فى الشخصية أن الحالات المرضية التى قام بعلاجها لا يمكن تفسير الاضطراب النفسى فيها تفسيرا مقنعا إلا على أساس أن هناك عقلا باطناً يستتر خلفه استعدادات نفسية لايدركها الفرد ولا يعرف صلتها بسلوكه ولا يستطيع شعوريا الإقلاع عنها دون مساعدة من متخصص ولاثبات ذلك نعرض هذه الحالة على سبيل المثال لا الحصر :

(ليلى فتاة تبلغ من العمر تسعة عشر عاما . مثقفة ثقـــافة لا بأس بها ، ومن أسرة متوسطة الحال ، جميلة المظهر جذابة الملامح ، يشوب جمالها

سحابة من الحزن والألم الصامت . جلست ليـلى أمام الطبيب النفسانى وبعد فترة من التردد والحياء أخذت تقص عليه قصتها فقالت : اننى يا دكتور أعانى منذ بضع سنوات حالة من الخوف الغريب الشاذ الذى سبب لى كثيرا من الآلام ، وجعل حياتى كلهاسلسلة متصلة من الحزن والشقاء . ولقد سعيت إليك لعلك تستطيع انقاذى ،مما أنا فيه من عذاب ، فأجابها الطبيب النفسانى فى هدوء واطمئنان ، وما الذى تخافينه يا آنسة ؟ قالت : اننى أخاف من عيون الناس ، فقال الطبيب : أرجو أن توضحى ماذا تقصدين بذلك ، فقالت : اننى أخاف من العيون ، انني لا استطيع أن أنظر إلى عيون صديقاتى أوإلى عيون الناس فى الطرقات ، والمجتمعات . وعندما أخاطب أحدا فاننى أخاطبه وعيناى تنظران بعيدا عنه ، وذلك لأننى أخاف أن أنظر إليه فى عينيه مباشرة . أن النظر إلى عيون الناس مباشرة يسبب لى كثيرا من الخوف والاضطراب ، وهذا أمر يزعجنى ويؤلمنى كثيرا جدا ، ولا يقتصر الأمر على الخوف من النظر إلى عيون الناس فى حياة اليقظة . بل أننى كثيرا ما أحلم أحلاما مزعجة ، أرى فيها اشخاصا ينظرون إلى بعيون جاحظة مخيفـة كأنهم مجانين ، فيتملكنى الجزع وأهب من نومى مذعورة .

ثم بدت على وجه الفتاة آثار الانفعال الشديد ، وامتدت يدها إلى حقيبتها فى حركة عصبية تبحث عن منديل لتجفف به عرقها الذى أخذ يتصبب من جبينها بغزارة : وهنا سألها الطبيب النفسانى : هل تستطيع أن تتذكرى متى ابتدأت تشعرين بهذا الخوف ؟ فأجابت الفتاة : لا أتذكر متى ابتدأ هذا الخوف ويخيل إلى أننى كنت أشعر به طول حياتى ، ولكنه ابتدأ يشتد اكثر فى السنتين الأخيرتين ، وكان من نتيجة ذلك اننى لم أعد قادرة على تركيز ذهنى فتأخر ترتيبى فى المدرسة ، وكذلك تأخرت صحتى ، وساءت علاقاتى الاجتماعية

بوجه عام ، ورأى الطبيب النفسانى أن يطمئن الفتاة ويهدىء من ثورتها النفسية فقال لها : ان خوفك من العيون يا آنسة ناشىء فى الأغلب عن واقعه سيئة مرت بك فى الفترة السابقة من حياتك ، وفى الأغلب فى فترة طفولتك فاذا استطعت أن تتذكرى هذه الحادثة التى سببت لك الخوف من العيون أمكنك أن تساعدينى على علاج هذا الخوف وعلى تخلصك منه . لذلك أرجوك الآن أن تعودى بذاكرتك إلى الوراء وأن تحاولى تذكر تلك الحادثة الهامة التى كانت السبب فى نشوء هذا الخوف ، فقالت الفتاة فى شىء من اليأس والحيرة : انى لا أتذكر حوادث معينة تتعلق بهذا الخوف ، وكل ما أتذكره هو انى أخاف العيون منذ زمن بعيد ، ولكنى لا أدرى لماذا أخاف ولا كيف نشأ الخوف ، فقال الطبيب : ان خوفك من العيون يرجع إلى ارتباط انفعال الخوف بالعيون نتيجة حادثة بالغة الإخافة مرت بك فى أثناء الطفولة . ومن الضرورى الآن أن تتذكرى هذه الحادثة . وتحت تأثير الحاح الطبيب النفسانى أسندت الفتاة رأسها على المقعد ، واغمضت عينيها ، ورجعت بذاكرتها إلى الماضى السحيق تحاول أن تتذكر ما مر بها من حوادث منذ الطفولة المبكرة حتى الآن ، وانقطعت عدة جلسات فى أيام متتالية . وفى كل جلسة تتذكر الفتاة كثيرا من حوادثها القديمة ولكنها لم تستطع أن تتذكر الحادثة المعينة التى يمكن أن تكون السبب فى نشوء خوفها وكاد اليأس يستولى على الفتاة ولكن تحت تأثير تشجيع الطبيب وحثه استمرت الفتاة فى التذكر حتى جاءت فى الجلسة العاشرة فتذكرت حادثة مهمة مرت بها حينما كانت فى سن السابعة . قالت الفتاة ، اتذكر أنى حينما كنت فى سن السابعة زرت عمة لى وكانت عمياء . وفى أثناء الزيارة دخلت حجرة نومها ولم يكن بها أحد وأخذت ألعب فيها وأعبث بمحتوياتها ، ودفعنى حب

الاستطلاع والفضول إلى البحث والتطلع فى كل مكان بالغرفة وفى أثناء ذلك فتحت أحد الأدراج فتحة صغيرة وإذا بى أرى فى داخل الدرج عينين براقتين تنظران إلى فى الظلام من داخل الدرج ، لم أروجها ولكنى رأيت عينين براقتين فقط بدون وجه . فتملكنى الخوف والذعر وأخذت فى الجرى خارج الغرفة . وقد خفت أن أقص هذه القصة على أفراد أسرتى فيعاقبوننى على دخولى الغرفة وعبثى بمحتوياتها ، ولذلك كتمت هذه الحادثة ولم أفض بها إلى أحد ، قصت الفتاة هذه الحادثة وهى فى اضطراب ظاهر ، وفى انفعال شديد وبعد أن هدأت الفتاة قليلا قال لها الطبيب : هذه هى الحادثة التى كنت أبحث عنها ، وهى لا شك الحادثة التى كانت السبب فى خوفك من العيون . إن العينين البراقتين اللتين شاهدتيهما داخل الدرج لم تكونا فى الواقع إلا عينين زجاجيتين لعمتك العمياء . فحينما شاهدتيهما وأنت طفلة صغيرة لم تستطيعى فهم هذه الحقيقة . ولذلك انتابك الخوف والجزع لرؤيتك عينين بدون وجه . وهكذا ارتبط الخوف بالعيون وقد أصبحت بعد ذلك تخافين من العيون ، ومما ساعد على نشوء هذا الخوف وتمكنه منك واستمراره مدة طويلة ما قمت به من كتمان وكبت لهذه الحادثة خوفا من العقـــاب فلو انك قصصت هذا الحادث على أهلك فى وقتها لما كنت تعانين الآن من هذا الخوف ، وفى الجلسات التالية أخذ الطبيب فى علاج الفتـــاة من هذا الخوف المرضى ومن بعض الحالات النفسية الأخرى التى ترتبت عليه . ولم تمض بضع جلسات بعـد ذلك حتى زال الخوف عن الفتاة ، وعادت إلى حالتها الطبيعية وزال عنها اليأس ، وتحسنت صحتها ، وأصبحت تستطيع تركيز ذهنها فى دروسها . وتحسنت علاقاتها الاجتماعية ، وأخذت من جديد تشعر بلذة الحياة) (١٧)

فى هذه الحالة نجد أن اللاشعور تكون من مخاوف مكبوتة ولم تستطع الفتاة

تذكر الصدمة الانفعالية التى حدثت لها فى الطفولة المبكرة بمجهودها الخاص دون مساعدة الطبيب النفسى . على عكس الحالات العقلية الشعورية التى يستطيع الفرد تذكرها مباشرة بمفرده ، أما الحالات شبه الشعورية Preconscious هى التى يستطيع الفـــرد تذكرها بصعوبة بعد التفكير فى أسباب تصرفاته ولكنه عاجلا أو آجلا سيتذكر الخبرات شبه الشعورية بمفرده خاصة لوكان عنده شىء من الثقافة السيكلوجية على عكس الحالات اللاشعورية التى لا يمكن تذكرها إلا بمساعدة الطبيب النفسى وبوسائل متخصصة أهمها التداعى الحر وتفسير الأحلام والتنويم المغناطيسى . وفى هذه الحالة كانت المخاوف تنعكس فى أحلام الفتاة على شكل أشخاص كالمجانين ينظرون إليها بعيون جاحظة بعد تحريف الواقع الأصلى (الرمزية) الذى كان مجزد عيون زجاجية صناعية. فالمخاوف اللاشعورية تظهر فى الحلم فى صورة مقنعة وكذلك الرغبات اللاشعورية ، ومن هنا برز قيمة الحلم فى دراسة اللاشعور ، وفى الحالة أيضاً نجد أن السلوك النابع من اللاشعور سلوك قسرى شاذ دون ارادة أو تفكير قبل الفعل . فكانت الفتاة رغم ثقافتها تخاف من عيون زميلاتها المقربين إليها وتعلم أن هذا تصرف شاذ من جانبها ولكنها لا تملك من أمرها رشدا .

أن العمليات اللاشعورية مثل العمليات الهضمية فبرغم وجودها ليل نهار لا يمكن أن يخبر الشخص بما يجرى أثناء عملية الهضم ولا يكون على دراية مباشرة بعملية الهضم كما تحدث ، فلا يمكن أن يقول شخص الآن تم افراز التريبسين أو البيسين أو تحول الغذاء إلى احماض أمينية .

خذ مثلا شخص حدث له حادثة أوقعت به ضررا شديدا ، فهو عادة لا يكون على بينة بأن الحادثة قد تمثل رغبة شديدة لا شعورية فى عقاب الذات والتخفيف من عذاب الضمير الثائر ، والشخص الذى تكون لديه رغبة نهمة

فى طعام أو شراب لا يكون لديه عادة وعى بأن هذا النهم قد ينشأ عن رغبة خابت فى الحب وكبتت فى اللاشعور وأن الإرضاء البدنى فى الأكل قد حل محل الإرضاء النفسى فى الحب، فالشخص على الأرجح لا يكون على وعى مباشر بهذه العلاقة كما هى قائمة فيه . والادراك الشعورى بين النهم فى الأكل أو الشراب والدافع للحب أى كشف علاقة جديدة بين النتائج والأسباب هو ما يسميه روجرز وليفين بالبصيرة، وما يسميه فرويد بالانسجام بين الشعور واللاشعور وهو جوهر العلاج النفسى فى النظريتين . هنا يقول فرويد « إن عملنا العلمى فى علم النفس يتألف من ترجمة العمليات اللاشعورية إلى عمليات شعورية فنملأ بذلك الفجوات القائمة فى الادراكات الشعورية (١٨) » .

والسبب فى دفع الخبرات من الشعور إلى اللاشعور هو أن الخبرة التى تمر بها مخيفة أو مؤلمة أو مشينة أو أن الرغبة مستكرهة للنفس وللناس فهى رغبة جنسية محرمية أو عدوانية مشينة مخجلة أو أن الموقف الشعورى موقف صراعى يتضمن رغبة واقعه وقوة مانعة ولا يستطيع الفرد الحل أو التأجيل أو تقبل الموقف على مافيه من آلام . .

خذ مثلا حالة الفتاة التى أرغمت على الزواج من رجل كبير تكرهه تحت ضغط الأهل حرصا على مصلحتهم أو إغراء المال ، هنا ، (تريد الفتاة المسكينة أن تصرخ بأعلى صوتها وتقول ، يا ناس حرام عليكم ! ! أنا أكرهه ، أريد ألا أعيش معه لا أريد رؤيته ثانية واحدة ! ! وهذه قوة دافعة أو حافزة ، ولكنها تصطدم بقوة أخرى مانعة أو كابتة أو معارضة وهى الرغبة فى ارضاء الأهل أصحاب الفضل فى التربية ، أو قد تكون القوة الكابتة نتيجة الخوف من الأهل أى الخوف من العواقب) هنا تصبح الفتاة كالبندقة بين كفى الرحى أى فى صراع نفسى بين القوة الدافعة والقوة المانعة التى تدفع بالرغبة فى عدم الزواج من الشعور إلى اللاشعور ، ولكنها هنالك لن تموت .

وحتى ينخفض القلق المنبعث من الصراع النفسى لابد من توفيق بين القوة الدافعة الشعورية والكابتة اللاشعورية .

ماذا حدث .. عجزت الفتاة عن الرؤية وفر العريس من العمياء وانخفض القلق بالرغم من أنه ليس هناك عيب فى الميكانيزم البصرى كما قرر الطب .

هذا يعنى أن هنالك قوة كابتة « شحنة مضادة » تشل حركة الشحنات البصرية . والسبب فى أن الفتاة لا تريد أن تبصر هو أن الرؤية مؤلمة لها غاية الإيلام . هو دفن ربيع شبابها فى خريف هذا الشيخ المتهالك .

هى تخاف خوفا شديدا من أن تبصر ، مثلها فى ذلك مثل الشخص الذى يغمض عينيه فى السينما أو فى الشارع لكى يتجنب مشاهدة منظر مروع .

وهذا العمى الهستيرى الذى يعتبره الناظر الخارجى شذوذا قد أعفاها من أن تصرح بكراهيتها للعريس والأهل أو أن تتصادم مع دوافعها الأخلاقية والدينية و التقاليد الأسرية ، وهكذا تم التوفيق بين الرغبة الحافزة الشعورية والرغبة المكبوتة اللا شعورية ، وهذا ما يحدث فى أغلب أعراض الأمراض النفسية العصابية (وليس العصبية) الذى لعب اللاشعور فيها دورا كبيرا .

وحينما يكون سلوك الفرد شاذا ولا يستطيع تغييره بإرادته ورمزيا (تحريف الدوافع اللاشعورية بإشباع بديل لها) ولا يعرف الفرد ما يريد يكون وراءه دوافع لاشعورية تلعب دورا خطيرا فى شخصيته فنجد هذا الفرد مثلا ينتقل من مهنة إلى مهنة ، أو زوجة إلى زوجة ، أو من هواية لهواية ، ويجهل ما يفتقد على وجه التحديد وكل ما فى الأمر أنه يشعر بحالة من الضيق والتوتر والقلق تحمله على القيام بمحاولات عشوائية متتالية ، لذا نجده فى أغلب الأحيان سلوكا شاذا أو جامدا لامرونة فيه لأنه سلوك لا يعرف هدفه . هذا على عكس الدافع الشعورى الذى يشعر به صاحبه شعورا واضحاً ويدرك طبيعته وهدفه ومن ثم يستطيع تحديده

والتعبير عنه باللفظ وادراك الصلة بينه وبين السلوك الصادر عنـــه كدافع الجوع أو الجنس الاستطلاع أو الولاء للوطن أو الأمومة . . . الخ .

والصعوبة التى تجعل الفرد غير شاعر بدوافعه ترجع إلى أسباب عدة أهمها (١) التحام الدوافع مع بعضها على نحو يجعل من الصعب فصلها وتحليلها فسلوك الزواج مثلا قد يلتحم وراءه عدة دوافع مثلا الجنس ، والرغبة فى المال أو الرغبة فى الجاه والقوة والرغبة فى إرضاء الله أو الأهل أو المجتمع .. الخ (٢) أن يكون الدافع قديم اعتراه النسيان منذ عهد الطفولة فمن الناس من يعتريه القىء عند شرب اللبن مثلا وقد يكون الدافع إلى هذا حدثا قديماً مؤلما مرتبط بشرب اللبن ، (٣) أن الدافع يجلب للفرد الألم أو الخوف أو العار أو الاثم أو الشعور بالنقص أو مس الكرامة إذا بدأ الدافع فى بؤرة الشعور مثل كراهية الأب أو الرغبة فى السرقة ، أو تمنى زوال نعمة الغير وهكذا . .

ولقد استطاع فرويد أن يسوق أدلة متعددة لإثبات وجود الحياة العقلية اللاشعورية أهمها ، (١) تحليل الحالات المرضية التى قام بعلاجها فى عيادته (٢) الكشف عن العمليات اللاشعورية حينما تنخفض مقاومة الفرد وينشط تذكره فى جلسات التنويم المغناطيسي الطبى (٣) الكشف عـــن العمليات اللاشعورية فى أحلام الفـــرد (٤) النسيان الانتقائى الذى ينصب على الخبرات المخيفـــة أو المشينة دون سواها (٥) ذلات اللسان والأقلام التى سرعان ما ينكرها المتحـــدث أو الكاتب وتتصل بدوافعه اللاشعورية (٦) اضاعة الأشياء الذى يكون ظاهره الصدفة أو الإهمال وباطنه قصد دفين لا شعورى مثل ضياع خاتم الخطوبة الذى يتصل برغبة لا شعورية فى عدم الرغبة

إتمام الزواج (٧) كسر أشياء ظاهرة القضاء والقدر ومجرد الحركة الطائشة وباطنه ضيق أو نفور وملل لا شعورى من هذا الشيء (٨) الأفعال المرضية مثل التعثر والذلل أثناء المشى الذى يكون وراءه أحيانا خوف لا شعورى مما يسعى إليه الفرد بمشيه (٩) ألعاب الأطفال التى تكوى غالباً ألعاب تعبيرية رمزية عن مخاوف ورغبات ومتاعب لا شعورية .

مجمل ما تقدم أن اللاشعور أو العقل الباطن يعرف بأنه مجموع الاستعدادات النفسية التى يستحيل تذكرها وتؤثر فى سلوك الفرد دون أن يدرك وجودها أو صلتها بسلوكه ويتكون من ، (١) الاستعدادات الفطرية (٢) المخاوف المكبوتة (٣) الدوافع المكبوتة (٤) الأحداث الأليمة المرتبطة بالصدمات الانفعالية (٥) الصراعات النفسية المكبوتة ، واللاشعور محكوم بقانون البحث عن اللذة والراحة والإشباع الفورى للرغبات المكبوتة بصرف النظر عن الواقع أو القواعد الأخلاقية والدينية والإجتماعية أما الشعور فيتكون من الخبرات التى يسهل على الفرد تذكرها ومحكوم بقانون الواقع والمنطق .

واللاشعور يؤثر فى قطـــاع كبير من سلوكنا أكبر من ذلك الذى يؤثر فيه شعورنا سواء أكان سلوكا سوياً أو شاذا ، وأن السلوك الصادر عن الدوافع والصراعات اللاشعورية يؤثر تأثيرا سلبيا فى الشخصية لأنه سلوك لا يعرف هدفه لذا تجده سلوكا قهرياً شاذا يتنافى مع ما يعرفه الناس عن الفرد ولا يتناسب مع منبهاته .

(ثانيا) أن مرحلة الطفولة المبكرة حتى ست سنوات من العمر بما فيها الرضاعة بالغة الأثر فى تشكيل شخصية الراشد وأن تصدع شخصيته غالبا يرجع إلى صراعات لا شعورية تكونت فى عهد الطفولة المبكرة .

ومن الأدلة التى تثبت ذلك الحالات المرضية المتعددة التى عولجت بواسطة التحليل النفسى سواء فى عيادة فرويد أو غيره ونسوق على سبيل المثال الحالة الآتيـــة :

تتلخص الحالة فى أن شابا متزوجا قد أدخل المستشفى لعلاج عينيه اللتين فقدتا قدرتهما على الأبصار عقب حادث تصادم وقع له وهويقود سيارته فى طريقه إلى إحدى المستشفيات لزيارة زوجته التى وضعت مولودا جديدا . لم يصب هذا الشاب فى الواقع فى هذه الحادث الا ببعض خدوش طفيفة . ودل الكشف الطبي على سلامة العينين سلامة تامة ولذلك فقد أحيل الشاب إلى قسم الطب النفسانى بالمستشفى . ولقد تبين من تاريخ حياة الشاب أنه كان الابن الوحيد لرجل ضعيف البدن ، ضعيف الشخصية ، ميال إلى الاعتماد على الغير ، وكانت أمه على العكس من أبيه قوية البدن قوية الشخصية مستقلة الرأى ميالة للسيطرة .

نشأ الشاب يحب الطبيعة المسالمة ولين العريكة مثل أبيه ، وفى نفس الوقت يحب السيطرة والاستقلال والاعتماد على النفس مثل أمه . ولكون هذان الدافعان متعارضان لا يمكن اشباعهما فى وقت واحد ، كما أنه لا يستطيع أبداء رأى مستقل مع أمه وبمعنى آخر يخاف من ابداء هذا الرأى مع هذه الأم العنيفة القوية كبت هذا الصراع الطفلى كبتاً عنيفاً فى اللاشعور .

فلما بلغ الشباب سن الرشد بدأ يحس بخوف شديد من أن يصبح زوجا ضعيفاً ولذلك قرر الاضراب عن الزواج وكذلك بدأ يشعر برغبة شديدة نحو الاستقلال والاعتماد على النفس ، فانفصل عن أسرته وأخذ يشق طريقه فى الحياة مستقلا عن والديه . وبالرغم من إصرار هذا الشاب على عدم الزواج ونزعته للاستقلال إلا أنه تزوج أخيرا من فتاة قوية الشخصية تشبه أمه فى سيطرتها ونفوذها الطاغى . وكثيرا ما كان الشاب يلجأ إليها يستشيرها فى أعماله الخاصة وغالباً مايتبع آراءها ويعتمد عليها فى حل مشاكله . وقد كان ذلك يسبب له كثيرا من الضيق والقلق لكنه مع ذلك لم يستطع التخلص من الاعتماد على زوجته واستشارتها فى كل ما يعن له من مشاكل : لقد كان الشاب فى الواقع

مدفوعا برغبة شديدة فى الاعتماد على زوجته كما كان يعتمد على أمه وهو طفل صغير . وقد كان فى نفس الوقت يشعر برغبة فى الاستقلال بالرأى والاعتماد على النفس وهكذا كان فريسة صراع نفسى لا شعورى طفلى . وبعد عامين من زواجهما ظهرت على الزوجة بوادر الحمل وكان زوجها قد اقنعها من قبل باتخاذ جميع احتياطات اللازمة لمنع الحمل . فلما ظهرت عليها بوادر الحمل حاول زوجها اقناعها باجراء عملية اجهاض ولكن الزوجة رفضت الرضوخ . وظل الشاب طوال أشهر الحمل وهو يأمل أن يحدث ما يمنع إتمام الحمل . أو ان تتاح له يوما فرصة للتخلص من زوجته بالطلاق . ولما ذهبت الزوجة للمستشفى للوضع أدرك الزوج أن مجيء الطفل سيربطه إلى الأبد بزوجته فسبب له هذا الادراك شيئاً كثيرا من الاضطراب والقلق . فلما جاءه النبأ يبشره بميلاد أبنه استقل سيارته وأسرع إلى المستشفى . وفى طريقه إلى المستشفى وقع حادث التصادم الذى أحس الشاب بعده أنه فقد بصره .

ولما بدأ العلاج النفسانى لهذا الشاب كان أول خاطر مر بذهنه أثناء التحليل النفسانى هو أنه وقد أصبح أعمى فانه لا يستطيع أن يرغم زوجته على البقاء معه . ولذلك أصبح من الواجب عليه أن يعفيها من استمرار الحياة معه وذلك بتطليقها (١٧) .

وهكذا نجد أن الخبرات الخاصة أثناء طفولة الشاب كانت قوية التأثير فى تشكيل شخصيته وهو راشد . ونستطيع أن نتبين وجود صراع طفلى لاشعورى بين رغبة الشاب نحو الاستقلال والاعتماد على النفس وحب السيطرة وبين رغبة أخرى نحو الاعتماد على الأم أو أى أمرأة أخرى تشبه الأم وهذا الصراع مكبوت لاشعورى . وأن الصراع النفسى الجديد مع الزوجة قد ايقظ الصراع الطفلى القديم مع الأم .

ثم عودة هذا الصراع مرة أخرى فى الرشد . فقدكان زواج هذا الشاب من امرأة تشبه أمه فى حب السيطرة والرياسة سبباً فى إثارة رغبته اللاشعورية فى الخضوع لها والاعتماد عليها . ولما كانت هذه الرغبة اللاشعورية تتعارض معارضة صريحة فى رغبته فى الاستقلال والسيطرة نشأ ذلك الصراع العنيف الذى سبب له كثيرا من القلق والاضطراب ، وقد بلغ هذا الصراع أشده حينما رزقت الزوجة بولد مما جعل الشاب يعتقد أن التخلص من هذه المشكلة وما تولده فى نفسه من صراع أصبح أمرا عسيرا .

ونستطيع مما تقدم أن نفسر العمى الذى أصيب به هذا الشاب على أنه طريقة شاذة لجأ إليها الشاب لا شعورياً للتخلص مما يعانيه من صراع نفسى شديد وقد رأينا أن أول خاطر مر بذهن هذا الشاب حينما أصيب بالعمى كان يتعلق بضرورة تطليق زوجته لأنه لا يريد أن يلزمها بالبقاء معه وهو أعمى (١٩) .

ومن الأدلة العلمية التى تؤيد رأى فرويد فى أهمية مرحلة الطفولة المبكرة فى تشكيل شخصية الفرد ما جاء بالدراسات الانثروبولوجية المختلفة . ومن أهم هذه الأبحاث أبحاث (مرجريت ميد) على ثلاثة قبائل بدائية تعيش فى غينيا الجديدة بأفريقية وسجلت نتائج هذه الدراسة فى كتابها بعنوان « الجنس والمزاج فى مجتمعات أولية ثلاث » فشخصية المراهق فى قبيلة (الأرابيش) شخصية هادئة متعاونة . لأن هذا المراهق عندما كان طفلا لقى من العطف والشعور بالأمن مما خلق من مراهقته انسانا متكيفاً . فالنساء يرضعن أطفالهن وهن جلوس مع المداعبة ويسمح للطفل بالرضاعة الكافية ويظل الطفل يرضع رضاعة طبيعية حوالى السنتين ، وبعد البلوغ يسمح للصبى بتحمل مسئوليات الرجال ويجرى لذلك حفلا يشهده كل أفراد القبيلة وغالبا

ما يتزوج الشاب فى هذا الحفل . على عكس المراهق فى قبيلة (منديوجمور) فهو من النوع العدوانى الخشن المقاتل بسبب مالاقاه فى طفولته من القسوة والاهمال فالنساء يرضعن اطفالهن وهن فى حالة وقوف دون مداعبة ولا يسمح للطفل بأن يرضع كثيرا والفطام يتم فى وقت مبكر جدا وبقسوة فتدفع الأم الطفل عنها وتضربه إذا طلب الثدى . وعندما يشب الطفل ويصل للمراهقة يجد مجتمع الأسرة والمجتمع العام يشوبه الصراع والبقاء للأقــوى .

وعلاوة على ما سبق فقد دلت مقارنة تواريخ حياة من خرجوا من الرجال من الحرب منهارين فى أثر أمراض نفسية أن المشاكل السلوكية فى طفولتهم ـ كالمخاوف الشاذة واضطراب النوم والتبول القسرى كانت أكثر بثلاثة أطفالها منها عند من خرجوا من الحرب سالمين .

وها هو (بيرت) الذى درس الأحداث الجانحين دراسة نفسية واجتماعية مستفيضة يقول : « أن أشيع العوامل وأكثرها خطرا وتدميرا هى العوامل التى تدور حول حيــــاة الأسرة فى الطفولة » وهذا الرأى لا يختلف كثيرا عن رأى فرويد حينما يقول : « الطفل أب الرجل من الناحية السيكلوجية وأن الحوادث فى أعوامه الأولى أهمية عظمى بالنسبة لجميع حياته التالية » .

(ثالثا) تتكون الشخصية من ثلاث قوى نشطة تتفاعل وتتصارع باستمرار ويكون سلوك الفرد هو المحصلة النهائية للصراع بين هذه القــوى الثلاث « الهــو » Id ، و « الأنــا » Ego ، و « الأنا الأعلى Super Ego الهو أو « النفس البدائيــــة » هو أقدم قسم من أقسام الشخصيـــة ويحوى كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة وما هو ثابت

فى تركيب البدن وهو لذلك يحوى قبل كل شيء الغرائز التى تنبعث من البدن خاصة الغريزة الجنسية والأمن الجسمى والدافع لسد الرمق وإرواء العطش .. الخ . والهـــو هو الجـــانب اللاشعـــورى العميق من الشخصية الذى ليس بينه وبين العالم الخارجى الواقعى صلة مباشرة لذا فهو يطالب الاشباع الفورى للغرائز بصرف النظر عن المعايير الاجتماعية أو المنطق أو مناسبة الزمان والمكان أومصلحة الفرد فى المجتمع ، فهو يسير بوحى مبدأ اللذه ، فهو طبيعة الانسان الحيوانية قبل أن يتناولها المجتمع بالتحوير والتهذيب ، وكثيرا ما يعبر عن نفسه مناديا (أريد ما أريد عندما أريد وكيفما أريد) .

ومعنى ذلك أن الهو محكوم بصفة عامة بقـــوانين اللاشعور غير المنطقية ، أما عن طبيعة هذه القوانين على وجه التحديد فلم يذكر منها فرويد سوى قانونين هما : «(١) قانون التكثيف Condensation وهو الميل نحو تكوين وحدات جديدة من عناصر هى بالضرورة منفصلة بعضها عن بعض ، ففى اللاشعور وهو الحالة فى السائدة فى الهـوه تجتمع المتناقضات دون حرج ، وتستخدم الأضداد كأنها مترادفات ففى الشخص المصاب بجنون الاضطهاد مثلا والذى انفصلت شخصيته من الواقع وأصبحت محكومة بقوانين الهو اللاشعورية نجد أن تصرفاته تخضع لقانون التكثيف فقد نجده يقول فى هذيان الاضطهاد مثلا : «أن زوجتى وابنتى قد اتفقتا مع عشيقهما ضدى وقاما بوضع سائل منوى لى فى فنجان القهوة وشربته دون أن أدرى وبعد ذلك انتفخت بطنى وأصبحت حاملا » هنا نجد الجمع بين الرجل والحمل جائزا وعاديا عندما ينفصل الانسان من الواقع وتدهمه جيوش الهو وتحكم شخصيته طبقاً لقوانينها . وكذلك قد نجد الحب مع الكره فقد يتحدث هذا المجنون مع المعالج عن حب شديد لهذا المعالج وبعد لحظة قد يبصق عليه أو يصفعه على وجهه .

ثم قانون الإبدال Displacement وهو الإستعاضة عن شىء بشىء آخر : وشىء عادى أن يلجأ أى ذهانى مصاب بجنون الفصام أو البارانويا إلى فعل العادة السرية علنا أمام الغير وكأن الغير (الواقع) غير موجود . وهنا نجد أن الفرد غير هدف أو موضوع الغريزة الجنسية وهو فرد من الجنس الآخر بهدف أو موضوع آخر ، وفى العناصر الرمزية فى الأحـلام نجـد العديد من عمليات التكثيف والابدال ، فعمليات التبرز والتبول قد ترمز للجماع ، والأسلحة أو الأدوات قد ترمز للقضيب ، والملكة قد ترمز للأم والملك للأب ،والأسنان لعملية الوضع . . . الخ وقد استنتج فرويد قانون التكثيف وقانون الابدال من دراسته للأحلام .

الواقع أن عملية فك رموز اللاشعور الذى يحكم الهو التى تفسر لنا كيف يعمل ، عملية مازالت غامضة وفى ذلك يعترف فرويد فى آخر كتاب له يقول : (. . . ما هى الطبيعة الحقيقية لكيفية اللاشعور وهى الحالة السائدة فى الهـو ؟ وما هى الطبيعة الحقيقة لكيفية قبل الشعور وهى الحالة السائدة فى الأنا ؟ وما هو الفرق بينهما ؟ أما عن هذا الأمر فلسنا نعرف شيئاً . وبل نحن فى جهالة مظلمة يندر أن ينفذ إليها بصيص من الضوء . وذلك لأننا قد اقتربنا هنا من سر الحياة الحقيقية الذى لا يزال فى طيات الغيب) (٣٠) .

ويجب أن نضع فى اعتبارنا هنا أن قانون التكثيف والابدال لا يقتصر على الانحرافات النفسية الشديدة بل مطبق أيضاً فى بعض حالات الانحرافات النفسية المتوسطة كما فى الأمراض العصابية ، وكذلك فى حالات الاضطرابات الخفيفة . فالعادة السرية شائعة بين المراهقين العاديين تقريباً كما هى موجودة لدى الذهانيين . ويمكن اعتبار حالات الشذوذ الجنسى والاتصال الجنسى بالأطفال أو الحيوانات كلها من قبيل الانحرافات الجنسية الاستبدالية .

والتكثيف قد يوجد فى بعض الحالات العصابية وأصحابها ما زالوا متصلين بالواقع وفيما يلى ملخص لحالة من هذا القبيل : « حالة فتاة جامعية جميلة ناجحة فى دراستها تعانى دائماً من القىء والهزال وفقر الدم شديد . وبالبحث الطبى تبين عدم وجود أى أعراض مرضية ولكن الاعراض كلها كانت نفسية . . . فقد تبين عندما اقترب الطب النفسى من شخصية الفتاة المريضة أن شقيقتها الصغرى تزوجت وحامل وتعانى من قىء الحوامل . وعندما سئلت الفتاة المريضة قالت انها لا ترغب فى الزواج اطلاقاً ولا تفكر فيه ! ! وأنها تريد تكملة التعليم الجامعى ولكن القىء كشف عن رغبتها اللاشعورية فى الزواج .

وهنا اجتمعت المتناقضات للفتاة العذراء وقىء الحوامل ، تماماً كما فى حالة الذهانى الرجل وأعراض الحمـــل .

الأنـــا (النفس التوفيقية) :

تحت تأثير العالم الخارجى الواقعى ينمو جزء من الهو نموا خاصا . فمن جهاز استقبال المنبهات البيئية والوقاية من التنبيه المفرط ينشأ جهاز الذات أو النفس التوفيقية التى تعمل كوسيط بين الهو وبين العالم الخارجى . أى أداة للتكيف والتوفيق بين مطالب الهو والظروف الخارجية . فكأنه جهاز له عينان عين تطل على الغرائز ومطالبها خاصة الجنسية والعدوانية ، وعين تطل على مطالب المجتمع الخارجى ، ثم العمل على التوفيق بين المطلبين فى وقت واحد .

وجهاز النفس التوفيقية يعمل على مستوى شعورى أو ما قبل الشعور ويسير على هدى قانون الواقع أى ما هو كائن ومصلحة الفرد فى العالم الخارجى ، بينما الهو والأنا الأعلى يتصلان بمكونات لا شعورية ويعملان فى الخفاء أو من وراء ستار ، ويسير الهو على مبدأ اللذه والأنا الأعلى يسير فى ضوء قانون ـ ما يجب أن يكون .

والأنا هو مركز الشعور والإدراك والحكم والتبصر فى العواقب والإشراف على الحركة الإرادية ومهمته حفظ الذات عن طريق إدراك الحوادث الخارجية الخطرة فيعطى إشارة الهرب أو مواجهة الخطر ؟ والتصرف فى المنبهات المعتدلة عن طريق التكيف (التعود عليها حتى يصبح الفرد غير شاعر بها). وكذلك يقوم بضبط الهو وتوجيهه عن طريق كبت الدوافع أو تحويرها أو تأجيل اشباعها لظروف مناسبة فى العالم الخارجى أو الاستعاضة عنها بغيرها .

وبذلك تحد الأنا من غلواء الهو وتهذب رغباته الجامحة أو تمنعها من الظهور فتحمى الشخصية من احتقار المجتمع ، والأنا تتأثر بمبدأ الواقع وتحترم حدوده ومنطقه وتجبر الانسان على تأجيل اشباع بعض الرغبات فى سبيل اهداف عليا ترتبط بها حتى لو تحملت فى سبيل ذلك بعض الارهاق والمشقة والألم ويمكن القول بأن الذات هى القوة الكفيلة بحراسة الكيان الكلى للشخصية وتنظيم صلتها بالعالم الخارجى ، وحين ما ترى ما ينذر بالخطر تصيح ، « قف . انظر واسمع » . فاذا توقع الأنا حدوث زيادة فى الضرر قابل ذلك باعلان (اشارة القلق) أو جرس الخطر سواء كان التهديد آتياً من العالم الخارجى أو من العالم الداخلى أى من الهو أو من الأنا الأعلى .

وحيث أن أهم خصائص الأنا هو التحكم الانفعالى وكبح جماح الشهوات وتأجيل اشباع الرغبات بجانب التوفيق بين المتطلبات المختلفة لذا نجد أن أهم مقومات الأنا القوية السليمة والذى يتمتع صاحبها بتكامل الشخصية والصحة النفسية العالية هى : (١) الإرادة (٢) والنضج الانفعالى ، (٣) البناء الخلقى غير المتزمت . وبمعنى آخر تعود الفرد منذ طفولته المبكرة

على ضبط النفس والاعتماد على النفس والثقة بالنفس ، وإذا لم تزود التنشئة الاجتماعية خاصة فى الطفولة المبكرة الفرد بهذه الأسلحة نتج عن ذلك الأنا الطفولى وهو أضعف من أن يؤلف وينسق بين جميع المطالب وبالتالى تسير الشخصية فى طريق التفكك والتصدع .

فتضعف الوظيفة التوفيقية للأنا إذا كان هناك شطط فى الطلبات الفطرية (الهو المكبوتة كبتا عنيفاً) أو الطلبات الأخلاقية المتزمتة (الأنا الأعلى المبنية على الامتثال المطلق للقواعد الاخلاقية وتهويل الاخطاء) ، أو زادت مسئوليات الأسرة والعمل والمجتمع والخارجى بتعاليمه وقوانينه وقيمه المختلفة عن حدود المعقول . فى هذه الحالة تعجز الأنا عن عملية الارضاء المتزن لجميع المطالب ، أى تعجز عن أن تقوم بمهمة الحكومة الديمقراطية التى تستمع للجميع وتعترف بحاجات الجميع وتتوسط لتراضى الجميع ، وتصبح شخصية الفرد مسرحا لتصارع هذه الرغبات والمطالب المشططة ويكتسحها القلق ، أو العداء للمجتمع مصدر السلطة ، أو يمارس الفرد العديد من المشاعر السلبية والأمراض النفسية ، أو قد يسلك سلوكا مضطربا يتحول إلى الانحراف والاجرام وما إلى ذلك من صور الاضطراب الجسمى والنفسى والاجتماعى .

الأنا الأعـــلى (النفس المثاليـــة) :

هو الجهاز الثالث الرئيسى من أجهزة الشخصية . ذلك الجانب الأخلاقى القضائى من جوانب الشخصية الذى يكافىء ويعاقب ، يكافىء بالسرور والراحة أو يعاقب بالشعور بالذنب أو بوخز الضمير . ويعمل من خلف ستار أى لا شعورى مثل الهو . والأنا الأعلى يعتبر الرقيب النفسى اللاشعورى أو السلطة الداخلية أو القانون الأخلاقى الذى يدفع الفرد إلى عمل المباح

ويكفه عن المحظور فهو سلطـة تشريعية قضائية تنفيذية فى نفس الوقت . ومثوبات وعقوبات الأنا الأعلى توقع على الأنا لأن الأنا ـ من حيث أنه مشرف على أفعال الانسان ـ مسئول عن حدوث الأفعال الأخلاقية والمنافية للأخلاق ومهما يكن من أمر ، فليس من الضرورى للانا أن يسمح بوقوع فعل بدنى لكى يجازى أو يعاقب بواسطة الأنا الأعلى ، فقد يجازى الأنا أو يعاقب لمجرد التفكير فى فعل شىء ما . فان التفكير فى شىء كفعله سواء بسواء فى نظر الأنا الأعلى . ويفسر لنا هذا كم أن فردا يحيا حياة فاضلة ومع ذلك قد يعانى من وخز الضمير . إذ أن الأنا الأعلى يعاقب الأنا على التفكير أفكارا سيئة وحتى ولو لم تترجم هذه الأفكار بتاتا إلى أفعال .

والمثوبات والعقوبات قد تكون مادية وقد تكون نفسية فمن ناحية المثوبات المادية يوحى الأنا الأعلى للفرد الذى سلك مسلك الفضيلة . « الآن وقد كنت فاضلا زمنا طويلا سيسمح لك بالترويح عن نفسك وقضاء وقتاً طيباً (قد يكون ذلك بوجبة غالية الثمن أو باشباع جنسى مشروع أو براحة طويلة ... الخ وللمذنب أخلاقياً قد يوحى إليه الأنا الأعلى لا شعوريا بقوله : (الآن وقد كنت سيئاً ستعاقب بأن يحدث لك أمر لا يرضيك) وقد يكون ذلك باضطراب فى المعدة أو فقدان شىء ثمين أو عمل حادثة ، وفى كثير من الإحيان تنطوى الكوارث على عقوبة ذاتية لارتكاب وزر من الأوزار . ومن الأمثلة على ذلك تحطيم سيارة شخص فى حادث بعد قليل من اتصاله اتصالا جنسيا غير مشروع ، ولا يكون الفرد بالطبع على بينة من الصلة بين الضمير الثائر ووقوع الحادث هو انسان كالريشة فى مهب الرياح مطحون بين الهو الحافز ، وبين الأنا الأعلى المانع .

أما المثوبات والعقوبات النفسية التى يستخدمها الأنا الأعلى هى مشاعر بالكبرياء أو بالذنب والنقص . فان الأنا يزدهى بالكبرياء حين يسلك سلوكا فاضلا آو يفكر آفكارا فضلى ، ويحس بالخجل من ذاته وبوخز الضمير واحتقار الذات حين يخضع للإغراء . والكبرياء يعادل حب الذات والشعور بالذنب يعادل كراهية الذات . وهذه التمثلات الباطنية للحب والكره هو استدماج للحب والكره الأبوين .

لذا نجد أن الأنا الأعلى يتألف من جهازين فرعيين هما : (١) الأنا المثالى Ego Ideal ، (٢) الضمير اللاشعورى Concience وإذا شبهنا الأنا الأعلى بقطعة العملة لكان الأنا المثالى هو أحد وجهيها والضمير هو الوجه الآخـــر .

والأنا المثالى يطابق تصورات الطفل بصدد ما يعتبره والداه حيزا أخلاقياً ، أما الضمير فهو يطابق تصورات الطفل بصدد ما يعتبره والداه سىء أخلاقيا .

فمثلا إذا كوفىء الطفل (ماديا أو معنويا) لأنه يواظب على النظافة والنظام ، فان النظافة تصبح مثلا أعلى من المثل العليا للطفل . وكذلك إذا عوقب كثيرا لقذارته (ماديا أو معنويا) فان الطفل يعتبر القذارة شيئا سيئاً يجب أن يعاقب عليه أو يشعر بالذنب نحو نفسه أو احتقار الذات لارتكابها أفعالا قذرة .

وهكذا ينشأ الأنا الأعلى مع الأنا نتيجة التفاعل مع البيئة الأسرية واستدماج الطفل المقاييس التى يقيس بها والداهما ما هو خير وما هو شر ، ما هو حلال وما هو حرام . وإذ يتشبه الطفل بسلطة والديه الأخلاقية يحل سلطته الباطنية الخاصة محل سلطتها . وهذا الاحلال للسلطة الأبوية يمكن الطفل من أن يضبط سلوكه فى خط متوافق مع رغبات الوالدين ، وهو يفعل ذلك

حتى يضبط سلوكه فى خط متوافق مع رغبات الوالدين ، وهو يفعل ذلك ليضمن رضاهما ويتجنب ضيقهما وتبرمهما . وبعبارة أخرى ، لا يتعلم الطفل أنه ملتزم باطاعة مبدأ الواقع فحسب (قانون الأنا) ، الذى يتضمن الانتظار وترقب ظهور فرصة مناسبة فى البيئة بصرف النظر عن الخير والشر أو باطاعة مبدأ الحصول على اللذة وتجنب الألم بأى ثمن (قانون الهو) ، ولكن يجب عليه أيضاً إطاعة قانون آخر هو هو ما يجب أن يكون ، أى إذا نامت عين الناس والقانون فان عين الله لا تنام ، وهكذا يستدمج الطفل خاصة فى البيئة المتدينة تدينا مستنيرا غير متزمت أقوى قانون خلقى وأعظم ضابط للسلوك ومنظم للشخصية ألا وهو الضمير الدينى ، نور الخالق فى عقل المخلوق المؤمن بالله . على عكس السيكوباتى مخلوع الضمير الذى لا يعانى أدنى قلق حتى لو ارتكب أكبر الكبائر . والناس على درجات فى قوة الضمير أغلبهم من ذوى الضمير المعتدل القوى نسبياً فى كثير من الأحوال وأقلهم من ذوى الضمير المتطرف المشطط الذى يحاسب على كل صغيرة وكبيرة أو من ذوى التكوين السيكوباتى مخلوعى الضمير .

والشخص الذى تخضع شخصيته لسلطان الأنا المثالى تتركز اهتماماته واختياره للموضوعات على أساس قيمها الأخلاقية أكثر من قيمها الواقعية وما يرتبط بها من نفع وضرر ، فالفضيلة والمثل العليا أهم لمثل هذا الشخص من الحقيقة .

ومدة الطفولة الطويلة التى يعيشها الطفل الناشىء مستندا على والديه تخلف أثرا يكون فى أنا الطفل عاملا خاصا يعمل على إطالة سلطة الوالدين هذا العامل الخاص هو الأنا الأعلى . ولا يمثل الأنا الأعلى سلطة الوالدين فقط بل سلطة المجتمع أيضاً لأن الوالدان ينقلان للطفل رغبات الوسط

الاجتماعى المباشر وغير المباشر والعادات والتقاليد القائمة فى الثقافة السائدة فى المجتمع . وبنفس الطريقة يتأثر الأنا الأعلى للفرد أثناء نموه بالاشخاص الذين يخلفون الوالدين ويحاون محلهم فيما بعد مثل المدرسين والشخصيات المحبوبة فى الحياة العامة والمثل الاجتماعية العليا .

ومن الواضح أن الأنا الأعلى والهو يشتركان فى شيء واحد بالرغم من الفرق الأساسى بينهما فكلاهما يمثل سلطة الماضى . فالهو يمثل سلطة الوراثة البيولوجية والأنا الأعلى يمثل سلطة المواريث الاجتماعية والثقافية . أما الأنا فهوعلىالأخص مقيد بخبرة الفرد الخاصة التى تعكس كيفية ادراكه ورد فعله بالنسبة لمعطياته الوراثية أو معطياته الثقافية والاجتماعية . فمن المقرر أن الفرد لا تستجيب للمعطيات الوراثية أو الثقافية كما هى ولكن كما يدركها ويشعر بها وفكرته عن نفسه وأسلوب حياته .

وهكذا يوضح لنا فرويد كيف تتفاعل الوراثة والبيئة فى تكوين شخصية الفرد بصورة مختصرة وأكثر دقة من أى نظرية أخرى للشخصية بالرغم من أن مصطلحات الأنا والهووالأنا الأعلى عبارة عن مفاهيم نظرية ابتدعها فرويد لتفسير وقائع سلوكية وليست أشياء مادية ملموسة تشغل فراغا معينا مستقلة وقائمة بذاتها ، ويكون الأنا الأعلى من حيث هو متميز عن الأنا أو معارض له قوة ثالثة يجب على الأنا أن يعمل حسابها . وهكذا يصبح من الواجب على الأنا أن يرضى فى وقت واحد رغبات الهو والأنا الأعلى والواقع .

أى أنه إذا كانت الشخصية تمثيلية فقوى الهو والأنا والأنا الأعلى ممثلوها الثلاثة ومنظر الرواية منظر معركة بين قوى متصارعة وهذا الصراع مستمر ما بقيت الحياة وهذا ما عبر عنه فرويد بالصورة الديناميكية للشخصية .

وهذه الصورة لها فوائد عملية كثيرة فى تفسير سواء الشخصية وشذوذها.

فمثلا فى تفسير كثير من المخاوف العنيفة غير المنطقية يعرض فرويد المثال الآتى :(حالة امرأة تخاف خوفا ليس له تفسير عقلى من أن تغتصب جنسيا أثناء السير بالطريق، هى فى الواقع تريد أن تتصل اتصالا جنسياً، ولكن الأنا الأعلى عندها يثور ضد هذه الرغبة . فهى فى الواقع لا تخاف من أن تغتصب، وإنما تخاف من ضميرها فتحتمى من الرغبة المستكرهة للنفس . وبعبارة أخرى أن جزءا من شخصيتها فى حرب مع الجزء الآخر فالهو يقول : « أنا أريد ذلك » . والأنا الأعلى يقول : « هذا أمر رهيب »، والأنا يقول : « أنا خائف » .

ويتحدد سلوك الشخص بدينامياته فاذا خضعت الشخصية لحكم الأنا الأعلى أصبح السلوك سلوكا أخلاقياً . وإذا خضعت لحكم الأنا كان السلوك واقعياً . وإذا خضعت لحكم الهو كان السلوك اندفاعياً .

ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أنه ليس هناك إلا قدر مهيأ من الطاقة النفسية ولا مزيد عليه . ويعنى هذا أن ما يجنيه الأنا من الطاقة يفقده الهو أو الأنا الأعلى أو كلاهما معا . فتزويد جهاز من أجهـزة الشخصية بالطاقة يعنى سلب الطاقة من الأجهزة الأخرى . فالشخص الذى لديه أنا قوى جدا سيكون لديه هو وأنا أعلى ضعيفان . وبالمثل عندما يكون لديه هو أو أنا أعلى زائدان فى القوة .

هذا ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن الأنا قد يتحالف مع الهو من أجل اشباع الغرائز وذلك عندما يكون الأنا الأعلى ضعيفاً والظروف البيئيـة مناسبة لا تتضمن ضررا على مصلحة الفرد فى المجتمع وعلى العكس عندما يكون هناك ضمير دينى كما أسلفنا .

وقد يلوح من جهة أخرى أن الأنا الأعلى من حيث كونه عدوا للغرائز اللاأخلاقية الباحثة عن اللذة قد يواجه الهو ويعارضه بيد أن الأمر لا يكون دائما على هذا النحو . ذلك لأن من الممكن أن يوجه الهو الأنا الأعلى للعمل من أجل اشباع الغرائز فى حالة الأنا الأعلى لشخص اخلاقى بشكل متزمت عكن أن يغدو شديد الاعتداء على الأنا الخاص به . وحينئذ يشعر الأنا بمهانة وشعور بالاثم شديد . والشخص الذى يشعر بهذا الشعور قد يؤدى نفسه ايذاء بدنياً أو ينتحر ، و أفعال الاعتداء الذاتى ترضى الغريزة العدوانية للهو وكأن الأنا الأعلى أصبح مندوبا للهو.

وفى كلمة يمكننا أن نقول أن الغرض الرئيسى للهو هو إشباع حاجات البدن الفطرية (الغرائز) . والغرض الرئيسى للانا هو الكشف عن وسائل الاشباع مراعيا فى ذلك العالم ظروف العالم الخارجى بجانب الأرضاء المتزن أو التوفيق بين الهو والأنا الأعلى والواقع ، بينما الغرض الرئيسى للانا الأعلى ، هو الحد من هذا الاشباع .

(رابعا) أن الفرض الرابع فى هذه النظرية يؤكد أثر الغرائز خاصة الغريزة الجنسية وغريزة العدوان فى تكوين الشخصية واحداث الانحرافات النفسية .

ولفهم هذا الفرض نبسط رأى فرويد فى الغريزة الجنسية بالمعنى الشامل وصلتها بالغريزة العدوانية ، وتتطور الغريزة الجنسية وصلة ذلك بشخصية الفرد .

تتكون حياة الانسان الجنسية فى الأصل ، تبعاً للرأى الشائع من الرغبة فى الصاق أعضائه التناسلية بالأعضاء التناسلية لشخص آخر من الجنس المقابل . وتتضمن هذه العملية أيضاً بعض الأعمال التمهدية كتقبيل الشخص الآخر والنظر إليه ؛ ولمسه . ومن المفروض أن هذه الرغبة تظهر أثناء المراهقة وما بعدها وأن الغرض منها هو التناسل والتكاثر .

ولكن هناك حقائق تتعارض مع هذه الفكرة المحدودة هى :

(١) من الحقائق البارزة أنه يوجد بعض الناس الذين يميلون فقط إلى إلى أشخاص وإلى أعضاء تناسل أشخاص من نفس جنسهم كبارا كانوا أم صغاراً . مما يتعارض مع فكرة الرغبة فى إلصاق الأعضاء التناسلية بالأعضاء التناسلية لشخص آخر من الجنس المقابل ، ويتعارض كذلك مع غرض التناسل .

(٢) من الحقائق البارزة أيضاً أن هناك أشخاص يغفلون الأعضاء الجنسية تماما أو يغفلون استعمالها الطبيعى ، فالافراط فى الأكل والشرب أو سرقة ملابس الأطفال أو سرقة ملابس الداخلية للسيدات عند بعض الناس قد يكون اشباع بديل لرغبة جنسية فشلت وكبتت ، وهنا أغفلت الأعضاء الجنسية على عكس المعنى الشائع . كذلك يتلذذ بعض الناس جنسيا من كشف العورة للغير وفى ذلك إغفال للاستعمال الطبيعى للأعضاء الجنسية فضلا عن التعارض مع معنى التناسل .

(٣) وأخيرا فمن الحقائق البارزة أيضاً أن كثيرا من الأطفال يظهرون اهتماما مبكرا بأعضائهم التناسلية ويبدون علامات تدل على تهيجهم والأمثلة على ذلك لا تقع تحت حصر خصوصاً فى الأطفال بعد سن الثالثة . فالاستمناء الطفلى شائع بين الأطفال ويقصد به مجرد العبث بالأعضاء الجنسية وبتنشيطها للحصول على لذة جسمية ، والطفل إذا قهرناه من العبث بأعضائه الجنسية أخذ يعض أصابعه للتعويض عن اللذة المفقودة وكلا الفعلين جنسياً . والطفل يتلذذ من كون جسمه عريانا أو من استكشاف الأعضاء التناسلية لأطفال الجنس الآخر ، أو من زيارة فراش الوالدين ليلا ، أو طرح وابل من الأسئلة الجنسية لوالديه للاستطلاع الجنسى ، كما يبدو على كثير من الأطفال الخجل الجنسى والغيرة

الجنسية ، ولعبة العريس والعروسة ولعب الطفل مع أمه ومداعبته اياها واصراره على أن يصاحبها وهى تأخذ زينتها أو على النوم بجانبها ووعد إياها بالزواج منها ، بل يظهر النشاط الجنسى قبل سن الثالثة فى مرحلة الرضاعة كما يبدو فى التلذذ الفمى والشرجى . فيتلذذ الطفل من مص ثدى أمه برغم عدم حاجته للغذاء وكذلك يتلذذ من عمليتى التبول والتبرز .

ووصف فرويد هذه المظاهر الطفلية بأنها جنسية لأسباب متعددة أهمها ما يلى : (١) لأنها الممهدات التى تتألف منها الجنسية عند الكبار مثل التقبيل وكافة وسائل استمتاع البصر والسمع واللمس التى ينشأ عنها حالة النشوة التى تسبق اللذة ،(٢) لان الراشد الكبير الذى يصاب بالاحباط فى مجال رغباته الجنسية قد ينكص ويتراجع ويتخذ من الجنسية الطفلية بدائل عن الجنسية التى أحبطت مثل التراجع لعادة الاستمناء (العادة السرية) أو الافراط فى التلذذ الفمى عن طريق النهم الشديد فى الأكل مثلا ، (٣) لأن المظاهر الجنسية عند الأطفال تشبه الانحرافات الجنسية عند الكبار كاشتهاء المحارم أو كشف العـورة علانية وما إلى ذلك من الأمور الطفلية .

مما سبق وبناء على دراسة وعلاج الأمراض النفسية والانحرافات الجنسية قرر فرويد المبــادى التالية :

(١) لا تبدأ الحياة الجنسية أثناء المراهقة فقط بل هى تبدأ عقب الولادة مباشرة فى شكل واضح .

(٢) من الضرورى أن نميز تمييزا دقيقاً بين معنى جنسى Sexual ومعنى تناسلى Genetal والمعنى الجنسى هو المعنى الأعم ،وهو يتضمن أعمالا كثيرة ليست لها أى صلة بالأعضاء التناسلية فبجانب الميل الجنسى الصريح توجد

ضروب المحبة والتقرب والتعلق العاطفى وحب الذات وحب الغير وحب الأشياء وحب المبادىء والأفكار بل حب الانسانية جميعاً .

وبذلك وسع فرويد مفهوم الغريزة الجنسية بحيث جعلها تشمل كافة الرغبات التى تستهدف اللذة الحسية أو الوجدانية تناسلية كانت أم غير تناسلية والتى تبدأ من المهد إلى اللحد ، وسماها غريزة الحب Eros نسبة إلى إله الحب فى الأساطير اليونانية القديمة . وسمى الطاقة النفسية المتعلقة بغريزة الحب بهذا المعنى الواسع بالليبدو Libido .

(٣) تشتمل الحياة الجنسية على النشاط الخاص بالحصول على اللذة من بعض مناطق البدن أهمها الفم والإست والأعضاء التناسلية ويدخل بعض هذا النشاط فى خدمة الوظيفة التناسلية بعد البلوغ وتسمى هذه المناطق التى ينبعث منها الليبيدو بالمناطق الشبقية Erotogenic Zones .

(٤) أغلب دوافع الحياة الجنسية ليست من طبيعة جنسية خالصة ولكنها تصدر عن اخلاط من الغريزة الجنسية وأجزاء من غريزة العدوان (عكس غريزة الحب) Thanatos فالعملية الجنسية العادية بها اجزاء من النشاط العدوانى على شكل عنف جسمى وحركى مما ينتج عنه أوثق اتحاد وهذه الأفعال العدوانية الخفيفة مهمة لنجاح العملية الجنسية العادية ، والنقصان الكبير فى هذه الأنشطة يؤدى للخجل وفقدان القدرة الجنسية .

أما إذا زاد النشاط العدوانى عن حد الاعتدال اعتبر ذلك انحرافا جنسياً كما فى عقدة السادية Sadism ومعناها التلذذ الجنسى من إيلام الغير ألماً شديدا ، وكذلك عقدة الماسوكية Masochism وهى التلذذ الجنسى الجنسى من الحاق الألم الشديد بالذات بواسطة الشريك الجنسى .

وقد ذكرنا سلفاً أن الكراهية الظاهرية قد تخفى الحب الباطنى ، والحب

الظاهر » قد يخفى الكراهية . والكراهية تتضمن بلاشك نزعات عدوانية وهكذا تتحكم غريزة الجنس والعدوان فى تآلفها وتعارضها فى النشاط النفسى للانسان كما تتحكم قوة الجذب وقوة الدفع فى العالم غير العضوى.

(خامسا) أن العوامل السيكلوجية لها من الأهمية مثل العوامل الفسيولوجية فى تنشيط الغريزة الجنسية أو اضعافها أو انحرافها فازالة المبيضين (الغدد الجنسية الذكرية) لدى الصبيان قبل البلوغ يؤدى إلى تخاذل الدافع الجنسى ، غير أن الملاحظة العملية قد دلت على أن استئصال الغدد الجنسية الذكرية أو الأنثوية من أشخاص كبار بعد البلوغ لا يؤثر فى نشاطهم الجنسى إلا تأثيرا طفيفاً ، كذلك الحال عند النساء والرجال الذين ضعفت غددهم ضعفاً شديدا بتقدم السن ، مما يدل على أن استمرار النشاط الجنسى فى مثل هذه الأحوال يرجع إلى بقاء العادات والاهتمامات التى نشأت فى الأصل من تأثير الغدد الجنسية ولم تعد تتوقف عليها الآن كالشجرة التى نشأت من البذرة ثم استقلت عنها وتلاشت البذرة ، وفى هذا ما يدعونا إلى أن نقيم للعوامل النفسية والاجتماعية وزنا فى هذا السبيل . ومما يؤيد أثر هذه العوامل ما لوحظ من أن التربية الجنسية غير الرشيدة فى عهد الطفولة ، تلك التربية التى تكبح الاستطلاع الجنسى للأطفال كبحاً عنيفاً والتى تعاقبهم عقابا شديدا على كل لعب جنسى يصدر منهم ، والتى تقرن الأمور الجنسية بالاشمئزاز والنفور والخوف والشعور بالذنب أو الابهام والسرية . نقول أن هذه التربية كثيرا ما تؤدى إلى تلاشى الاهتمام الجنسى أو العجز الجنسى أو انحراف الدافع الجنسى كممارسة العادة السرية أو اللواط فى الرجال والسحـــاق فى النســاء (الشذوذ الجنسى أو الجنسية المثالية) وغيرها ، وعلى ذلك فان كبت الغريزة الجنسية فى الصغر كبتا عنيفا عن طريق التربية الجنسية غير

الرشيدة من أهم العوامل الممهدة لتصدع الشخصية والأمراض النفسية . وهذا المبدأ يتعارض مع القول : بأنه إذا كان الكبت الجنسى سبب الأمراض النفسية فان الاباحة الجنسية سواء فى الصغر أوالكبر وقاية من هذه الأمراض . وقد كرر فرويد مرارا بأن الكبت المعتدل هو الضريبة التى يدفعها الفرد فى سبيل بناء الحضارة الانسانية والمقصود هنا هو حاجة الطفل إلىٰ تربية جنسية لا تسرف فى كبح الطفل أو تخويفه أو تدليله أو تأثيمـــه .

وعلاوة عما سبق فقد أشار فرويد وغيره إلى الصلة المتبادلة بين الحضارة والكبت الجنسى . فالفنون والآداب والعلوم وغيرها من ضروب النشاط الابداعى ما هى الا صور متسامية معلاة من الجنسية المكبوتة .

(٦) حيث أن من يتتبع تاريخ البشرية يجد أنه تاريخ حروب وصراعات موصولة بين الشعوب ، وكأن فترات السلام ما هى إلا استعداد لحرب جديدة وعدوان جديد ، هذا على مستوى الشعوب .

وعلى مستوى الفرد فقد دلت دراسة الحالات المرضية فى العيادات النفسية على أن العدوان حاجة فطرية لدى الفرد كالجوع والعطش ، فلابد للانسان أن يعتدى كما لابد له أن يأكل بكل وسيلة وبأى ثمن . وغريزة الحب دائما تسير مع غريزة العدوان جنباً إلى جنب فوراء المحبة الظاهرة بين الناس عداء كامن مستور ، وليست طيبة الانسان إلا وهما وخرافة فالظلم من شيم النفوس والعدوان فى فطرة بنى آدم حتى أن لم يعتد عليه معتد.

ومما يدل على أن طيبة الانسان ما هى إلا وهما وخرافة ما نلاحظه فى السلوك الطفلى، فالطفل يعض ويركل ويخربش ويضرب الأرض برجليه ورأسه إذا أحبطت دوافعه أو طلبنا منه تأجيل رغباته فترة قصيرة ، كما أنه يكشف عن عورته أو يعبث باعضائه التناسلية بلااستحياء ولولا التربيـــة

الانسانية الرشيدة لشب الانسان بشخصية شهوانية هى طبيعتــه الأصلية الشريرة . وحتى الغريزة الجنسية تلون وتتحال كل عاطفة تربط الفرد بغيره حتى لو كان حب الأب أو حب الأم أو الأخ أو الأخت ويعتبرها فرويد كلها ذات طبيعة جنسية تصاعدت أو لم تبلغ هدفها Sublimated, Inhibited in their aim وكان الغريزة الجنسية وراء كل نشاط دافع فى الوجود سواء اتصل بأعضاء التناسل أو لم يتصل . وقد كان فرويد يقول : « ان الانسان أصيب بثلاث صدمات هزت كيانه هزا فى تاريخه الطويل الأولى عندما اكتشف جاليليو أن الأرض تدور حول الشمس فعلم الانسان أن الكون لم يخلق له وحده . والثانية يوم قام داروين بنظريته فى النشوء والارتقاء فأدرك الانسان أن ما يحكم الحيوان من قوانين الطبيعة ينطبق عليه هو الآخر وأنه ليس إلا نوعا لطيفاً من الحيوان انحدر عن أنواع أقل لطفاً . والثالثة عندما انكشف الغطاء عن اللاشعور وعلم الانسان أن بأعماق نفسه من الميول الجنسية والعدوانية المحرمة ما لم يتصور أن لها أى أثر فى نفسه » .

(سابعا) على أساس مفهوم الجنسية الطفلية Infantile Sexuality ومبررات افتراضها (انظر الفقرة رقم ٣) جاء فرويد بنظريته من مراحل تطور الغريزة الجنسية من الناحية النفسية وبيـان صلتها باضطرابات الشخصية وحدد هذه المراحل بثلاث كما يلى :

أولا — المرحلة قبـــل التناسلية :

وتنقسم داخلياً إلى ثلاث مراحل فرعية :

(١) المرحلة الفميــة (أو الشفوية) : Oral Phase

وتبدأ بالميلاد وتنتهى بالفطام من الثدى .

(٢) المرحلة الاستية السادية : Sadestic - anal Phase

وتبدأ بظهور الاسنان فى منتصف السنة الأولى حتى نهاية السنةالثانية .

(٣) المرحلة القضيبية : Phallic. Phase

وتبدأ من بداية السنة الثالثة حتى بداية السنة السادسة تقريباً .

والخاصة الثابتة للغريزة الجنسية خلال فترة ما قبل التناسلية هى النرجسية Narcissism ولفظة ترجسية مشتقة من نرجس أو نارسيسس Narcissus المذكورة فى الاسطورة اليونانية وهو شاب جميل رأى صورته فى الماء فعشقها وهام بحبها وطال وقوفه أمامها يتأملها حتى سقط فى الماء وتحول إلى زهرة النرجس المعروفة .

وتعنى النرجسية فى مذهب فرويد حب الذات أوالشهوية الذاتية، أى اتجاه الليبدو نحو الذات واتخاذها موضوعا للذة والحب، والطفل المولود حديثا لا يستطيع أن يميز بين نفسه وبين الموضوعات الأخرى الخارجية لذلك يتجه ليبيدو الطفل فى أول الأمر نحو ذاته الجسمية والنفسية ويجعلها موضوعا لحبه فيشتق الطفل لذة بدنية تتضمن تصرفات متعددة منها التلذذ من مص الأصبع والتبرز والعبث الجنسى ويقبل نفسه فى المرآة ويزداد اهتمامه وأعجابه بكل مما يقول ويفعل ويكشف من عورته ويجرى عريانا ..الخ .

ويمكن للطفل أيضاً أن يرغب فى والديه وهذه الشحنات الانفعالية تنمو لأن والديه وبخاصة أمه يعينانه على انجاز لذته البدنية فصدر الأم وثدييها مصدر رئيسى للذة الفمية والسادية وتقبيله وتدليله يشبعه أشباعا جنسيا وهذا ما سماه فرويد بالنرجسية الأولية المطلقة أى الشهوية الجنسية الذاتية على خلاف النرجسية الثانوية التى تتمثل فى مشاعر الكبرياء التى يمارسها الأنا حينما يتقمص الطفل المثل العليا للأنا الأعلى .

ثانيا : مرحلة الكمـــون Latency Phase

وتبدأ من السنة السادسة حتى البلوغ ومطلع المراهقة .

ثالثاً : المرحلة التناسلية : Genital Phase :

وهى أطول المراحل السابقة وتبدأ بالبلوغ ومطلع المراهقة وتنتهى بالشيخوخة حيث يميل الفرد إلى التراجع إلى مرحلة ما قبل التناسلية ، وتنقسم داخليا إلى مرحلتين فرعيتين :

(١) مرحلة الجنسية المثلية — أى الميل لنفس الجنس Homosexuality.

(٢) مرحلة الجنسية الغيرية — أى الميل للجنس الآخر Hetrosexuality

أولا — المرحلة ما قبـــل التناسلية :

وتنقسم داخلياً إلى المراحل النوعية التالية :

(أ) المرحلة الفميـــة أو الشفوية :

النضج الجنسى وما يرتبط به من النمو النفسى هو عملية نشوء منتظمة تبدأ فيه الغريزة مراحل تطورها بالحساسية البدنية العامة ثم تختتم التطور بالجنسية الغـــيرية .

يستمد الرضيع لذة حسية من تنبيه سطح جسمه بوجه عام ثم لا تلبث هذه الحساسية الجنسية العامة أن تتركز فى مناطق معينة هى المناطق الشبقية وأهمها ثلاث : الفم ، والشرج ، وأعضاء التناسل . والمعالجة اليدوية للمنطقة الشبقية مشبعة لأنها تزيل التهيج كما أن الحك بالأظافر يريح من احساس بالهرش ولأنها تؤدى إلى إحساس لاذ .

وكل منطقة مرتبطة باشباع حاجة حيوية فالفم مرتبط بالطعام والشرج مرتبط بالتخلص من الفضلات ، والأعضاء التناسلية مرتبطة بالتبول واللذة

الجنسية . واللذة المتولدة من منطقة شبقية كثيرا ما تكون مستقلة عن اللذة المشتقة من أشباع الحاجة الحيوية ، مثلا قرص الأظافر بالأسنان ، ومزاولة العادة السرية هي من قبيل تخفيف التوتر ولكن الأولى لا تشبع الجوع كما أن الثانية لاتجدى نفعاً فى النسل .

يبدأ الطفل باستمداد اللذة من نشاط الفم وما يلحق به من اللسان والأسنان واللعاب ، ولا شك أن الوظيفة الأولى لنشاط الفم هو حفظ الذات بالتغذية ولكن لا يجب أن نخلط بين الناحية الفسيولوجية والناحية السيكلوجية فان اصرار الطفل بعناد على الرضاعة يدل دلالة واضحة فى هذه المرحلة المبكرة على وجود رغبة فى الحصول على اللذة، ومع أن هذه الرغبة تنشأ فى الأصل وتستمد قوتها من تناول الغذاء إلا أنها مع ذلك تسعى وراء اللذة بصرف النظر عن تناول الغذاء . ولهذا السبب توصف هذه الرغبة بأنها جنسية والطفل يجد لذة فى استخدام الأسنان ليعض الأشياء تنفيساً عن غضبه الذى ينشأ عن احباطه .

فالطفل الذى يفطم فجأة وهذا موقف يؤدى للاحباط والقلق ينمو لديه ميل قوى للتشبث بالأشياء حتى يمنع سلفاً تكرار صدقة الفطام ، فالجشع وحب التملك الزائد عن الحد ينمو كنتيجة لعدم الحصول على قدر كاف من الطعام أو الحب فى سنوات العمر الأولى ، فالشخص المحب للتملك لايرتوى إذ مهما يكن ما يمتلكه مالا كان أو شهرة فانه لا يعدو أن يكون بديلا لما يرغب فيه بالفعل ، أعنى الطعام من أم يحبها ، والعدوان الفمى بالأسنان نموذج أولى لأنواع عديدة من العدوانات المباشرة أو المنقولة أو التنكرية فالطفل الذى يعض بأسنانه قد يعض وهو راشد يدافع بالسخرية اللفظية والتهكم أو الاستخفاف وحين يشعر الانسان بالذنب ، وقد يستخدم العدوان الفمى

كشكل من أشكال العقاب الذاتى فقد يعض الانسان شفتيه أو لسانه أو يقضم أظافره ، وقد يثبت فى نموه عند مرحلة أولية من العدوان الفمى أوقد يتراجع إليها حين يواجهه احباطات فى مراحل نموه التالية تبلغ من الجسامة حدا لا يستطيع معه احتمالها .

(ب) المرحلة السادية الإستية :

تأخذ الرغبات السادية (العدوانية) فى الظهور بطريقة غير منتظمة أثناء المرحلة الفمية عندما تبدأ الأسنان فى الظهور وتزداد هذه الرغبات العدوانية بدرجة كبيرة أثناء المرحلة السادية الشرجية (الاستية) لأن الطفل فى هذة المرحلة يسعى فى الحصول على اللذة من وراء العدوان بالأسنان لثدى الأم وعن طريق عملية التبرز التى تثير غضب الغير. فيجد الطفل لذة فى العناد والتحكم والسيطرة نتيجة لاستيائه مما يلقاه من ضغط وتقييد أوعقاب أثناء تعليمـه التحكم فى عمليتى التبول والتبرز وقد لا يستطيع الطفل الإفصاح عن عدوانه هذا فيرده إلى نفسه،وقد يجد لذة فى هذا العدوان المرتد على الذات (الماسوكية) والسادية عبارة عن امتزاج لرغبات ليبيدية (جنسية) صرفه ورغبات عدوانية صرفة ويستمر هذا الامتزاج منذ ذلك الوقت بدون انقطاع .

وطرد الفضلات يجلب للطفل الراحة لأن معناه القضاء على مصدر التوتر كما أن احتجاز الطفل للفضلات لاذ أيضاً فان الضغط على الحوائط الداخلية للقولون بواسطة مواد الغائط (البراز) يشبع الطفل اشباعا حسياً جنسيا .

وتدخل الأم العقابى الصارم أو التعجل فى التدريب فى عملية التبرز قد يدفع الطفل إلى الانتقام بأن يلوث نفسه عمدا . وحينما ينمو مثل هذا الطفل يغدوا مقلقــا لمصادر السلطات غير عابىء بالمسئولية . أو قد ينتج رد فعل فى الفرد حين الرشد فى شــكل اسراف فى النظــافة والتأنق والدقة المبالغ فيها بالنسبة للوقت والمال والقرف والخوف من القذارة والبخل الزائد عن الحد ، أو الاندفاعات القهرية اللاشعورية فى التلذذ الشرجى كما يحدث فى الجنسية المثلية .

والرغبة الشديدة فى حجز الغائط (البراز) والتلذذ منه يمكن أن تعمم بعد ذلك فى صورة رغبة لجمع الأشياء وحفظها وامتلاكها .

(ج) المرحلة القضيبية :

الطور الثالث فى مرحلة ما قبل التناسلية هو الطور القضيبى أو المرحلة القضيبية وهى باكورة المرحلة النهائية للحياة الجنسية وهى المرحلة التناسلية كما أنها تشبهها شبها كبيرا ومما تجدر الاشارة إليه فى هذا الصدد هو أن اهتمام الأطفال فى هذه المرحلة — بنين وبنات — لا ينصب على الأعضاء التناسلية لكلا الجنسين فقط بل ينصب على عضو الذكر التناسلى وهو القضيب ولذلك تسمى هذه المرحلة بالمرحلة القضيبية .

وتتعاقب الأطوار الجنسية ابتداء من العام الثالث إلى بداية العام السادس كما يلى :

يجد الطفل لذة كبيرة فى عملية التبول والعبث بأعضائه التناسلية بيديه (ما يشبه الاستمناء) ويجد لذة فى كشف عورته وجسمه أمام الغير . ثم يمر بطور نرجسى ينصب فيه حبه على جسده ونفسه ويطيل النظر إلى جسمه

خاصة فى المرآه ، كما أنه يستشعر لذة جنسية من اكتشاف جسم الأطفال الآخرين وخاصة اعضائهم التناسلية والميل لزيارة فراش الوالدين ليلا واختلاس النظر لمعرفة ما ذا يفعلون ، وكذلك الاستطلاع الجنسى عن ولادة الأطفال ومجيئهم إلى الدنيا وكيف يتكونون ، ويتلذذ الطفل أيضاً فى هذه المرحلة من دغدغة جسمه وتقبيله وضمه للصدر . . . الخ .

بعد هذا يمر الطفل بطور ترى فيه الأولاد ، غالباً يميلون إلى اللعب والاجتماع بالأولاد دون البنات ، ونرى البنات يملن إلى اللعب والاجتماع بالبنات من دون الأولاد . ويطلق على هذا الطور الجنسى المثلى .

ثم تنصب الغريزة الجنسية (الليبدو) بعد ذلك على الوالدين ويطلق على هذا الطور المرحلة الأوديبية ، وقد يتمخض هذا الطور عن تعلق الطفل تعلقاً شديدا بأمه . أو ما يشبه أمه وغيرته وكراهيته لأبيه أو ما يشبه أبيه وخوفه من بتر قضيبه (الخصاء) فى نفس الوقت . وهذه هى عقدة أوديب . أو تعلق الطفلة بأبيها أو ما يشبه أبيها تعلقاً شديدا ، وغيرتها وكراهيتها لأمها (أو من يشبهها) أو يحل محلها كالأخت الكبرى مثلا والأخ الأكبر فى حالة الولد ، وكذلك رغبتها الشديدة فى أن يكون لها قضيب وحسد الولد على هذه الخاصية الذكرية فى نفس الوقت . وهذا ما يعرف بعقدة أوديب بالنسبة للبنت أو عقدة الكترا . وهذه أخطر عقدة نفسية فى حياة الطفل وتؤثر أبلغ تأثير فى شخصيته إذ هى ذات صلة وثيقة بتكوين ضمير الفرد كما أنها حجر الزاوية ونواة جميع الأمراض النفسية والعقلية .

وقد استعار فرويد مصطلح أوديب والكترا نسبة إلى اسطورتين فى الأدب الاغريقى مؤداها أن أوديب كان طفلا لأحد الملوك فتكهن أحد المنجمين بأنه

سيقتل أباه حين يكبر ، فأمر الملك بطرد ابنه فى العراء ، فلما كبر أوديب التقى بأبيه فى أحد رحلاته ولم يكن يعرفه ، ولأمر ما تنازعا فقتل أوديب أباه ، ثم مضى حتى بلغ مدينة أبيه فتزوج ملكتها وهى أمه دون أن يعرفها ، ولما عرف بعد ذلك أنه تزوج أمه وقتل أباه ثار ضميره ثورة شديدة وعاقب نفسه بفقء عينيه كفارة عن فعلته الشنعاء .

ويقول فرويد أن الخصاء موجود أيضاً فى اسطورة أوديب فالعمى الذى عاقب به أوديب نفسه هو بديل رمزى للخصاء كما تدل على ذلك الأحلام . وكذلك زواج الأم وقتل الأب تعبيرا عن التعلق الجنسى بالأم والغيرة والكراهية للوالد ،أما عدم معرفة الأب والأم فى القصة فهذا تعبيرا عن الخاصية اللاشعورية للرغبتين حب الأم وكراهية الأب وما أصابها من كبت ونسيان الطفولة .

ومن المحتمل وجود أثر من الذاكرة النوعية باق من التاريخ القديم للاسرة الانسانية حينما كان الأب الغيور يقوم فعلا بحرمان الابن من أعضائه التناسلية إذا قام الابن بمنافسته على امرأة . ويساعد هذا الأثر الباقى فى الذاكرة على جعل التهديد بالخصاء مفزعاً إلى درجة شديدة . (وهنا يعتقد أن التاريخ القديم للاسرة الانسانية ينتقل من السلف للخلف بيولوجياً عن طريق الوراثة أوما سمى فيما بعد باللاشعور الجمعى) .

أما عن عقدة الكترا Electra Complex تروى الاسطورة اليونانية أن الكترا بنت أجا ميمنـون Agamenon ملك مسينا قد أغرت أخاها أوريستس Orestes على الانتقام من أمها وعشيق أمها لأنهما قتلا أباها أجاميمنون . وقد حزنت الكترا على موت أبيها حزنا شديدا لازمها حتى

الموت . وهنا تحب البنت أبيها حباً شديدا وتكره أمها كرها شديدا على عكس الولد .

ويتكون الموقف الأوديبى بتتابع الوقائع التالية : —

يحب الطفل فى أول الأمر ثدى الأم لأنه يغذيه . ثم يتغير الموضوع الأول لحب الطفل بعد ذلك ويصبح كل شخص الأم التى تطعمه وتحميه وتعنى به وكذلك تدغدغه وتضمه لصدرها وتقبله ، وبذلك تثير فيه كثيرا من الاحساسات البدنية اللذيذة أى الجنسية . ولعناية الأم لبدن الطفل تصبح الأم أول من يغريه جنسياً فالانسان لا يستطيع الوصول للوجدانيات أو المعنويات إلا عن طريق الحسيات ، خاصة وأن إدراك الطفل ما زال أوليا فى هذه المرحلة .

وإلى هاتين العلاقتين اللتين تنشآن بين الطفل والأم ترجع أهمية الأم (أو من يحل محل الأم كالأخت الكبرى) ، تلك الأهمية الفريدة فى نوعها والتى لا يوجد نظير لها والتى لا تتغير مدى الحياة باعتبارها أول وأقوى موضوع للحب وهى النموذج الأول لكل علاقات المحبة التالية لكل من الجنسين . والفرد قد يجد بديلا عن شىء عزيز يفقده ولكن لابديل عن صدر الأم وثدى الأم ودفء الأم ، أول وأصدق وأعمق مصدر للحنان والحب الجواد الذى يعطى بلا حدود ودون انتظار جزاء .

يستشعر الطفل أحساسات لذيذة فى عضوه التناسلى ، ويتعلم احداث هذه الاحساسات اللذيذة كلما أراد بالمعالجة اليدوية ، وكلما ضمته الأم إلى صدرها وزادت من تقبيله ودغدغتة كلما نشطت الميول الجنسية . لذلك

يرغب الطفل فى امتلاك أمه ولا يريد مشاركة أحد له فى ذلك ، أى حب استحوازى ، ويساعد على ذلك خيال الطفل الخصيب فى هذه المرحلة من الحياة الجنسية . فذكورة الطفل المستيقظة فى وقت مبكر يجعله يحاول فى علاقته بأمه بأن يحتل المكان الذى يخص والده الذى كان حتى الآن مثالا يحسده على قوته البدنية وسلطته ، ويصبح أبوه الآن منافساً يقف فى طريقه فيغير منه ويكرهه ويود أن يتخلص منه . فاذا غاب أبوه استطاع أن يشارك أمه فراشها . وإذا عاد الأب أبعد مرة أخرى عن فراش أمه . فالمتعة الذى يحصل عليها حينما يغيب أبوه وخيبة الأمل التى تحل به عندما يظهر أبوه وهى ما تؤجج الغيرة والكراهية للأب .

وسوف تفهم الأم بعد مدة قصيرة أو طويلة سر احتياجه الجنسى ورغبته الجامحة فى التصاقه بها وأن من الخطأ العبث بأعضائه التناسلية ولابد من منع استمرار هذه الأمور فتعاقبه بدنيا ونفسيا ، وعلى قدر عنف العقاب والجزع على قدر زيادة التعقيد .

وتهدد الأم الطفل بحرمانه من قضيبه كلما زاد عبثه به ، ولكى تجعل التهديد أكثر ارهابا وأكثر اقناعا فانها تقوم فى العادة بتفويض أمر تنفيذه إلى أب الولد . وذلك بأن تقول له أنه سوف يخبر أباه عن ذلك وأن أباه سوف يقوم ببتر قضيبه ويصبح هذا التهديد مفزعا إذا تذكر الطفل مظهر أعضاء تناسل الأنثى أو رأى هذه الأعضاء التى ينقصها فعلا ذلك الجزء الذى يقدره تقديرا عظيماً ، ويشتد الفزع أيضاً كلما تذكر الطفل الختان وهى بديل رمزى آخر للخصاء ، ويعزز كل ما سبق قسوة الوالد فى عملية التربية والتطبيع الاجتماعى عموما .

ولما كان الولد يخاف من بتر قضيبه ، ويعجب فى الوقت ذاته بأبيه لأنه

قوى ويجلب له السرور والهدايا فى المناسبات المختلفة . لذلك نجد الطفل يتخلى عن كثير من تعلقه الشهوى بأمه ويبدأ فى تقمص شخصية أبيه ويحتذيه ، ويقلده ويستدمج معاييره الخلقية فيحجم الطفل عما يعتبره أبوه رذيلة ويقدم على ما يعتبره أبوه فضيلة وبذلك يتكـــون ضمير الطفل وذاته العليا . تلك السلطة الداخلية التى تقوم مقام الوالد فى مراقبة الطفل وتوجيهه ونقده وعتابه . وعلى هذا يكون الضمير خليفة الوالد فى نفس الطفل وريث عقدة أوديب التى تحل عادة على النحو السابق لدى الطفل السعيد الطالع فى بدء السادسة تقريباً . وعلى قدر ما يكون الضمير مشططـاً أو غائبـــاً على قـــدر ما يكون التعقيـــد النفسى تلك هو الموقف الأوديبى الذى يتحتم على كل طفل أن يمر به فى كل زمان ومكان . فالطفل فى كل حضارة وفى كل مكان عاجز من الناحية البيولوجية لفترة طويلة ومن الطبيعى أن يتعلق بأى شخص يرضى حاجاته الطبيعية ويجلب له اللذة والسرور والأمن سواء أكان هذا الشخص أمه أم غيرها ومن الطبيعى أن يغار الطفل أو يكره كل من ينافسه فى حبه لأمه أو من يقوم مقامها سواء أكان هذا الشخص الأب أو غيره ، وفى جميع الأحوال يظل جوهر الموقف الأوديبى قائما وهو التعلق الاستحواذى للطفل بشخص يعتمد عليه فى ارضاء حاجاته لضعفه ، مع غيرته وعداوته لمن ينافسونه .

هذا عن الموقف الأوديبى الحتمى أما التعقيد النفسى فأمر يتوقف على العوامل الحضارية ونمط التنشئة الاجتماعية الاسرية والمناخ العاطفى فى الأسرة والصدمات العاطفية التى تلقاها الطفل . فالختان ومستوى الاحتشام والحياء الجنسى وقسوة الوالدين أو تدليلها أو تقلبهما بين القسوة والتدليل أو الاهتمام والتجاهل أمور تتوقف على العوامل الحضارية فى كل مجتمع من المجتمعات .

أما عن سر زيادة تعلق الطفل بأمه وزيادة تعلق الطفلة بوالدها حتى وإن تساويا الوالدين فى العطف فلعل الطبيعة تعد الطفل بهذا الشكل للهدف التناسلى فى سن البلوغ والرشد ، وتعوده على حب شخص آخر من غير جنسه وأن يكون بنفسه فكرة عن الجنس الآخر .

وعلاوة على ما سبق يتوقف نجاح الطفل فى تصفية هذه العقدة على ما لقيه منذ الميلاد من تربية سليمة رشيدة وعلى ما يلقاه فى هذه المرحلة من حسن تصرف الوالدين ، فالطفل الذى لم يتعرض للحرمان الشديد أثناء عملية الرضاعة ولم يفطم من ثدى أمه فطاما مفاجئا عنيفاً ، ولم تفرض عليه ضبط المثانة والامعاء فى عنف أو تعجل واسبغ عليه الجو العاطفى الأسرى حباً وحنانا وصبرا مثل هذا الطفل يتقبل فى يسر وسماحة ما يفرض عليه من أوامر ونواه واستطاع أن يجتاز مرحلة أوديب بسلام .

أما الطفل الذى فرض عليه الحرمان والكبت الشديد ازاء هذه العمليات جميعاً ، أو الذى لاقى فى ازءها إشباعا مسرفا ، أو كانت تربيته متقلبة فالاحتمال الأقوى أنه لا يجتاز هذه المرحلة بسلام .

وذكر فرويد أن كل عصابى (مريضاً نفسيا) لا يزال متعلقاً تعلقاً شديدا شاذا بأمه ولا يزال يكره أباه ويخاف من بتر قضيبه وهذه الرغبات لا شعورية لأنها كبتت كبتاً عنيفاً حيث أنها مستكرهة للنفس والناس . وهذه الرغبات والمخاوف اللاشعورية هى ماتتدخل بشكل قهرى فتفسد رغبات الفرد الشعورية فى الميل للجنس الآخر . واختياره فردا ملائماً فى مثل سنه من الجنس الآخر وكذلك تفسد الهدف الطبيعى التناسلى . فقد يؤدى هذا التعلق الشديد بالأم وكراهية الوالد والخوف من الخصاء إلى الامتناع عن الزواج أو الاصابة بالعجز الجنسى أن تزوج أو يميل بالفرد إلى التخنث أو اللواطية (الجنسية المثلية).

أو ينزع إلى الزواج من أمرأة تكبره فى السن حتى لتقارب أمه سنا أو تشبهها . وعداوه اللاشعورى لأبيه قد ينفجـــر بشكل صريح ، أو يظهر فى شكل كراهيته للسلطـة فى كل صورها . أو غيرته وكراهيته من كل رجل يتعامل مع زوجته حتى لو كان تعاملا رسمياً أو بريئا أو عابرا (غيره مرضية) مما يجعل سعادته الزوجية أمرا مستحيلا . أو يجعله خاضعاً ذليلا للنساء خصوصا كبيرات السن . أو يجعله عاجزا عن المحبة تلقياوعطاء لأنه باحث عن شخصه لا توجد إلا فى خياله (الأم) فيصبح قلبه (كالمصفاه) زير نساء كما يقولون . أو تجعله العقدة ناجحاً جنسياً مع العاهرات اللاتى لا يتمتعن باحترامه ولا ينجح جنسياً مع زوجته صغيرة السن .

وعلاوة على ما سبق يعتقد فرويد أن أعراض هذه العقدة ليس فقط عند العصابيين بل لدى أغلب الأسوياء من الناس مما يشير إلى أنه يندر أن تصفى هذه العقدة تصفية كلية نهائية . فالصفات والاتجاهات الأوديبية الطفلية تبقى ملازمة أغلب الناس طول حياتهم على درجات تتفاوت حدة وبروزا .

كما ذكر فرويد أن كل فرد لديه استعداد وراثى للذكورة والأنوثة معا سواء أكان رجلا أو امرأة . وقوة التقمص مع أحد الوالدين فى الموقف الأوديبى — أى تقمص الوالد فى حالة الطفل ، وتقمص الوالدة فى حالة الطفلة — أمر يحدده جزئيا القوة النسبية لكل من الاستعداد للذكورة والأنوثة .

فاذا كانت المقومات الانثوية لدى الولد قوية كان الولد أشد تقمصا لوالدته وتعلقاً بها وزادت حدة عقدة أوديب . وبالمثل إذا كانت المقومات

الذكورية للفتاة قوية كانت الفتاة أشد تقمصا مع الأب وتغدو فتاة خشنة سليطة لا يهمها إلا السيطرة على الرجال وقهرهم وإذلالهم بلا سبب أو لأتفه الأسباب .

أما عن المرحلة القضيبية عند الأنثى ففيها كثير من أوجه التشابه بالمرحلة القضيبية لدى الولد وكذلك بعض الاختلافات .

فالبنت أيضاً تركز حبها ابتداء على ثدى أمها ثم إلى حب أمها كلها . وتبدأ العبث بعضوها التناسلى خاصة بظرها (النتوء الذى يقطع كليا أوجزئيا فى عملية الطهارة) وبخيب أملها لحرمانها من القضيب كما هو موجود عند الولد . وتفشل فى الحصول على لذه كاملة لصغر بظرها عن قضيب الولد وتحسد الولد وتغار من الذكور لامتلاكهم هذا العضو دون سواها . وسوف لا تسمح الأم باستمرار هذا العبث الجنسى من جانب البنت فتعاقبها جسديا أو معنويا . لذا تنصرف البنت إلى حب أبيها وكراهية أمها . والرجال بطبيعتهم يميلون إلى تدليل البنات ومعاملتهم برقة وعطف على عكس الأولاد الذين يريدون لهم الآباء الخشونة مما يشجع البنت على التعلق بالأب . وكلما زادت ثورة الأم وجزعهـــا وزادت قسوتها على البنت من جراء عبثها الجنسى كلما زاد تشبث البنت بمعالجة بظرها يدويا على أساس أن الممنوع مرغوب . وعلى قدر الاعتدال والصبر وزيادة حنان الأم على الفتاة بصفة عامة كلما مرت هذه المظاهر بسلام . وكلما زاد التشبث كلما زادت حدة عقدة الكترا عند الفتاة . على عكس الخوف من الخصاء الذى يضع حدا لعقدة أوديب عند الولد .

وطبيعى أن الفرد يحب من يكمل النقص فيه ويعوضه ، لذلك تنجذب الفتاة جنسيا إلى أقرب الناس إليها بعد أمها وهو أبيها لأنه يملك ما حرمت

منه وهو القضيب . وتبدأ فى التقرب والالتصاق به خصوصا فى غياب أمها . ويخيب أملها فى الحصول على هذه اللذة كلما حضرت أمها وتواجدت بالمنزل . لذلك فأمها تشاركها وتنافسها فى موضوع حبها الاستحواذى فتغير منها وتكرهها .

ومع هذه الغيرة والكراهية للأم فالأم أيضاً مصدر اعجاب واشباع كثير من الحاجات والرعاية والحماية لذلك تبدأ الفتاة فى تقمص شخصية أمها وتقمص أوامرها ونواهيها وخصوصا إذا كانت المقومات الأنثوية للفتاة أقوى من المقومات الذكرية ويتكون ضميرها والانا الأعلى لها ، هذا ان كتب لها النجاح والمرور بسلام وتصفية هذه العقدة . وإذا تشبثت البنت الصغيرة برغبتهـــا الأولى وهى أن تصبح ولدا وغيرتها وحسدها للأولاد لحصولهم على القضيب فان الأمر سينتهى بها بعد ذلك فى الحالات المتطرفة إلى الجنسية المثليـــة بشكل واضح وتظهر فى تصرفاتها صفات الذكورة الواضحة سواء فى التفكير أو الشعور أو العمل .

ويقول فرويد أنه إذا سألنا محللا نفسانيا عن الحالات النفسيـــة المستعصية التى يصادفها بين مرضاه لأجابنا بأن هذه الحالات هى : (رغبة المرأة فى أن يكون لها قضيب ، واتجاه الرجل المخنث نحو الأشخاص الذين من نفس جنسه وهو اتجاه تكون نتيجته الحتمية فقدان القضيب) .

والانثى العصابية المصابة بعقدة أوديب تظل طوال حياتها تشعرأن جميع الرجال كوالدها يرفضون الحب الذى تستشعره لهم ، أو تشعر بالذنب أن أحبت أى رجل لأنها لا تزال تشعر بالذنب من حبها لأبيها ، أو تشعر أن جميع الرجال ليسوا أهلا لها بالقياس إلى أبيها . أو لا تستطيع أن تحب إلا من يشبه اباها ، أو تشعر أن جميع النساء كوالدتها ينافسنها فى كل رجل

تحبه ، أو تكره من النساء ذوات السلطة والنفوذ ، أو تغار غيرة شاذة على زوجها وهى غيرة تنطوى على خوف شديد من فقدانه ذلك أنه بديل للأب الذى لا تزال تتعلق به تعلقاً أنانيا لا شعوريا .

ثانيا : مرحلة الكمـــون :

هنا تدخل الغريزة الجنسية تحت عوامل الخجل والاشمئزاز والاحباط والكبت إلى فترة هدوء واستقرار نسبيتين فى حياة الطفل لذا تعرف بمرحلة الكمون حيث تفتر الأنانية وتهدأ انفعالات الطفـــولة الصاخبة التى تميزت بها مرحلة الطفولة المبكرة . وتتحول طاقة الليبيدو عن طريق التسامى (تحويل الطاقة الجنسية المستكرهة إلى نشاط سامى يقبله المجتمع ويمجده) إلى ضروب أخرى من النشاط الحيوى لذا تظهر المهارات العقلية والفنية والحركية والاجتماعية والرياضية بدخول الطفل المدرسة الابتدائية وطوال هذه المرحلة .

ثالثا : المرحلة التناسلية :

تبدأ مرحلة البلوغ والمراهقة بنزعة ظاهرة للاختلاط ، البنون فيما بينهم والبنات فيما بينهن فتكثر الصدقات والاجتماعات والأنشطة المشتركة بين أفراد الجنس الواحد وهذا الاندماج العاطفى قد يصل إلى حد الميل الجنسى الصريح وهو ما يسمى بالجنسية المثلية .

ثم تختتم الغريزة الجنسية مراحل تطورها بالجنسية الغيرية (أى الميل للجنس الآخر) حيث تتعاون المقومات الجنسية الطفلية فى خدمة الهدف الطبيعى النهائى للغريزة الجنسية وهو التناسل .

وأهم شروط اكتمال النضج الجنسي والنفسي فى هذه المرحلة ثلاث :

١ ـ أن تختفى اللذات الشبقية الطفلية على استقلال وأن تسير جميعا فى موكب اللذة المستمدة من العملية التناسلية . بمعنى أنه لو استمر التلذذ الفمى من مص وعض كهدف فى حد ذاته ، أو التلذذ الشرجى ، أو التلذذ من العبث بالاعضاء التناسلية باليد وانصرف الفـرد أو نفر من العملية التناسلية [الطبيعية واكتفى بالنشاط الجنسى الطفلى فان نضجه الجنسى النفسى لم يكتمل . ولا بأس من تواجد بعض مظاهر الجنسية الطفلية لعوامل مساعدة لإثارة الشهوة الجنسية استعداد للنشاط التناسلى العادى .

٢ ـ أن الغريزة الجنسية تجمع بين اللذة الحسية وكذلك عاطفة الحب المعنوى Armourous Sentiments

٣ ـ أن يجد الفرد الرضا والاشباع الجنسى والاكتفاء من فرد واحد من الجنس الآخر (العين تشوف كثير والقلب له واحد) . ورغم هذا الاكتفاء فان الفرد يظل محباً لأمه وأبيه واخوته واخواته وأقاربه وزملائه ووطنه ومبادئه ومعتقداته بل والانسانية جمعاء ولكن بصورة تختلف عن المحبوب المختار .

والفشل فى اكتساب هذه المقومات الثلاثة للنضج العاطفى والجنسى فى هذه المرحلة يرجع إلى عاملين رئيسيين فى هذه النظرية هما :

(١) التثبيت Fixation

، (٢) النكوص (التراجع) Regression .

(١) التثبيت : هناك فى النمو الجسمى أربعة مراحل هى الطفولة والصبا والمراهقة والرشد ، ومن الطبيعى أن يمر الشخص من مرحلة إلى أخرى بتقدم يكاد يكون منتظماً ، وأحيانا يقف التقدم ويظل الشخص على

درجة واحدة من درجات السلم بدلا من أن يصعد إلى الدرجة التاليــة ، حين يحدث هذا فى النمو البـــدنى نقول أن نمو الشخص قد توقف ، وحين يحدث هذا فى النمو النفسى والجنسى نقول أن الشخص غدا مثبتا فالشخص الذى حدث له تثبيت على الطور النرجسى مثلا نجده يختار موضوعا لحبه يشبه ذاته الجسمية أو النفسية وقد يكون هذا سبباً من الأسباب التى من أجلها يؤثر الشخص أن تكون علاقته الجنسية بذكر على أن تكون أنثى . أو قد يتزوج الشباب من أمرأه مسترجلة ، أو قد تتزوج المرأة رجلا مخنثا فالشخص هنا يحب صورته المنعكسة على موضوع حبه .

وبعبارة أخرى فان التثبت هو التشبث بالأساليب الطفلية فى الاشباع الجنسى .

والتثبيت يحدث بقدر معين لدى جميع الناس لكنه أن تجاوز حدا معينا كان نقطة ضعف فى الأنا Ego أو فى شخصية الفرد . يمهد للانحراف الجنسى أو المرض النفسى أو العقلى فيما بعد .

ويحدث هذا التثبيت لسببين هما : (١) الاشباع الشديد للغريزة الجنسية (بالمعنى الواسع لفرويد) فى مرحلة الطفولة اشباعا يجعل الطفل يجد صعوبة فى التخلى عنها أو يجعله يحن إلى العودة إليها حين يكبر . ومن جهة أخرى فان الاشباع الشديد للغريزة يؤدى إلى كبتها لأن الطفل لا يلبث أن يصطدم مع ما يتلقاه الطفل من معايير اجتماعية (٢) كبح الغريزة الجنسية كبحاً شديدا مما يؤدى إلى كبتها واشيع أسباب الكبت هو الخوف والشعور بالذنب أو الخجل أو الاشمئزاز أو الاستهجان والاذلال والحرمان ، كذلك الخجل والاشمئزار والشعور بالذنب الشديد الذى ينجم عن التربية الجنسية غير الرشيدة خاصة فى عهد الطفولة المبكرة .

(٢) النكوص : هو الارتداد أو التراجع إلى الأساليب الطفلية فى الاشباع الجنسى بفعل أحباط شديد فى الكبر . فمثلا الشاب الذى فشل فشلا ذريعاً فى كسب حب فرد من الجنس الآخر أو لقى صد عنيف منه (إحباط) فانه قد يرتد إلى مزاولة العادة السرية بإفراط أو اللـواط (الاتصال الجنسى بفرد من نفس الجنس) أو السحاق (الاتصال بفرد من نفس الجنس فى البنات) .

وفى الأمراض العقلية (الذهان) نجد النكوص بشكل واضح وأكثر انتشارا وبشكل بدائى فالتبول والتبرز اللارادى والاستمناء العلنى وكشف العورة دون خجـل واستحياء وكافة مظاهر النشاط الجنسى الطفلى أمور معروفة لدى الذهانيين . ونكوص الفرد إلى اللذة الجنسية الطفليـة واتخاذ هذا النشاط بديلا عما منى به الفرد من حرمان يحدث هذا عادة متى كان الحب التى تغدقه الأم على طفلها مصطبغاً بصفة حسية غامرة مما يساعد على تدعيم التثبت وتقويته وكذلك النكوص إلى المرحلة الذى زاد وتدعم التثبيت فيها . وقد تزيد المداعبة الحسية من الأم حتى تصبح تعلقاً جنسيا صريحا من الأم بطفلها خاصة إذا كانت الأم تعانى حرمانا جنسيا أو فراغا عاطفياً من زوجها أو أرملة أو كانت مصابة ببرود جنسى نحو زوجها . إذ ذاك نجد نوعا من الارضاء الحسى فى مداعبة الطفل ، وعاقبة هذا أن يصبح الطفل موثوقاً وثاقاً جنسياً قويا بأنه ، فان اتفق له أن شعر بشىء من الحرمان والاحباط نكص وهرع إلى لذاته الحسية الطفلية يلتمس فيها عزاء وبديلا عما يعانيه من حرمان (٣١) .

ويهتم فرويد اهتماما خاصا بصدمات انفعالية معينة تحدث فى الطفولة المبكرة وتلعب دورا واضحاً فى التمهيد للعصاب النفسى وأهم هذه الصدمات (١)

(١) انتهاك الكبار لأعراض الصغار (٢) الاعتداء الجنسى الذى يقع على أطفال من أطفال آخرين يكبرونهم فى السن (٣) رؤية الأطفال أو سماعهم للاتصال الجنسى الذى يتم فى الغالب بين الوالدين أو غيرهم فى وقت لم يفكر أحد أنهم يهتمون بمثل هذه الأمور أو سيفهمونها أو سيستطيعون تذكرها فيما بعد ، وهذه الصدمات توجه دوافع الطفل الجنسية فيما بعد فى اتجاهات شاذة . ولما كانت هذه الصدمات تتعرض للكبت مباشرة أو حين تحاول العودة فى صورة ذكريات فهى إذن تكون استعداد للقهر العصابى الذى سيجعل من المستحيل على الأنا فيما بعد أن تتحكم فى الوظيفة الجنسية وربما يجعله يعرض عن هذه الوظيفة نهائياً فاذا لم يحدث العصاب ظهرت عدة انحرافات جانسية مختلفة وأصبح تدبير هذه الوظيفة وهى هامة جدا ليس فقط للتناسل بل لتنظيم الحياة بأكملها . والقهر العصابى نوع من العصاب تتلخص فقط للتناسل بل لتنظيم الحياة بأكملها . والقهر العصابى نوع من العصاب تتلخص أغراضه فى تسلط الوساوس والمخاوف على ذهن المريض واتيانه لبعض الأفعال والحركات القهرية تلجأ إليها النفس للتخلص من الرغبة الجنسية أو العدوانية مثل غسيل اليد المتكرر بشكل مسرف بعد المصافحة أو الانشغال بشخبطة الصور فى المجلات والكتب وغيرها أو الامضاء على كل ورقة يجدها الفرد . . . . الخ . والسير الشخصية للحالات المرضية مصداق لفروض نظرية التحليل النفسى لا تقع تحت حصر ولا يتسع لها المجال هنا ولكننا نجتزىء الآتى :

فى كتاب ٥٥ مشكلة حب للدكتور مصطفى محمود وردت عدة سير شخصية أرسلت إليه طلباً للعون والنصيحة منها ما يأتى : —

(١) أنا شاب فى العشرين . . ما زلت إلى الآن طالباً بالثانوية العامة . . .

مظهرى محترم ومؤدب جدا . . . من يعرفنى لأول مرة يقول عنى أنى خجول وطيب ومهذب . . . وهذه فى الحقيقة هى المعاملات الظاهرة التى أبدو بها أمام الناس . . ولكن فى الخفاء حينما انفرد بنفسى ، فى غرفتى أتحول إلى شخص آخر تماما . . . ما أكاد أجد نفسى وحدى حتى أغلق باب الغرفة وأحكم أغلاقه . . . ثم أفتح الشباك المطل على الجيران واتجرد من ثيابى وأروح أتمشى فى الغرفة وأنا عريان . . . وأشعر بالسرور إذا أحسست أن هناك امرأة تلمحنى حتى ولو كانت خادمة . يحدث أحيانا أن تبصق على المرأة التى ترانى على هذه الحال وأحيانا تبتسم ، وحدث أن نشأت علاقات بهذه الطريقة . . . وهى طبعاً علاقات قذرة مع خادمات ونساء ساقطات . . . والمشكلة أن هذه العادة اللعينة تتحكم فى سلوكى وتستعبدنى تماما وتأمرنى فأطيعها وكأنى عبد . . . لااستطيع لها دفعاً . . . ومهمالاقيت من احتقار وازدراء واشمئزاز لا أكف عن التمادى فيها . . . والغريب أنى فى وجودى فى مجتمع أتصرف بأدب وخجل شديد وكأنى شخص آخر . . . حدث أن كانت لى علاقات مع فتيات محترمات تعرفت بهن فى أماكن عامة . وكنت أدعوهن إلى نزهة على النيل أو إلى سينما . . . ولكنى كنت دائما أخسرهن فى النهاية بسبب مسلكى الشاذ فى السينمات . . . فى اللحظة التى ينطفىء فيها النور ويسود الظلام . . . كان يركبنى ذلك الشيطان فأتصرف بدناءة وقذارة وتكون النهاية ، وأنا لا أفعل هذه الأشياء بشقاوة ولكنى أفعلها وأنا مغلوب على أمرى وأنا أشعر بتعاسة لا أجد لهـا حلا . أنا مريض أنا أعلم أنى مريض وأنا فى دراستى أرسب على الدوام وخائب خيبة لأحد لها ، وفى أعماق احتقرنفسى وأشعر أنى ملوث ولكن ماذا أفعل ؟

(٢) أنا فتاة فى السادسة عشرة . . . فى المرحلة الثانوية . . . محبوبة من كل من حولى حساسة جدا من الناحية الدينية فانا مثلا أتمسك بالصلاة

وبقراءة كل ما يكتب عن الله والأنبياء وكنت أصاب بحالات من البكاء والعصبية والرعشة بعد ليال أقضيها فى الصلاة والدعاء ولكن هذه النوبات قلت الآن كثيرا . . . أحب السحاب الأبيض وأبكى عند رؤيته وأحب القمر والمطر وأحلم بالملائكة والآخرة ، وأقضى الساعات الطويلة فى قراءة القرآن . . . ولكنى للأسف الشديد لا اعتقد أنى مؤمنة اطلاقاً فكثيرا ماكنت أفكر وأنا فى وسط صلاتى أنه قد لايكون هناك اله . . . لا أعرف أن كنت أحب الناس أم لا . . . ولكنى أشفق عليهم إلى حد غريب وأخاف على شعورهم لا أكثر . . . . أغلب أصدقائى من شبان عائلتنا يفضون إلى بأسرارهم . . ولما كنت من البداية على استعداد للتطبع بطبعهم فقد أصبحت تصرفاتى رجولية إلى أبعد حد . . . . فمثلا لا استطيع أن أضحك دون جلجلة ومشيتى عسكرية وتفكيرى حسن كتفكير الرجال ولا مانع من اقتحام أسوار أى شاب دون خجل وأغلب وقتى أقضيه منطوية مع الكتب .

بدأت مشكلتى عندما لاحظت أنى أصبحت أحلم كل ليلة أكثر من عشرة أحلام ملخصها جميعاً أنى لست عـــذراء ، وتطورت الأحلام فأصبحت أحلم انى عارية تماماً أمام والدى وأن والدى ينظر إلى نظرة اشتهـــاء غريبـــة .

وبدأت أتعقد من ناحية والدى . . . بدأت أفكر أنى شاذة فأخاف من شذوذى . وبمرور الوقت ضاعت المشكلة لتبـدأ غيرها . . . فقد بدأت أشعر بنفس الشعور تقريباً ناحية أخى الصغير فكنت أخاف من أن ينـام جانبى . واستيقظ أكثر الليالى فزعة مشمئزة عندما يلمسنى بيـده صدفة . . . وبدأت أشعر بالنفور منه وأنام فى مكان آخر .

والآن أو بالأصدق منذ حوالى ثلاثة أيام تقريباً تنبهت لنفسى وأنا

أفحص زميلاتى فى المدرسة وأقول تلك جميلة جـدا وهذه حلوة وهؤلاء مقبولات . . الخ وعادت مشكلتى من جديد . . . هل أنا شاذة هل من الممكن أن ارتكب هذه القذارات .

بالأمس كانت ستنام أختى الصغيرة بجوارى فهربت من الفراش لأنام على الأرض وأمضيت الليل فى خوف ودوار وابتهال إلى الله .

أنا الآن أفكر فى الموضوع واتساءل . . . هل أنا واهمـة ؟ . . . هل السبب كثرة انطوائى وتفكيرى فى نفسى ، هل لأنى بعدت تماما عن جو الفتيان ؟ أم السبب هو شدة خوفى من الخطأ . . . أم أنى شاذة حقاً ؟ ولم ؟ ! ولم أفعل أى شر أو أذى لمخلوق . . . هل الله يكرهنى لأنى كفـرت به ؟

وسأحاول مساعدتك فأنا لا اعتبر نفسى جميلة وأنا خجولة وحساسة جدا وجياشه العاطفة وأقول لك حادثة قد تساعدك . . . فقـد حـدث لى وأنا صغـيرة أن فعلت معى فتاة كبيرة شيئاً قبيحاً مازلت أذكره بالرغم من صغر سنى وقتهـا وذلك لغرابة الأمر بالنسبة لى .

هذه مشكلتى وهى مشكلة تتفاقم معى يوما بعد يوم وأشعر بأنى أكره نفسى وبأنى أود تعذيب نفسى ولا أعرف لهذه الآلام نهاية أرجوك لا تحتقـرنى .

(٣) أنا أدخل اليوم فى عامى الثامن والعشرين . . . . منذ عشر سنوات وأنا أتعذب بحب صامت احترق فيه وأذوب وحدى دون أن يعلم بى حبيبى .

وحبيبى فى الستين من العمر . . . لا تدهش ولا تمصمص شفتيك فى سخرية ولا تقل عنى مراهقة . . . أو خيالية . . . فهذا الحب هو الحقيقة الوحيدة فى خيالى الحقيقة التى تملؤنى وتصهرنى معها .

هذا الرجل فى الستين الذى تنظر إليه على أنه عجوز فى خريف أيامه هذا الرجل كان دائماً ربيع أيامى . . . كان شبابى وكان قلبى لا ينبض إلا له .. وقد نشأنا فى جيرة واحدة وكان صديقاً لعائلتنا . . . وقد تزوج وأنا فى السابعة عشرة وكنت أنظر إلى زوجته بحسد وكنت أعيش على خياله وأنام وأنا على خياله . . . وكنت أتمنى لو ماتت زوجته ليصبح لى من جديد كما كان دائماً . . . وقد ماتت زوجته فعلا ومات معها طفلها الوحيد . . . وعاد حبيبى يعيش منفردا فى بيته الكبير يطوى ضلوعه فى حزن دائم وتبلل عينيه دموع حائرة تأبى أن تنزل .

وفهمت أنه يعيش فى ذكرى حب واحد هو حب لزوجته وأنه يحفظ لها أخلاصا لا يموت . . . وكتمت حبى فى نفسى وحاولت أن أنساه ولكنه كان يشتعل ويتأجج فى قلبى كلما رأيته بعينيه الواسعتين الحزينتين .

وكان من عادته أن يتجول فى الحديقة فى الصباح ومعه كلاب الصيد التى يقتنيها وهو لا يهوى فى الدنيا إلا أربعة أشياء . . . كلاب صيده والكمان التى يداعب أوتارها فى أوقات فراغه وصور زوجته ومهنة الهندسة التى يزاولها . أما أنا فلا مكان لى فى حياته . . . أنه لا يشعر بوجودى لا يرى انوثتى ولا يحس بجمالى ولا يدرك عاطفتى المتأججة نحوه . . . وأنا فى اليأس الذى أعيش فيه وأمام حبه المتفانى لزوجته الراحلة لا أجد الجرأة على مصارحته .

تقدم للزواج بى كثيرون وأتيحت لى فرصة للزواج لا تتاح لفتاة غيرى رفضتها جميعاً لأنى لا أريد أحدا سواه لأنى أنا زوجته أمام الله وأمام قلبى وسأطوى ضلوعى على سرى وأعيش وأموت له .

لعلك تقول . . . لابد أنها قبيحة لا أمل لها فى أن يحبها أحد ولهذا خلقت لنفسها هذا الوهم لتعيش فيه . . . ولكن الحقيقة المؤسفة أنى جميلة

ومثقفة وأحمل دبلوما عاليا فى اللغة الفرنسية وأجيد العزف على البيانو ومعشوقة من الجميع وعائلتنا ذات مركز مرموق وأعيش فى مجتمع ينظر إلى فى حب واحترام ولكنى لا أشعر بهذا المجتمع . . . لا أشعر إلا بشىء واحد هو حبيبى رغم أن بيننا فارق من العمر يبلغ ٣٢ سنة ولكنى لا أشعر بهذا الفارق . . أنه شبابى وطفولتى وحياتى . . . ماذا أفعل وأنا أتعذب .

(٤) وبخلاف المرجع السابق نعرض الحسالة الآتية التى وردت فى مجلة الدكتور العدد ٢٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٦ ص ٦٠٢ (تزوجت منذ ١٧ سنة وانجبت من الأولاد خمسة زوجى يجتاز الآن الـ ٣٩ من سنوات عمره وأنا ٣٣ سنة صحتى جيدة وأنا جميلة كذلك زوجى صحته جيدة ويأكل جيدا وبشراهة ويشرب فى اليوم ٣٠ سيجارة ، ٦ كوبات قهوة ومثلها شاى ، لا يفكر إلا فى نفسه . . . مشاكل البيت والأولاد هو بعيد عنها كل البعد .

أصيب منذ عشر سنوات بأنهيار فى أعصابه ، وعولج وشفى ورجع إلى طبيعته وكانت حالة الانهيار مصحوبة بهياج وأفراط جنسى حتى أصبت بهزال وضعف أما هو فعولج فى عيادة نفسية .

منذ ثلاث سنوات أصيب بسرعة القذف والضعف الجنسى ، وضمور الرغبة الجنسية وربما ينقضى الشهران بدون شىء . . . غير أننى لاحظت منذ مدة طويلة أنه يقوم بعملية الاستمناء (العادة السرية) ولا يدرى بوجودى بجواره برغم أننى أنام كاملة الزينة ، حاولت تشجيعه دون تبذل ولكن عبثا حاولت ، فعلت معه المستحيل وجربت الانفصال عنه فى النوم ولكنه هاج وثار .

لى صديقة أشارت على ببعض العلاجات ولكن فضلت أن يذهب للدكتور ولكنه رفض لأن صحته زى البمب كما قال .

كنت أستعمل أقراص منع الحمل ولكن لم استعملها الآن لأنه لاداعى لذلك ورجعت لاستعمال العجلة إذا لزم الأمر كل شهرين .

أسرف زوجى فى الأيام الأخيرة فى هذه العادة القذرة ، وخوفا من الزعل كل يوم تركته يفعل بنفسه ما يشاء ورغم ذلك يغير على غيرة عمياء ؛ ما دور المرأة ، ماذا تفعل الزوجة ، وبجوارها زوج كامل الرجولة يعبث بنفسه بيديه ؟ .

هل تصارحه ؟ إذا كان عصبى نكدى ماذا تفعل معه ؟ فى هذه الحالة يود أن يخفى شذوده وراء الزعل والزعيق ، ماذا تفعل الزوجة ؟ ندمت لأنى صرحت لصديقة لى بهذه الحالة .

حدث مرة سوء تفاهم وسافرت لأهلى ، مكثت عندهم شهرين اتصل بنا شقيقه مرتين وحضر معه زوجى ورجعت لمنزلى ولكنى لم أشعر بوجوده معى فى الفراش كزوج غابت عنه زوجته هذه المدة .

من حلول صديقتى أن أشعر شقيقه بهذه الحالة ، وهذا موضوع مهما كان لا أوافق على ذلك بأى حال - كذلك اخبرتنى أن أضع صفار بيضتين فى كوبة لبن يشربها دائما عند الاستيقاظ من النوم ولكن عبثا حاولت .

هذه مشكلتى وأنا على يقين من أن هناك آلاف غيرى لم يجدن الشجاعة للتعبير عن شكواهن وربما انحرفن) .

نقد نظرية التحليل النفسى :

لا شك أن معظم ما لقيه فرويد فى آرائه من انكار واستنكار انما كان راجعاً أساساً إلى نظرياته البالغة الجرأة فى الموضوعات الجنسية .

فيرى مكدوجل مثلا :

(١) أن ما يذهب إليه فرويد من وجود ما يسمى بالجنسية الطفلية أى وجود نشاط جنسى فى عهد الطفولة لا يصح إلا فى الحالات الشاذة فحسب عندما نصادف أطفالا صغارا ينصرفون إلى العبث بأعضائهم التناسلية بشكل يرجع أحساسهم بلذة جنسية حقيقية . ولا مانع عندئذ من أن تؤدى هذه الحالة من الجنسية المبكرة إلى حدوث اضطرابات نفسية فى المستقبل ، ولكن ليس معنى ذلك أن تنسحب هذه الجنسية الطفلية الشاذة على الأطفال جميعاً .

(٢) ان ما يقوله فرويد من وجود مناطق شبقية يستمد منها الطفل لذة ذات طبيعة جنسية شديد الغموض ولا تؤيده أدلة قاطعة .

(٣) ليس هناك ما يدعو إلى التوسع فى مدلول الغريزة الجنسية وتضمينها كل حنو أو عاطفة حب كالحب المتبادل بين أفراد الأسرة الواحدة والذى يصدر عن الغريزة الوالدية . وعلى ذلك فان الغريزة الجنسية يجب أن تفهم على أنها لا تشمل إلا الميول المتجهة إلى الاقتراب من الجنس الآخر والاتصال به فقط (٢٢) .

وخلاف ما سبق يضيف النقاد ما يلى :

(٤) أنكر فرويد على الانسان كل فضيلة وأرجع كل تصرفاته إلى رغبته فى إشباع طاقته الجنسية وجعل الكراهية وراء كل مظاهر الحب ، والشر يكمن وراء كل خير فيه ، ولكن الأضواء الحديثة على أعماق النفس كشفت عن وجود رغبات خيرة فى

الانسان بجانب رغباته الشريرة وأن العطف والحنان والحب يمكن أن ينبع من النفس الانسانية وإلا كيف تفسر تضحية الأم من أجل أبنها وتضحية الأخ من أجل اخيه ، وبذل الإنسان روحــه من أجــل وطنــه أو من أجل قضية يؤمن بها وغير ذلك من الجوانب المضيئـة فى حياة الإنسان والتى أغفلها فرويد وهو يبحث فى أعمـاق الإنسان ويسعى وراء كل ما هو مخـز وشائن فى أعمـاقـــه .

(٥) أن شخصية الانسان فى نظر فرويد شىء ثابت لا يمكن تغييره فهى تتكون فى السنوات الخمس الأولى من حياته ثم تستقر بعد ذلك على الصورة التى تشكلت عليها فى هذه السنوات الخمس، وهكذا أغلق فرويد باب الأمل أمام كل انسان يفكر فى أن يطور شخصيته ، ولكن الأضواء الجديدة كشفت أن شخصية الانسان ليست شيئاً مستقرا استاتيكيا ولكنها فى تفاعل دائم ونمو ونضج فهى ديناميكية لا تتوقف وأن الانسان قادر على أن يحور ويغير من شخصيته مادام حيا .

(٦) أن كلمة الغـــريزة خاصة الجنسية والعدوانية هى من أكثر العبارات ترددا فى كتابات فرويد والغرائز فى الانسان لاتختلف فى مفهومها عنده عن مفهومها فى سائر الحيوانات فهى لا تسعى إلا إلى الاشباع الفورى مهما كان المنطق أو الواقع أو التقاليد ومعايير المجتمع ولا يمكن للانسان أن يتدخل فى عملها إلا بالقدر الضئيل الذى لا يوقعه فى مسئولية الخروج على القانون ، أما الجيل الجديد من العلماء فقد حذف كلمة الغريزة من كتب الطب

النفسى فالانسان فى نظرهم ليست له غرائز بل دوافع وفرق شاسع بين الغريزة والدافع . فالانسان قد استبدل هذا السلوك الغريزى الفطرى بالسلوك الانسانى الواعى الذكى المرن الذى اكتسبه بالخبرة والتعليم والذى يراعى فيه ظروف الحياة ومشاعر الآخرين . فالدوافع هى طاقة كامنة فى الانسان تهيئه وتدفعه ليسلك السلوك الذى يحقق به أهدافه وهى قابلة للتحوير تبعاً لظروف الحياة وخبر الانسان ودرجة تعليمه . فالإنسان إذن محكوم بعاداته أى دوافعه المتعملة المكتسبة وليس محكوما بغرائزه الفطرية القهرية التى تدفعه لأراديا للسلوك الشاد .

مجمل القول أن النظرة الجديدة لهؤلاء النقاد قد نقلت بؤرة الاهتمام من الماضى وخبرات الطفولة المبكرة إلى الحاضر وخبرات الانسان اليومية ، ومن العوامل الوراثية والبيولوجية إلى العوامل الحضارية والاجتماعية . لذلك ظهرت مدارس التحليـل النفسى الجديدة Neopsychoanalysis التى تؤكد أثر العوامل الحضارية فى تكوين الشخصية واحداث الاضطرابات النفسية بدل الغريزة الجنسية وغريزة العدوان وكذلك تهتم هذه المدارس الجديدة بحاضر الفرد وظروفه الراهنة أكثر ما تهتم بماضيه وظروف طفولته المبكرة . ومن اتبـاع هذه المدارس الجديدة أوتورانك ، وهورنى واريك فروم ، وهارى ستاك سوليفان وغيرهم .

ومن هؤلاء المنشقين على اراء فرويد ظهر أدلر (١٨٧٠–١٩٣٧) الذى لم يقتنع برأى فرويد فى الدور الهام الذى تلعبه الغريزة الجنسية فى تكوين الشخصية والأمراض العصابية ورأى أن الشعور بالنقص هو السبب الأساسى لتكوين هذه الأمراض . وينشأ الشعور بالنقص نتيجة

لوجود عيب أو ضعف بدنى يجعل الطفل عاجزا عن مسايرة زملائه من الأطفال وقد ينشأ الشعور بالنقص أيضاً عن بعض المتاعب والصعوبات فى بيئة الطفل كاساءة الوالدين له وحرمانه من الحب والعطف والتشجيع . ويرى أدلر أن الانسان يحاول دائما أن يعوض ما به من ضعف وأن يخفى شعوره بالنقص بما يبديه من مظاهر القوة والسيطرة والتعالى وبما يلجأ إليه من وسائل وحيل لتقرير ذاته ، وقد ينتج عن ذلك حيانا أن يتجه اتجاها معاديا للمجتمع ، ويعتبر أدلر أن دافع القوة وتقرير الذات هو القوة الايجابية المسيطرة على الحياة ، على خلاف فرويد الذى يعتبر الدافع الجنسى هو القوة الهامة الفعالة فى الحياة . وينشأ تفكك الشخصية والعصاب فى رأى أدلر حينما يشق على الانسان أن يتخذ أسلوبا فى الحياة يستطيع به أن يعوض ما يشعر به من نقص فيتملكه الخوف من الفشل فى الحيـــاة ، ويحاول أن يتقى الفشل ببعض الحيل الدفاعية التى تكون الأعراض العصابية ويتلخص العلاج النفسانى فى رأى أدلر فى مساعدة المريض على معرفة (عقدة النقص لا عقـــدة أوديب) Inferiority Complex فى نفسه . ومعرفة أسلوبه الخاص فى الحياة لتحقيق القوة والسيطرة والتعالى ثم ارشاده إلى بعض الطرق العملية التى تهيىء له حياة اجتماعية أكثر توافقاً . وأطلق أدلر على مجموع فروضه الجديدة اسم (علم النفس الفـــردى) Individual Psychology .

وكذلك أبتدأ تفكير يونج Jung يتجه اتجاها مخالفاً لتعاليم فرويد ثم انتهى الأمر بانفصاله عن جمعية التحليل النفسانى فى عام ١٩١٣ وتكوينه مدرسة جديدة فى زيورخ عرفت باسم (علم النفس التحليلى) Analytical Psychology

اعتقد يونج أن فرويد قد تغالى فى تقدير الدور الذى تلعبه الغريزة

الجنسية فى تكوين العصاب وأدلر قد تغالى فى دور الدافع للسيطرة والتعالى والقوة . وفضل أن يعطى لليبيدو معنى أعم وأوسع من المعنى الذى وضعه فرويد وهو الطاقة الجنسية . يعنى يونج بالليبيدو (الطاقة الحيوية الكلية) وتنبعث هذه الطاقة من دوافع متعددة منها الحاجات العضوية بما فيها الدافع الجنسى والحاجات النفسية الحاجة للأمن والمحبة والتقدير والاجتماعى وتقرير الذات وتوكيدها . ثم العواطف عواطف الولاء للاسرة والاخلاص للوطن ونصرة المبدأ ، وميول الفرد وهواياته ونشاطاته الاجتماعية والفنية والثقافية ، وفلسفته فى الحياة وضميره ومستوى طموحه واتجاهاته العقلية وسماته الخلقية ورغباته وأهدافه .

كل هذه الدوافع محركة لسلوك الانسان وتشكل الطاقة الحيوية الكلية . وكل مشاكل الانسان التى لم تحل بسبب عجزه عن اشباع الدوافع العامة السابقة تدخل فى تكوين العصاب وتفكك الشخصية والأمراض العصابية ما هى إلا محاولات غير ناجحة للتكيف مع الواقع .

ويونج ينسب إلى الذكريات المكبوتة فى اللاشعور دورا هاما فى تكوين العصاب ولكنه لا يذهب كما ذهب فرويد إلى أن هذه الذكريات المكبوتة متصلة بالرغبات الجنسية الطفلية ولكن بكل مشاكل الطفل التى لم تحل بالمفهوم السابق .

واهتم يونج بدراسة الأنماط السيكلوجية « فالمنبسط هو الذى تتجه طاقته الحيوية للخارج » ، والمنطوى هو الذى تتجه طاقته الحيوية للداخل أى نحو الفرد ذاته .

وعنى يونج باللاشعور الجمعى Collective Unconscious وهو يحوى

التجارب والأفكار الموروثة من الأجيال السابقة وطرائق التفكير البدائى للعقل الانسانى وهذا يختلف عن اللاشعور الشخصى الذى وصفه فرويد .

ومهما كانت هذه الانتقادات فى المدارس التحليلية الجديدة فيعتقد كثير من الكتاب أنها ما زالت داخل إطار المدرسة الفرويدية الأم لأنها ما زالت تؤمن ، بأهمية اللاشعور ودوره فى تكوين الشخصية وانحرافها ، وكذلك تؤمن هذه المدارس بالحيل النفسية اللا شعورية أو خافضات القلق وأثرها فى تكوين الميول العصابية ، وأهمية الصراع النفسى والاحباط ، كذلك ما زالت تؤمن بأجهزة الشخصية كما حددها فرويد فى الأنا والأنا الأعلى والهو .

وعلاوة عما سبق فان فرويد لم يذكر أن شخصية الانسان استاتيكية تتحدد كلية بسمات الطفولة المبكرة ولكنه ذكر أن هذه السمات ثابتة فى كثير من الظروف لا كل الظروف . وأنها صفات صعبة فى التغيير ولكنها ليست مستحيلة التغيير . ولم يذكر فرويد أن الانسان محكوم بغرائزه اللاشعورية المكبوتة فى الهو فقط ولكن هذه الدوافع يحورها الأنا الأعلى المحكوم بقانون ما يجب أن يكون ، وكذلك الأنا المحكوم بقانون الواقع ومصلحة الفرد فى مجتمعه . فكأن شخصية الانسان وسلوكه محكوم بالمطالب الأخلاقية والمطالب المجتمعة وليس بالمطالب الفطرية وحدها .

أما أهمية مرحلة الطفولة المبكرة فأمر لا يحتاج إلى أدلة عملية أكثر مما ذكرنا سابقاً سواء فى الأبحاث الانثروبولوجية أو الحالات العيادية أو الأبحاث التجريبية .

وما يتفق عليه الجميع من مآخذ على فرويد هى مغالاته فى الدور الذى تلعبه الغريزة الجنسية أو العدوانية دون سواها ، وكذلك نظرته

المتشائمة للطبيعة البشرية خصوصا قوله : ان الشر من طبيعة النفس الانسانية وأن وراء كل نزعة حب كراهية مستترة والظلم من شيم النفوس . . الخ كذلك اعتقاد فرويد أن لدى المرأة دافع لا يهدأ في الحصول على قضيب أمر ينتابه الغموض عند كثير من علماء النفس المحدثين .

(٨) تكامل الشخصية Personality Integration

للصحة النفسية مقومات رئيسية أهمها ما يلى :

(١) النضج الانفعـــالى .

(٢) تكامل الشخصية .

والنضج الانفعالى بصفة عامة يعنى القدرة على التحكم الانفعالى فى المواقف التى تثير الانفعال دون اندفاع وتهور ، وارجاء اشباع الرغبات العاجلة للظروف المناسبة ، والاعتماد على النفس دون الاستغناء عن الغير .

والمعنى اللفظى لعبارة تكامل الشخصية هو الشخصية الناضجة أو الشخصية ذات التكيف الحسن أو الشخصية السليمة .

أما المعنى الاصطلاحى فى علم النفس فهو مستعار من التكامل البيولوجى فى جسم الانسان . فجسم الانسان يتكون من أجهزة ذات وظائف مختلفة مثل الجهاز التنفسى والجهاز الدورى والجهاز العصبى . . الخ . ورغم اختلاف وظائف هذه الأجهزة فانها جميعا تعمل متعاونة لتحقيق هدف واحد هو المحافظة على حياة الفرد وعلى نوعه. لذلك يطلق العلماء على التكامل الوحدة فى التنوع أو الائتلاف فى الاختلاف . وبنفس الشكل نجد التكامل السيكلوجى للشخصية يعنى أن مكونات الشخصية وقواها المختلفة تتعاون بحيث تعمل كوحدة واحدة بهدف تسهيل تكيف الفـرد فى بيئته المادية والاجتماعية .

والشخصية كما عرفناها من قبل هى وحده ديناميكية تتكون من حصيلة تفاعل قوى ذاتية جسمية وعقلية وانفعالية وقوى بيئية مادية واقتصادية

واجتماعية . فاذا سهلت هذه القوى المختلفة بتعاونها تكيف الفرد تكاملت الشخصية وإذا عرقلت هذه القوى بتنافرها تكيف الفرد تفككت الشخصية وتصدعت .

فالانسان له حاجات بيولوجية ، وله ضمير ومثل عليا ، وله قيم ومبادىء ومفهوم عن نفسه ، ومستوى للطموح ، ويعيش فى مجتمع له مطالب اقتصادية واجتماعية . وكل هذه الحاجات قوى مختلفة فإذا عملت متناغمة منسجمة تحقق التكامل ، وإذا دب بينها الشقاق والصراع العنيف الموصول تصدعت الشخصية واجتاحها القلق والمرض النفسى أو العقلى .

وبعبارة أخرى نقول أن التكامل يعنى خلو الشخصية النسبى من الصراعات النفسية العنيفة المستمرة الشعورية أو اللاشعورية فالصراع بين حاجات الفرد البيولوجية وضميره ، أو بين نزواته وعاطفة احترامه لنفسه ، أو بين ما يريده الفرد وما يقدر عليه بالفعل ، أو بين افكاره ومبادئه وقيمه ، أو بين انجازاته وأهدافه ، أو بين رغباته ومخاوفه من العواقب .

إذا زادت حدة الصراع النفسى استهلكت الطاقة النفسية فى مواجهة الحرب الداخلية ، ولم يبق قدر كاف منها لمواجهة مشكلات الحياة ومتطلباتها وأصبح انتاج الفرد قاصرا وانخفض مستوى احتماله النفسى . كذلك تختل العمليات السيكلوجية من تفكير وحكم وتمييز واستدلال اللازمة لحل مشكلات الحياة اليومية حلا منطقياً وواقعيا ، وهذه العمليات السيكلوجية أشد الطرق فاعلية لمواجهة تزايد التوتر أو منعه .

ويعبر عن هذا المعنى علماء التحليل النفسى بقولهم (... لكى تعمل العملية الثانية ـ التفكير والاستدلال ـ عملا فعالا يلزم ضبط الشحنات

الانفعالية فى الهو ، وشحنات المثل العليا فى الأنا الأعلى ، وذلك بتكوين شحنات مضادة ، وإلا اتجهت هذه الشحنات الانفعالية نحو تشويه مبدأ الواقع فى الأنا وذلك بخاطه بتفكير مغرض اندفاعى أو تفكير مفرط فى التزمت من الناحية الاخلاقية . . . . لابد من وجود تيار من الطاقة النفسية متأهب لخدمة العمليات السيكاوجية من إدراك وتذكر وحكم وتمييز ، وهذا لا يتأتى إلا بقدرة الأنا على التوفيق بين مطالب الهـو والأنا الأعلى والواقـع (٢٢... الخ) .

ولا يعنى تكامل الشخصية خلوها من الاحباطات وألوان القلق والتوترات فان الحياة لا تخلوا أبدا من التوتر . فالتكامل لا يعنى خلو الشخصية من المشكلات ولكن يعنى القدرة على مواجهة المشكلات بطريقة فعالة ناجحة .

وكما أن الصراعات النفسية العنيفة تهدم تكامل الشخصية كذلك الحيل الدفاعية النفسية تساعد فى هذا الهدم . هذه الحيل التى لجأ إليها الفرد لخفض القلق الناشىء عن الصراع النفسى . فالاستخدام المعقول لهذه الميكانيزمات الدفاعية فعال فى حماية الشخص من القلق ولكن الاستخدام المسرف يستنزف الطاقة النفسية وتحل هذه الميكانيزمات محـل التفكير الواقعى .

وطبيعى أن سلامة مكونات الشخصية الجسمية والعقليـة والانفعالية والاجتماعية شرطا ضروريا لتحقيق تكامل الشخصية . فتلف الجهاز العضبى أو نقص نسبة الذكاء ، أو فرط المخاوف والمغاضب والغيرة الشاذة . أو قصور التكوين الخلقى والاجتماعى ، كل نواحى القصور هذه معوقات لتكامل الشخصية .

وبخلاف ماذكر نوضح أهم الطرق المساعدة على تكامل الشخصية :

(١) اختيار هدف جوهرى يعمل الشخص على تحقيقه مهما صادفه من عقبات أو من ضروب الاغراء . فهـذا الهدف يوفق بين الدوافع المتصارعة ويحول دون تبديد الطاقة .

(٢) قدرة الشخص على حسم الصراعات بين الدوافع المتصارعة وذلك بأن ينصر أحد الدوافع المتصارعة على الآخر . فمثلا قد يقهر الحب الكره أو يشله ، أو قد يحسم الصراع بالعثور على طرائق لاشباع الدوافع المتعارضة جميعا أواندماجها فى نشاط واحد مثل الموظف الذى يشبع حاجته للاعتماد على الغير وحاجته للاستقلال فى وقت واحد من خلال نشاط واحد وهو عمله كأن يتفق مع رؤسائه فى العمل ، أن يرجع إليهم فى بعض القرارات الرئيسية بحكم أنهم أكثر خبرة منه ، وفى نفس الوقت ينهض بأعباء ومسئوليات وقرارات تستلزم حكماً مستقلا صادرا منه وحده . وقد يوفق الفرد بين دوافعه العدوانيــة والأخلاقيـــة فى وقت واحد كما فى مزاولــة رياضة الملاكمة ، أو التوفيق بين الدوافع الجنسية والأخلاقية كما فى الرقصات الجماعية (المحتشمة) بين الجنسين مثل رقصة الدبكة السورية وغيرها. أواشتراك الطلاب مع زميلاتهم فى الأنشطة الاجتماعية والثقافية والفنية المختلفة،أو قد يحسم الصراع بالتعبير المتقطع عن الدوافع المضادة من وقت لآخر مثل الصديق القادر على مصارحة صديقه بخطئه وتعنيفة وهذا لا يمنع من مواصلة مودتهما وصداقتهما .

(٣) تعلم طريقة للتعبير السليم عن المغاضب والمخاوف حتى تحول دون تصاعدها فيفقد الفرد توازنه النفسى . مثل الزوجان اللذان يتفقان مقدما على أسلوب حسم الخلافات بينهما ، كأن يكون بعيدا عن الأولاد أو دون تدخل الأقارب أو عن طريق الاقناع والاقتناع لا لوى الذراع . . . الخ .

(٤) تعلم أسلوب الحلول الودية أو الحلول الوسطى فهى إلى حد ما مشبعة ، وإذا لم تكن مشبعة فهى تعين على الأقل عن احتمال الألم والقلق . ولنعلم أن الفضيلة حد وسط بين رذيلتين هى الافراط والتفريط . مثل الاعتدال بين الجمود والتحرر الزائد عن الحد، بين اليمين الرجعى واليسار المغامر، بين الحب الشديد والكراهية المسرفة . . . الخ .

الفصل الثالث

طرق دراسة الشخصية وتقييمها

Personality Assessment

تقييم الشخصية معناه الحكم عليها إما عن طريق القياس أو عن طريق التقدير . وعرض النتائج فى صوره رقمية فى حالة القياس وفى صورة وصفية فى حالة التقدير . فاذا استخدمنا أسلوب المقابلة كطريقة لدراسة الشخصية عرضت النتائج فى شكل تقديرى . أى عبارات وصفية وإذا طبقنا اختبارا للشخصية عرضت النتائج فى شكل كمى رقمى غالبا . وحيث أن نتائج القياس واحدة مهما اختلف الفاحصون ، أما نتائج التقدير يمكن أن يختلف فيها الفاحصون . لذلك يطلق على طريقة القياس الكمى الطريقة الموضوعية ، أما طريقة التقدير الوصفى الطريقة الذاتية أو الشخصية .

وإذا كانت أداة القياس الكمى — أى الاختبار — على درجة عالية من الصدق والثبات مع توحيد طرق التطبيق والتصحيح (التقنين) كانت أقرب للأسلوب العلمى من الطريقة الذتية بلا شك .

وحيث أن أدوات القياس الكمى للشخصية ما زالت على درجة منخفضة نسبياً من الصدق والثبات وقاصرة عن الكشف عن تبادل التأثير (أى التفاعل) بين قوى الشخصية المختلفة لذلك نجد العلماء مازالوا حتى اليوم يستخدمون الطريقة الموضوعية والذاتية معا حتى يتكون لديهم صورة أكثر شمولا وصدقاً عن الشخصية الانسانية . أى الجمع بين الحكم الذاتى

والموضوعى فى تقييم الشخصية . وبذلك نكون قد أخذنا فى اعتبارنا طرق الدراسة المختلفة المنبثقة من نظريات الشخصية المختلفة . سواء السلوكيون الذين يركزون على قياس أقل عدد من السمات أو الأنماط أو المحاور الكبرى المنفصلة وعرض النتائج فى صورة عددية بواسطة الاستخبارات أو موازين التقدير وغيرها ، وكذلك علماء التحليل النفسى الذين يركزون على مقابلات التداعى الحر وتأويل الأحلام ، والجشطلتيون الذين يركزون على اختبار الشخص ككل — لا بعض سماته — فى مواقف الحياة العادية حتى يمكن الكشف عن أسلوبه التوافقى العام فى حل مشاكله وفى علاقته مع الغير .

(١) الطرق الخاطئة لدراسة الشخصية

(١) من المقرر علميا أن القصور الكمى والكيفى فى نظام التغذية للفرد قد يسبب تخلفاً فى النمو الجسمى والعقلى خاصة فى الأطفال الرضع . وبعض أمراض سوء التغذية كالبلاجرا مرتبط باضطرابات ذهنية . هذه حقيقة علمية ولكن يستغلها أرباب العلمية الدجلية بصورة انشائية ويقولون : (ان نوع وكمية الغذاء الذى يتناوله كل انسان هو الذى يحدد طبيعة شخصيته . . . ان الأمر لا يحتاج إلى علاج من الطب البشرى أو فلسفة من علم النفس . أن الأمر ببساطة هو أن أسوء الاضطرابات النفسية والعقلية يمكن أزن ترجع إلى نظام خاطىء فى التغذية) وهنا نجد الانزلاق فى خطأ وحدانية السبب فمن المقرر أن الشخصية لا تتكون بعامل واحد ذاتى أو بيئى ولكن تتفاعل عوامل متعددة ، وكذلك لا تنهار الشخصية وتتصدع بسبب عامل واحد ولكن نتيجة تفاعل عوامل متعددة من بينها أمراض التغذية .

(٢) من الحقائق المؤكدة فى علم النفس أن الانسان يسقط ما بنفسه من انفعالات ونزعات على العالم الخارجى لخفض القلق الناشىء من الصراع النفسى والاحباط فالكريم غالبا — لا دائما — يرى كل الناس كرماء ، والخائن يتصور زوجته خائنة وهكذا . وقد استغلت هذه الحقيقة النفسية فى قياس الشخصية وذلك باتاحة الفرصة للشخص لوصف شكل أوصورة غير محددة المعالم فيرى فيها المفحوص ما بداخل نفسه . وبنيت اختبارات اسقاطية على هذا الأساس ولكن بطريقة علمية ، أى للاختبار معامل صدق وثبات ومقنن .

فيستغل أرباب الدجلية العلمية هذه الحقيقة أيضاً ويقررون ، إن

الخطوط الخارجية لصورة الانسان تعكس بصورة مذهلة تركيب شخصيته خاصة أسلوب حياته وموقفه من الجنس الآخر وهكذا تساق البيانات والاختبارات الزائفة بلا تقنين أو معامل صدق أو ثبات . وشتان بين هذه الخزعبلات وبين اختبار تفهم الموضوع (TAT) أو اختبار بقع الحبر لرورشاخ Rorschach مثلا .

(٣) من الحقائق المقررة أيضاً فى علم النفس طبقاً لنظرية المجال أو الجشطالت أن الكل أكبر من مجموع أجزائه . ومن ثم فلا يمكن الحكم على الكل من مجرد دراسة جزء واحد فيه أو دراسة أجزائه منفصلة ، كما أنه لا يمكن الحكم على خصائص كتاب مثلا من مجرد دراسة فصل فيه .

أما أرباب الدجلية العلمية فنجدهم يأخذون من السلوك حركات الرأس واليدين فقط ويستنتجون منه النشاط العقلى والانفعالى والاجتماعى والخلقى وسائر بناء الشخصية . فيقولون : (ان شد الأذن باليد يعنى الغيرة ، وتشابك الأيدى على الركبة يعكس المخاوف أو الشك ، ووضع اليد على الرأس معناه امتلائها بأفكار غير سارة ، وزم الشفاه معناه كتم الغيظ والغضب ، وسند الرأس على اليد يعنى الارهاق الذهنى نتيجة إلحاح المشكلات الاقتصادية والمادية ، والامساك بظهر الكرسى يخفى القلق والاضطراب ، والامساك بدبلة الخطوبة أو الزواج أو خلعها يعكس القلق بسبب مشكلات عاطفية بين الطرفين ، وقضم الأظافر بالاسنان يعكس العدوان والتظاهر بغير الحقيقة أمام الجنس الآخر ، وعض الشفاء معناه ضياع الأمل فى النجاح أو توقع تغير فى الحوادث لا نرغبه ، واللعب بالأشياء مثل قصاصات الورق معناه أخفاء الأسرار أو رغبة لا شعورية فى الانطواء ، وتشابك الذراعين دليل الثقة بالنفس والتحدي ...الخ) .

أن أى سمة حركية حتى ولو كانت ثابتة نسبياً قد تكون مجرد تقليد ولا تعكس أى حالة نفسية سيئة أو خطأ فى تكوين الشخصية إلا إذا ارتبطت بسمات نفسية وعقلية أخرى اهمها ضعف الاتزان الانفعالى الذى يتمثل فى الثورة لأتفه الأسباب وسرعة الاهتياج والعجز عن ضبط الانفعالات وكذلك القلق الذى يتضح فيما يبديه الفـــــرد من الحيرة والتردد والخوف من المستقبل والتشاؤم بشكل موصول . فاذا ظهرت بعض الخلجات العصبية مثل الانقباضات التشنيجة فى مجموعة من العضلات كعضلات الوجه أو الكتفين . أو غير ذلك من الحركات المضطربة مثل قضم الأظافر أو فرك اليدين أو فرقعة الأصابع أو حك مؤخرة الرأس أو السير جيئة وذهابا بلا سبب . نقول إذا ظهرت هذه الحركات المضطربة دون ارتباطها بالاختلال الانفعالى أو القلق فهى غالباً ما تكون إما حركات طارئة أو مقلدة ليس لها دلالـــة فى بنـــاء الشخصية . ونتـأكد من ذلك بدراسة مكونات الشخصية مجتمعة جسمية وعقلية ونفسية واجتماعية وخلقية ، وتقديرالوزن النسبى لكل عامل على حدة وعلاقته بالعوامل الأخرى . . . الخ . فأحيانا نجد أضطراب الغدد الصماء له صلة بهذه الحركات المضطربة ، أو ترجع إلى صدى سىء فى نفس الفرد نتيجة معاناته من أمراض جسمية مزمنة بما تشعره من نقص وعجز وخوف من المستقبل ورثاء اللذات . أو نتيجة أصابته بأمراض نفسية واضحة . . . الخ . أما الانتكاسات والتراجعات للمرحلة الجنسية الفمية مثل قضم الأظافر أو زم الشفاه بقوة أو عضها فلا تفهم إلا فى ضوء الكشف عن المؤامرة بين الكبت العنيف فى الطفولة المبكرة والاحباط الشديد فى الكبر وإلا فلا دلالة تشخيصية لهـــا .

(٤) من الوسائل الخاطئة أيضاً الفراسة وتتضمن الحكم على شخصية الفرد من ملامح وجهه كما فعل (لمبروزو) من قبل ، أو تضاريس الجمجمة كما فعل (جال)، أو من خطوط الكف أو قراءة الفنجال والطالع وضرب الودع وفتح الكتاب كما يفعل المنجمون وهم كاذبون حتى لو صدقوا.

(٢) فوائد الدراسة العلمية للشخصية

(١) تتضح أثر دراسة شخصية العميل فى الخدمة الاجتماعية مثلا . حيث تتيح لنا دراسة أهم سماته وأسلوب حياته فى الماضى والحاضر وتطلعاته للمستقبل بما يمكننا من التشخيص ووضع الخطة العلاجية للمشكلة . فدراسة تطور شخصية العميل هو حجر الزاوية فى التاريخ الاجتماعى والذى من أجله ندرس سكن العميل وظروف جيرته ، وتركيب أسرته وتطورها نظرتها للمشكلة . ومن أجل ذلك أيضاً نقوم بالمقابلة والزيارة المنزلية ، وندرس المستندات والسجلات الخاصة بالعميل سواء فى المؤسسة أو المؤسسات الأخرى ونستعين بالخبراء ، ونتصل بمصادر المعلومات وغير ذلك من وسائل الدراسة .

وبذلك توضع لوحة بيانية أمام الاخصائى الاجتماعى عن شخصية العميل وأثرها فى مشكلاته ، لوحة نعرض فيها الحقائق الهامة وتصنفها ونربطها ببعض لاستخلاص المادة الدراسية ذات الدلالة التى أوضحتها النظريات العلمية للشخصية .

(٢) دراسة شخصية العميل تكمل صورة الشخصية التى تحصل عليها من اختبارات الذكاء .

(٣) تساعد دراسة الشخصية فى الاختيار والتوجيه الزوجى ، وكذلك الاختيار والتوجيه التعليمى والمهنى .

(٤) تساعد فى التنبؤ باستجابة الفرد تحت ضغوط معينة كظروف

المعارك الحربية أو المواقف القيادية أو الاصلاحية . . . الخ .

(٥) تساعد فى تتبع التغيرات التى تطرأ على سلوك الفرد فى حالة الصحة والمرض ، والتنبؤ بسير المرض النفسى أو تشخيصه وعلاجه وتشخيص أسباب سوء التكيف عموما أو معرفة مدى التحسن فى العلاج النفسى .

(٦) تساعد الدراسة فى الأغراض العلمية المختلفة للوقوف على أثر العوامل المختلفة الذاتية والبيئة سواء فى تكامل الشخصية أو تصدعهـــا .

(٣) وسائل دراسة الشخصية

(١) موازين التقـــدير.

(٢) الاستخبارات .

(٣) الاختبارات الاسقاطية (الاستفتاءات) الموقفية .

(٤) دراسة الحـــالة .

(٥) التداعى الحـر والتنويم المغناطيسى .

(٦) دراسة الأحـــلام .

(٧) المقـــابلة .

هناك أشخاص من رفيعى الذكاء والمواهب ولكنهم لا يستطيعون تحمل المسئولية وينقصهم المبادأة والإرادة وبالتالى لا يمكن اسناد مراكز قيادية لهم استنادا على معيار الذكاء والموهبة أو الأقدمية وحـــدها .

وهناك أشخاص يميلون للسيطرة أو سرعة الانفعال ويريدون الزواج من شابات يملن للسيطرة أو سرعة الانفعال مما يجعل احتمال توافقهم الزوجى أقل مما لو كان أحدهم يميل للسيطرة والاخر يميل للخضوع أو العكس ؛

وهناك طلاب يتقدمون للالتحاق بالكليات العسكرية من أصحاء الجسوم والعقول ولكن ينقصهم سمات شخصية هامة مثل الشجاعة والثقة بالنفس وقوة الاحتمال النفسى ومقاومة الايحاء .

والمهم فى كل الحالات السابقة وغيرها كيف نهتدى لوسيلة علمية لتقدير كمية ما يتصف به الشخص من الصفات القيادية الهامة والسمات

الشخصية المطلوبة للنجاح الزوجى ، أو النجاح فى الكليات العسكرية وغيرها من مؤسسات المجتمع الهامة .

يجيب على هذا السؤال علماء النفس ويساهمون بنصيب وافر فى تحقيق هذا المطلب القومى ووسيلتهم فى ذلك هى أدوات قياس الشخصية والحكم عليها بطريقة علمية وأهمها ما يلى :

(أولا) موازين التقدير Rating Scales :

ميزان التقدير هو مقياس لتقييم شخصية الفرد تقييما كميا ، أى تقدير كمية ما يتصف به الفرد من السمات الهامة للشخصية . وكل مشرف يصلح للحكم على شخصية من يشرف عليه سواء فى مجال الانتاج أو الخدمات ، كالمدرسين بالنسبة لطلابهم ، أو رواد الأندية بالنسبة للأعضاء ، أو الاخصائيون الاجتماعيون فى دور الملاحظة بالنسبة للاحداث الجانحين . . . الخ . ويشترط فى كل الحالات تعدد الفاحصين بالنسبة لكل مفحوص ، وتوفر عامل الاهتمام والكفاءة والخبرة فى مجال التقييم المطلوب .

وسمة الشخصية الداخلة فى الميزان لا يمكن قياسها إلا إذا عرفت تعريفاً واضحاً محددا وفى صورة عملية أو اجرائية . فمثلا سمة المثابرة قد تعرف بشكل وصفى أو انشائى كالآتى : المثابرة هى العزم والحزم وحرارة التصميم . هذا التعريف يسمح باختلاف الفاحصين فى فهم معنى المثابرة والعجز عن التمييز بينها وبين الصفات الأخرى مثل الإرادة أو المبادأة أو الشجاعة .

ولكن إذا عرفنا المثابرة بأنها قدرة الفرد على الاستمرار فى عمل شاق نسبياً حتى الوصول لغرض محدد أمكن ترجمة هذا المعنى إلى محسوسات

سلوكية يمكن ملاحظتها بواسطة الغير وقياسها واجراء التجارب عليها. ولهذا يقال إن هذا التعريف اجرائى ولا يختلف الفاحصون فى فهمه .

أما عن تحديد عدد ونوع سمات الشخصية التى يتألف منها ميزان التقدير فهذا يمكن الوصول إليه بالتحليل الوظيفى للمهنة أو البرنامج الدراسى أو الكتب الدراسية فى هذه المجالات (Job analysis) أو تحديد أهم الصفات للاشخاص الناجحين فيها وكذلك بالرجوع للخبراء فى هذه المجالات .

وهناك أنواع متعددة من موازين التقدير منها قوائم التقدير وهى عبارة عن قوائم بكلمات أو جمل أو فقرات يضع الفاحص بعدها علامة تدل على وجود أو عدم وجود الصفة المطلوبة .

فمثلا قد نطلب من المدرسين وصف سلوك الطالب أثناء قيامه بفحص مادة تحت الميكروسكوب ثم نطلب من المدرس وضع علامة على العبارة التى تتناسب مع استجابة الطالب فى هذا الموقف . ونعطى للمدرس هذه القائمة :

(١) حركاته مرتبكة . (٢) بارع فى حركاته .

(٣) بطىء ورزين . (٤) سريع جـــــداً .

(٥) أصابعه ترتعش . (٦) واضح الانزعاج .

(٧) واضح الغضب. (٨) لا يأخذ العمل مأخذ الجد . الخ.

أما مقياس التقدير هو مقياس لتسجيل درجة وجود سمة معينة من سمات الشخصية الهامة . ويمكن أن تحدد هذه الدرجة باعطاء درجات ٣ ، ٢ ، ١ ، صفر بدلا من كثير التعاون مثلا أو متوسط التعاون أو قليل التعاون أو لا يظهر عليه التعاون على الترتيب ، أو بدل دائما يتحمل المسئولية ،

أو غالباً يتحمل المسئولية ، أو أحيانا يتحمل المسئولية ، أو لا يتحمل المسئولية أبدا على التوالى .

ويمكن أن نبين ما لدى الفرد من السمات بنسبة مئوية أو رسم بيانى وغير ذلك من وسائل عرض النتائج بأسلوب كمى عددى ، وهكذا بالنسبة لأى صفة أخرى مثل المرح أو التفاؤل أو الثقة بالنفس أو الاتزان الانفعالى وغير ذلك من الصفات الانفعالية والاجتماعية والخلقية للافراد التى أعتبرت اهم متطلبات للنجاح فى مجالات الحياة العامة . ويمكن الحد من تحيز الفاحصين إذا اتخذ من الشخص المتوسط أساس لترتيب باقى المفحوصين تصاعديا أو تنازليا . كذلك تقدير كل سمة من السمات لدى المفحوصين جميعاً واحد بعد الآخر بدلا من تقدير السمات جميعا على التعاقب لدى كل مفحوص على حدة . أو يحكم على كل فرد بدوره بأنه أحسن أو أسوأ من كل فرد آخر فى المجموعة ثم تعالج نتائج هذه المقارنات الزوجية بطرق احصائية خاصة للوصول إلى تقديرات نسبية .

ويمكن للفرد أن يطبق ميزان التقدير على نفسه ولكنه ثبت أنه لا يمكن الاعتماد على النتائج إن لم تكن تقارن بتقديرات الغير .

ومن أهم الأخطاء والصعوبات الشائعة فى موازين التقدير ما يلى :

(١) خطأ الهالة ومعناه أن يحكم الفاحص على المفحوص بحسب اتجاهه العقلى أو انطباعه العام عنه ، وغالبا ما يستمد الفاحص هذا الاتجاه من الشائع فى بيئة الشخص أو حكم الملاحظين السابقين أو شهرة المفحوص وما إلى ذلك .

(٢) خطأ البداية والنهاية ، وذلك حينما يتأثر الفاحص بنشاط المفحوص فى بداية سلوك معين ونهايته فقط دون الأخذ فى الاعتبار فترة ما بين النهايتين .

(٣) استخدام سمات كثيرة جدا أو قليلة جدا مما يقلل من ثبات الميزان وقد وجد أن سبع سمات يؤدى إلى درجة ثبات ملائمة .

(٤) صعوبة وضع تعريف اجرائى للسمة المطلوبة .

(٥) استخدام عدد غير كاف من الفاحصين المدربين على الملاحظة المقننة ، وقد وجد أنه ينبغى الحصول على تقديرات ثلاث فاحصين مستقلين على الأقل فى معظم الحالات التى تقيم فيهما سمات الشخصية .

(٦) أحيانا يؤدى تحيز الفاحصين إلى تقديرات متطرفة اما عالية جدا أو منخفضة جدا ، وأحيانا يخاف الفاحصون من التطرف ويلتزمون بالقيم الوسطى وقد تكون غير واقعية .

(٧) هناك بعض الصفات الشخصية لا تظهر للغير لأنها ترتبط بالخوف أو الألم أو الخجل أو العار أو مرتبطة بمشاعر الحياء والاحتشام كالسلوك الجنسى مثلا وفى هذه الحالة لا يمكن للغير ملاحظتها وبالتالى تعجز موازين التقدير عن الكشف عنها . زد على ذلك أن الدوافع اللاشعورية يعجز المفحوص عن الكشف عنها .

وبوجه عام يمكن تقليل نواحى الضعف فى موازين التقديرات باعداد دليل للتعليمات يحتوى على تفصيلات دقيقة عن معنى كل صفة وعن طريقة الاستخدام وطريقة التصحيح التى يجب أن تكون ثابتة موحدة لدى جميع الفاحصين ، ويكون للميزان معامل صدق وثبات معقول وأن يكون قد سبق تجربته قبل الاستخدام لمراجعة نواحى الضعف فيه .

(ثانيا) الإستخبارات (الاستفتاءات) Questionaire

تكتيك شائع الاستعمال فى طريقة المسح فى البحوث النفسية والتربوية ودراسة الشخصية فى العيادات النفسية المختلفة ، وهو عبارة عن قائمة أسئلة تجاب بنعم أم أو لا أو صح أو خطأ أو أى إجابة قصيرة . . . الخ وتوضع الأسئلة فى ضوء الغرض من البحث أو على أساس السمات الرئيسية للشخص . وقد يرسل الاستفتاء بالبريد أو يسلم باليد ولكن بدون اتصال شخصى بين الفاحص والمفحوص .

أما إذا أجاب المفحوص على أسئلة الاستفتاء بارشاد الباحث أثناء الاتصال الشخصى سميت الطريقة حينئذ بالمقابلة المقيدة وسمى الاستفتاء بجدول المقابلة أو قائمة البحث Schedule ، والاستفتاءات أداة مفيدة فى البحث العلمى متى كانت الأسئلة واضحة ومتى توخى المفحوص الصدق والأمانة والاهتمام فى الاجابة على الأسئلة .

وأنواع الاستفتاءات أو الاستخبارات ما يلى :

(١) الاستفتاء ذو الأسئلة المقفلة closed form (هل تحب مشورة الغير فى حل مشاكلك ؟) . نعم .... ، لا ....

(٢) الإستفتاء ذو الأسئلة المفتوحة open form (أحب ... / أكره ...)

والاستفتاء ذو الأسئلة المقفلة يتقيد فيه المفحوص باجابة محددة أما بنعم أو لا ، أو موافق أو غير موافق ، أو وضع علامة أو رقم أو دائرة على رقم معين للاجابات المعروفة أو ترتب بعض الاجابات بحسب أهميتها للمفحوص وغير ذلك .

وميزة هذا النوع أنه سهل فى التصنيف والتحليل الاحصائى ولكنه عاجز عن الكشف عن الاتجاهات العقلية والقيم لدى المفحوص .

أما استفتاء الأسئلة المفتوحة لا يتقيد فيها المفحوص بشيء بل يستجيب بحرية وتلقائية كيفما يريد . مثل ما رأيك . . . ؟ أو أسئلة الجمل الناقصة أحب .... أكره .... الخ . وهذه الأسئلة مفيـدة فى الكشف عن الدوافع والاتجـاهات والقيم . ولكنها صعبة فى التبويب والتحليل الاحصائى ، ويمكن أن يصمم استفتاء خليط من النوعين بجانب الأسئلة التقليدية عن البيانات الاجتماعية كالاسم والسن والجنس والمستوى الاقتصادى وكذلك الأسئلة التى تنصب على الأسباب وتبدأ بلماذا ... الخ

مما سبق نرى أن موازين التقدير عبارة عن أدوات لتقييم الشخصية تعتمد على آراء الغير عن المفحوص أما الاستخبارات أو الاستفتاءات فهى عبارة عن أدوات لتقييم الشخصية تعتمد على آراء المفحوص عن نفسه أى عن سلوكه الخاص واحساساته وصفات شخصيته .

وحيث أن الاستخبارات تعتمد على آراء المفحوص عن نفسه فاذن هى طريقة تعتمد على التأمل الذاتى أو الاستبطان وفيها يقرر الفرد ما يعرفه عن نفسه ويلاحظه من تصرفاته ، وهو يفعل ذلك عن طريق الاجابة عن أسئلة محددة أو يقرر أمام عبارات تقدم له بأنها صحيحة تنطبق عليه أم أنها لا تنطبق عليه أو بعلامة استفهام دلالة على أنه لا يعرف ، وغالباً ما يتكون الاستخبار من (١٥٠ — ٣٠٠) عبارة أو سؤال للكشف عن سمات هامة للشخصية مثل : التكيف الأسرى ، والتكيف المهنى والتكيف الاجتماعى ، والتكيف الانفعالى ، القيـادة والتبعية ، السيطرة والخضوع ، الانطواء والانبساط ،الرضاء الـذاتى ، التفاؤل والتشاؤم المرح والاكتئاب . . الخ .

وهذه السمات يجب أن تكون مستقلة بعضها عن بعض إحصائيا، ولا يمكن تحليلها إلى صفات أبسط منها طبقاً لنظرية التحليل العاملى. كما أن

الاستخبارات مبنية على أساس نظرية السمات السابق الاشارة إليها التى تعتبر الشخصية مكونة من صفات منفصلة تظهر من استجابة الفرد بطريقة ثابتة لمؤثر محدد . لذلك نجد أن الأسئلة أو العبارات ثابتة ويجاب عليها بطريقة موحدة بالنسبة لجميع المفحوصين .

وتتميز طريقة الاستخبار عن طريقة موازين التقدير بأنها تعطينا صورة للشخص لا نستطيع الحصول عليها إذا اكتفينا بملاحظة تصرفاته الظاهرية كما فى موازين التقدير . لأن شعور الشخص وقصده قد يختلف عن سلوكه ولا يجب أن يأول الفاحص أو يفسر التقرير اللفظى للمفحوص ولا يخرج عن الشروط الموضحة بكراسة التعليمات للإستخبار .

ومن ميزات الاستخبار كذلك مقارنة الأفراد بعضهم ببعض على أساس التقدير الكمى للسمات المقيسة إذا خصص لكل إجابة قيمة عددية خاصة فى الاستخبار .

وينشأ قصور الاستخبار من افتراض أن الفرد يعرف ويرغب فى الكشف عن النواحى الهامة لشخصيته . وفضلا عن ذلك ما زالت محاولة تقسيم الشخصية إلى سمات منفصلة موضوعا للجدل بين علماء النفس خاصة الجشطالتيون الذين لا يوافقون على ذلك .

الواقع أن الفرد قد لا يعرف دوافعه إذا كانت لا شعورية ، وقد لا يرغب فى إظهارها إذا كانت مؤلمة أو مخيفة أو مشينة . وعلاوة على ذلك قد يتأثر المفحوص بخبراته الحديثة سواء إذا كانت سارة أو مؤلمة ويعمم نتائج هذه الخبرة على نفسه بصفة عامة ، كذلك قد يلجأ بعض المفحوصين إلى التزييف أو الإهمال أو التخمين فى الإجابة مما يقلل من قيمة الاستخبار ،وفيما يلى عينة من مفردات بعض الاستخبارات :

(أ) هل تقلق أثناء الليل بسبب أحلام عن عملك ...

نعم ( ) لا ( ) لاأعرف ( )

هل ترى أحيانا فقط الشبح أمام عينيك ....

نعم ( ) لا ( ) لا أعرف ( )

هل تفقد أعصابك وتغضب بسهولة ....

نعم ( ) لا ( ) لا أعرف ( )

هل تشعر أن الحياة عبء لا يحتمل ....

نعم ( ) لا ( ) لا أعرف ( )

هل تخاف السقوط من مكان مرتفع ....

نعم ( ) لا ( ) لا أعرف ( )

هل يجرح الغير شعورك بسهولة ....

نعم ( ) لا ( ) لا أعرف ( )

(ب) أجـد صعوبة فى التحدث أمام زملائى فى المدرسة صحيح خطأ

كثيرا ما أحاول أن أدارى خجلى « »

أحس أن الناس تنظر إلى بانتقاد « »

أخشى مقابلة الغرباء « »

من السهل أن يجرح شعورى « »

وهنا يضع المفحوص علامة تحت صح أو خطأ بالنسبة لكل عبارة .
وللحد من تزييف المفحوص يوضع بالاستخبار أسئلة واحدة مرة بصورة الاثبات ومرة بصورة النفى ، أو يعنون الاستخبار بعنوان بحيث يبدو أنه يختبر شيئاً آخر غير ما يريد بالفعل ، أو أن تدرج فيه أسئلة غريبة عن موضوعه الأصلى . غير أنه يجب أن نذكر أنه ما دامت كل سمة تقاس بعدد كبير من الأسئلة تنصب على مواقف مختلفة فمن المستبعد أن يحرف المفحوص اجاباته فى جميع هذه الأسئلة .

وأسئلة الاستخبار يجب أن تكون واضحة فى ذهن المفحوص دون لبس أو إبهام ولا توحى بجواب معين أو تكون من النوع الذى يحرجه أو يربكه ، وتساعد التجربة المبدئية قبل تطبيق الاختبار عمليا على حذف كثير من الأسئلة والعبارات غير المناسبة .

ويرى (تراكسلر) أن البيانات المستخلصة من الاستخبارات تحث التلاميذ على تقييم صفات شخصياتهم تقييما ناقدا ، كما أنها خطوة انتقالية مفيدة تهيىء إلى فاعلية المقابلات بين المرشد النفسى والعملاء . كما تساعد على تحديد الأفراد سيىء التوافق والذين يحتاجون إلى توجيه ليتكيفوا تكيفاً ذاتيا واجتماعيا ناجحا .

ومن أمثلة هذه الاستخبارات استخبار ودوورث وثرستون وبونويتر واختبار مينيسوتا متعدد الأوجه للشخصية وغيرها ، هذا وقد تسمى الاستخبارات استفتاءات أو استبيان أو تقارير التشخيص الذاتى .

وعلى نفس فكرة الاستخبارات وضعت (قوائم تقدير المشكلات) تتناول المشكلات بدلا من سمات الشخصية أو الميول .

وتشتمل القوائم كتلك التى وضعها (مونى) وزملاؤه بجامعة ولاية

أوهايو بأمريكا على عبارات تسهل على التلاميذ التعبير عن المشكلات التى تقلقهم فى ميادين مختلفة مثل : الصحة والنمو الجنسى ، الحب والزواج النشاط الاجتماعى والترويحى ، المنزل والأسرة ، الأخلاق والدين ، التكيف فى العمل المدرسى ، المستقبل المهنى والتعليمى ، المنهج وطرق التدريس . . . الخ . وطريقة استخدام قوائم المشكلات يضع الطالب خطا تحت المشكلات التى تهمه ، ويضع دوائر تحت أكثر المشكلات حيوية ويجيب على أسئلة تلخيصية تتناول إحساساته نحو مشكلاته .

وليست قوائم تقدير المشكلات أدوات للتشخيص النفسى ولكنها أدوات وصفية وتحليلية تفيد فى عمل مسح سيكلوجى فى مدرسة أونادى أومصنع لمعرفة ما يفكر فيه الشباب وأهم مشكلاتهم ، وتشير إلى بعض البرامج التى تقوم عليها توجيه وارشاد هؤلاء الشباب ، وزيادة فهم المعلم عن طرق التدريس الملائمة لجماعة معينة من التلاميذ ، كما تسهل المقابلات الخاصة بالتوجيه النفسى والتربوى وكذلك القيام ببحوث تتعلق بمشكلات الشباب .

وفى السنوات الأخيرة نشرت عدة قوائم للمشكلات منها قائمة S.R.A. للشباب وأخرى للصغار .

وعلاوة على ما سبق توجد تقارير السيرة الذاتية Autobiography وهى قصة حياة الفرد كما يكتبها بنفسه مما يؤدى إلى فهم ميوله وقدراته وتاريخه الشخصى وآماله وطموحه ورغباته، ومن المفيد أن يوجه الفاحص المفحوص فى كتابة سيرة حياته فى النواحى التى ينبغى أن يتضمنها فى حديثه كخطوات طفولته المبكرة ، وتاريخ أسرته ، والسجل الصحى والجسمى ، وتاريخ حياته المدرسية ، وميوله وأوجه نشاطه فى أوقات

الفراغ ، وهواياته وخبراته فى رحلاته ، وصدقاته وخبراته المهنية ، وخططه للمستقبل وخططه فيما يتعلق بالزواج والحياة العائلية . . الخ

(ثالثا) الاختبارات الاسقاطية والموقفية :

Projective & Situational Personality Teststs

تختلف استخبارات الشخصية عن اختباراتها ، فى أن الاستخبارات لا تظهر الدوافع اللاشعورية التى لا يعرفها الفرد ، ولا تكشف عن الدوافع المحرجة التى لا يرغب الفرد فى الكشف عنها ، بينما الاختبارات يمكن أن تظهر الدوافع اللاشعورية وكذلك الدوافع التى لايريد الفرد الكشف عنها وهو لا يدرى ، وهذا هو السبب فى بناء هذه الاختبارات .

وفى الاستخبار غالباً لا يكون هناك اتصال شخصى بين الفاحص والمفحوص على عكس الإختبار لذلك يزداد احتمال سوء فهم المفحوص لأسئلة الاستخبار وفى الاستخبار يستطيع المفحوص أن يلجأ إلى التزييف فى الاجابة بنسبة أكبر منها فى الاختبار .

والاختبارات الاسقاطية قائمة على فكرتين رئيسيتين :

(١) المنبهات البيئية الواضحة ذات المعنى المحدد لا يختلف فى الاستجابة لها الأفراد لذلك فهى تكشف عن حقائق واقعية موجودة فى البيئة الخارجية . أما المنبهات الغامضة عديمة المعنى فيختلف فى الاستجابة لها الأفراد رغم ثبات المدركات الغامضة لذلك فهى تكشف عن حقائق ذاتية موجودة فى البيئة الداخلية — وهى بيئة النفس — دون أن يشعر الأفراد بذلك .

(٢) أن الانسان يميل أن ينسب عيوبه أو محاسنه إلى الغير دون أن يدرى فالكريم يرى غيره كريم غالبا والخائن يرى غيره خائنا غالبا .

فاذا قدم للفرد أى منبه بيئى غامض ليس له معنى محدد فان الفرد يسقط ما بنفسه على هذا المنبه ففيه يرى الفرد ما يميل هو شخصيا أن يراه أو يفعل فيه ما يود هو أن يفعله . فيكشف الفرد عن نموذج شخصيته أثناء معالجته لمادة المنبه أو الموقف الغامض دون أن يدرى .

ومن أشهر الاختبارات الإسقاطية اختبار (رورشاخ) Rorschach نسبة إلى العالم النفسى السويسرى هيرمان رورشاخ . لقد كان مهتماً بوضع أداة تشخيصية تساعد الأخصائى النفسى فى التمييز بين الأفراد تبعاً لأنماط الصفات العقلية ، ولكن التجربة على الإختبار أثبتت أنه يكشف قدرا كبيرا عن بناء شخصية الفرد ، عن درجة وضائه عن نفسه ، دوافعه الداخلية ، الاستقرار الانفعالى ، العلاقات مع الناس وطريقة مواجهة المشكلات .

ويشتمل الاختبار على عشر بطاقات يمثل كل منها بقعة حبر على أرضية بيضاء ، ونصف البطاقات ملونة والباقى عادى . وبقع الحبر فى البطاقات ليس لها تكوين معين فيمكن أن ترى وتفسر بطرق كثيرة .

والتعليمات التى تعطى للمفحوص هى : يرى الناس جميع أنواع الأشياء فى هذه الصور لبقع الحبر ، والآن أذكر لى ماذا ترى ؟ ما الذى تعنيه بالنسبة إليك ؟ ما الذى يجعلك تفكر هكذا ؟

ويهتم الاخصائى النفسى بثلاث نواح فى استجابات العميل .

أولا : المحتوى — أى الذى رآه المفحوص ؟ هل رأى انسانا أو حيوانا أو جمادا . . . الخ .

ثانيا : الموضع — أى أجزاء البقع استخدمها العميل ؟ هل استخدم البطاقة كلها أو التفصيلات الصغيرة .

ثالثا : المحددات — أى العناصر التى تأثر بها العميل ؟ اللون ، الشكل ، الظل ، الحركة ، أو مزيجاً من كل هذا .

وتقدر كل استجابة فى هذه النواحى الثلاث وإليك بعض النتائج العامة بالنسبة لمعنى أنواع معينة من الاستجابات .

— اعطاء استجابات كثيرة للألوان يعنى السلوك الاندفاعى والتوتر الانفعالى الشديد .

— رؤية البقعة فى جملتها يعنى الميل للمواد النظرية أما رؤية التفاصيل فيشير إلى الميل للنواحى العملية .

— رؤية الأشكال على البقع كما لوكانت تتحرك يشير إلى الانطواء بمعنى أن الفرد يعيش داخل نفسه أكثر من العالم الخارجى .

— إذا تأثر الفرد بشكل البقعة أو التخطيط العام لها وليس بلونها أو تظليلها يشير إلى أن الفرد يفتقد الشخصية المميزة .

عموما فان اختبار رورشاخ يتطلب مهارة كبيرة والتشخيص لا يتناول أجزاء ولكن تفسر الاستجابة للجزء فى ضوء الاستجابات الكلية للبطاقات العشر وما ذكرناه آنفاً على سبيل المثال لا الحصر .

فمثلا حولت طفلة للعيـــادة النفسية وذكر فى مصدر التحويل : (ان الطفلة تعانى من تأخر دراسى وتبول لا إرادى ، صداع نصفى ، مخاوف ليلية ، سرد قصص خيالية وسلوكها شاذ فكثيرا ما تنظر فى المرآة وتعوج وجهها) وبتطبيق اختبار رورشاخ عليها قبل العلاج (أظهر أنها طفلة حادة الطبع قلقة ، مكبوتة ، عصابية ، مع اهتياج تحطيمى) وعند إعادة الاختبار عليها بعد العلاج أظهر : (الطفلة أصبحت أكثر انتاجا وأقل اخفاقا قلت خيالاتها وأصبحت أكثر تحررا ، وأقـــل اضطرابا من الناحية

العصابية وتعيش بعيدا عن خيالاتها ، قد تكون أكثر ازعاجا للغير ، ولكن أقل اضطرابا من الناحية النفسية الداخلية) .

ومن الاختبارات الاسقاطية الأخرى اختبار تفهم الموضوع (T.A.T للعالم النفسى الأمريكى (هنرى مورى) Henry A. Murray ويتكون هذا الاختبار من ٢٠ صورة غامضة بعضها صور مثيرة وبعضها عادى محايد ، وفيها صور رجال أو نساء أو أطفال. تعرض الصور على المفحوص واحدة بعد الأخرى ، ويطلب منه تخيل قصة تحكى ما يجرى فى الصورة ثم تحلل الاجابات ، طبقاً لكراسة التعليمات فى الإختبار بواسطة اخصائيين نفسيين على مستوى عال من الخبرة . ويقوم التحليل على أساس الفرض القائل ان ما يراه المفحوص فى مدركات غامضة Unstructured يكشف نموذج شخصيته ودوافعه وعواطفه واتجاهاته النفسية ومعتقداته وأسلوبه فى الحياة دون أن يدرى . والفاحص ليس حرا يفسر كيفما يشاء الانتاج القصصى ولكنه يسير طبقاً للنماذج والمعايير المستخلصة من مقارنة العينات المعيارية للشواذ والمرضى لتحديد الفروق الجوهرية بينهم فى نماذج شخصياتهم . لذلك لا يتصور البعض أن الأمر سهلا يفسر بحرية تامة طبقاً لما ورد بالقصة من مسرات وآلام .

غالبا ما نجد أن لكل قصة بطل يتقمصه الفاحص خاصة لو كان فى مثل جنسه وسنه وهذا التقمص يحمل المفحوص على اسقاط آماله وآلامه وتوقعاته ومخاوفه عليه .

وفيما يلى نموذج من القصص المكتوبة وتفسيرها نفسيا بالنسبة للصورة الأولى وبها ولد صغير يتأمل كمانا (كمنجة) موضوعة على منضدة ، وهى من الصور المحايدة غير المثيرة : (منـذ سنوات عديدة تلقى فتى

هدية من والديه فى عيد ميلاده ، والسبب فى أنهم أهدوه كمانا ، أنهم كانوا يرغبون فى أن يصبح مهتماً بالموسيقى مثلهم . وما أن جلس الطفل الصغير ناظرا إلى الأداة الجميلة حتى ظهرت الخيبة على وجهه . وفكر كم كان من الأحسن جدا لو أن أبويه أعطياه بعض اللعب . لقد تأكد من مدى ما تعنيه الهدية بالنسبة لهما . ولذلك حاول أن يبدو مسرورا بقدر الامكان . لقد كان مسحورا بالكمان لأنه لم يرى واحدا منه من قبل ، ولكنه سمع والداه يتحدثان عنه ، ولذلك قرر أن يرى كيف يعمل . فرفع القوس وأمررها على الأوتار ، وأحب الصوت وحاول مرة أخرى ، وفكر فيما إذا كان من المسلى أن تعزف جميع الأصوات معا . والآن يقف هذا الفنان العظيم على خشبة قاعة المسرح المشهور ينتظر انتهاء التصفيق ويشكر أبويه من أعماق قلبه) .

ويفسر العالم النفسى (تومكينز) هذه القصة بقوله ، (ان أمل الأبوين بعيدا عن رغبــات الطفل ، ولكنه يخضع لهما لأنه لا يريد أن يخيب أملهما فيه ، والتأثير الأبوى فى هذه الحالة كبير ، وعندما نضج العميل قدر الإذعان لرغبات الوالدين تقديرا مرضيا وأظهر التقدير الكامل للقيم الوالديه (٢٣) .

وهكذا تبين القصة عميلا اسقط على صورة الفنى علاقته الشخصية بأبويه ويرى مورى أن كل فعل منسوب لبطل القصة يمكن تفسيره اما فى ضوء حاجات المفحوص أو الضغوط الواقعة عليه ، فثورة البطل أو نزواته الجنسية تشير إلى الدوافع الجنسية والعدوانية لدى المفحوص وهكذا بالنسبة لباقى الحاجات مثل النجاح والشهرة والتسلط وتجنب الضرر . وتشمل قائمة الضغوط فقر الأسرة والشعور بالنقص والضياع والنبذ والغيرة من ولادة صغير

وضروب الاغواء . . . الخ . وبعض الاخصائيين يهتمون فى التفسير بأنواع نهايات القصص سعيدة أو محزنة ، وكذلك اللغة المستخدمة ومفرداتها ومعانيها مما يلقى ضوءا على البناء العقلى للمفحوص ، هذا ويعتبر اختبار بقع الحبر لرورشاخ واختبار تفهم الموضوع من أهم الاختبارات الاسقاطية عند علماء النفس العلاجى .

وهناك وسائل اسقاطية أخرى سريعة وسهلة فى تطبيقها وتفسيرها ولا تكلف مالا كثيرا أو تحتاج إلى مستوى عال من الخبرة وتطبق بطرق فردية أو جمعية . وبرغم هذه المميزات المتعددة ، فانها ذات مساوىء منها أن معامل الصدق والثبات فيها أقل من اختبار تفهم الموضوع وبقع الحبر ، كما أنها غير مقننة تقنينا دقيقاً من حيث طريقة التطبيق وطريقة التصحيح والتفسير ، لذا يختلف الفاحصون فيها اختلافا واضحا .

ونحن لا نطالب هنا بالغائها ، أو نقول لا أهمية لها ، ولكن المقصود أن نقدر مدى أهميتها ونؤكد ضرورة تدعيمها بوسائل تعزيزية أخرى من وسائل دراسة الشخصية المتعددة .

وفيما يلى أهم هذه الوسائل الإسقاطية السريعة الاستخدام .

- طريقة تداعى الكلمات Word Association
- طريقة تكميل الجمل أو القصص الناقصة Completion Method
- طريقة الأصوات الغامضة Ambiguous Sound Method
- طريقة اللعب Play Method
- طريقة تحليل الخط أو الصور أو الرسوم أو المنتجات الأدبية والفنيـــة Analytical Method .

طريقـة تداعى الكلمات :

طريقة تستخدم للكشف عن العقد النفسية والرغبات والمخاوف والعداوات المكبوتة وتنسب للعالم النفسى يونج ، وفى هذه الطريقة يتلو الفاحصون عددا من الكلمات المختارة بدقة تبلغ (١٠٠) كلمة غالبا ويطلب من المفحوص أن يرد على كل كلمة يسمعها بأسرع ما يمكن وبأول كلمة تطرأ على ذهنـه .

ومجموعة الكلمات بها عدة كلمات حرجة تمس النواحى الانفعالية المكبوتة لدى المفحوص أى تمس المخاوف والعدوات والرغبات المكبوتة ، وهذه الكلمات موزعة توزيعا عشوائيا فى باقى قائمة الكلمات التى تتضمن كلمات أخرى عادية محايدة .

وإذا بدى على المفحوص بعض العلامات التالية كان هذا دليلا على ما يعانيه من اضطرابات انفعاليـة . (لا يعتمد على النتائج من أول مرة والأفضل تكرار هذه الطريقة أكثر من مرة) وهذه العلامات هى : - (١) طول زمن الرجع وهو الزمن الذى يمضى بين سماع المفحوص الكلمة والرد عليها (٢) تكرار الكلمة التى يسمعها المفحوص (٣) تكرار جواب سابق (٤) غرابة الاجابة أو سخفها (٥) ذكر جملة بدل الكلمة (٦) الخطأ فى سماع الكلمة التى تتلى على المفحوص (٧) العجز التام عن الاجابة (٨) الرغبة فى تغيير الجواب بعد ذكره (٨) الضحك أو الانزعاج الواضح (٩) الحركات المضطربة لليدين أو الرجلين .

وإليك مثال لشطر من اختبار أجرى على شخص عزم على الانتحار غرقاً فى أثر نوبة من الهبوط والاكتئاب . :

الكلمة المنبهة	الجواب	زمن الرجع
١ - رأس	شعر	١,٤ ثانية
٢ - أخضر	زرع	١,٦ »
٣ - ماء	عميق	٥ »
٤ - عصا	سكين	١,٦ »
٥ - طويل	مائدة	١,٢ »
٦ - سفينة	يغرق	٣,٤ »
٧ - يسأل	يجيب	١,٦ »
٨ - صوف	يغزل	١,٦ »
٩ - بحيرة	ماء	٤ »
١٠- مريض	سليم	١,٨ »
١١- حبر	أسود	١,٢ »
١٢- يعوم	يستطيع العوم	٣,٨ »

يلاحظ طول زمن الرجع ونوعية الاجابة فى الاجوبة ٣ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ . (٢٤) .

طريقة تكميل الجمل أو القصص الناقصة :

وسيلة منبثقة ومبنية على طريقة تداعى الكلمات السابقة وفيها يعرض على المفحوص عبارات أو جمل ناقصة ويطلب من المفحوص تكملتها لتكوين جملة مفيدة بأسرع ما يمكن . ومن أمثلة هذه العبارات والجمل ما يلى :

- أكون سعيدا حينما .... - يصيبنى الغضب الشديد حينما .....

- أحب .... - أكـره.....................

- أنا لا أرغب فى .... - أخاف من ....

- أريد أن أعرف .... - أشعر أن رئيسى فى العمل (والدتى والدى صديق) ....

وغالبا يلتزم الاخصائيون بثلاث تصنيفات للأجوبة (١) الأجوبة التى تدل على الصراعات النفسية (٢) الاجابات الايجابية البناءة (٣) الاجابات الحيادية أو العادية.

وأحيانا تقسم الأجوبة إلى ميادين : النبذ - المقاومة والحيل الدفاعية النفسية - المخاوف - المغاضب - الرغبات - العقد النفسية ... الخ.

وفى أسلوب تكملة القصة يقدم قصة ناقصة للمفحوص (طفل غالبا) ويطلب تكملتها إما تحريريا أو شفويا وتحلل الاجابة على أساس مضمون القصة ونوعها (عداء خوف غيره حرمان) وكذلك نوع النهاية (سارة أو محزنة)، فمثلا يعطى للمفحوص القصة الآتية ليكملها : -

(يذهب على إلى المدرسة فى الصباح وعند ما يحين وقت اللعب يجلس بمفرده فى أحد الأركان .....) ثم يطلب من المفحوص اكمال القصة وبيان لماذا لا يلعب على مع الأطفال الآخرين. ويلاحظ هنا أن الأطفال يمكن أن يتأثروا ببعض العوامل الخاصة مثل الخبرات الحديثة أو التأثر ببعض الأفلام أو الكتب أو المجلات. وهنا تصبح القصة ضعيفة الدلالة بالنسبة لبناء الشخصية.

طريقة الأصوات الغامضة :

تسجل بعض الكلمات الغامضة أو عديمة المعنى على شريط جهاز تسجيل. ثم يدار ليسمعه المفحوص فيفسره فى ضوء حاجاته ومشكلاته النفسية.

طريقة اللعب : طريقة اسقاطية تستخدم فى دراسة شخصية الأطفال المشكلين وتفيد أيضاً فى العلاج النفسى على أساس أنها تعطى فرصة للتنفيس عما يعتلج فى نفس الطفل من مخاوف وعداوات ورغبات غير مشبعة علاوة على أنها تفيد فى بيان مدى تقدم العلاج النفسى .

وتشتمل أساليب اللعب على أن يقدم للطفل أدوات لعب مختلفة ، قد تكون مواد قابلة للتشكيل مثل الصلصال والعجائن الأخرى ، أو مواد مشكلة مثل المكعبات وقطع الخذف والبلى ، أو العرائس والتماثيل والألعاب الخاصة بالحياة الأسرية أو المدرسية أو المهنية بشكل مصغر ، ولا يعطى أية تعليمات للطفل ويطلب منه أن يفعل فى هذه الأدوات ما يشاء والطفل قد يحطم اللعب أو يخلع عين الدميه التى تمثل الأم أو يوارى دمية الأب تحت التراب مما يرمز للعدوان المكبوت ، أو يكون مسيطرا أو خاضعا أو غيورا مع أقرانه . وغرف اللعب لها حاجز من الزجاج الخاص يسمح بالرؤية من جانب واحد ويقف الفاحص خلف الحاجز تاركا الطفل يلعب بحرية .

ويقول مورفى Murphy (٢٥) : (ان الطفل يستخدم الألعاب ليصور مفهومه عن المنزل والأسرة والجيران والعالم ، وهو يظهر أبويه والكبار الآخرين ، وكلبه ونفسه فى صورة كلام مباشر أو أفعال غير مباشرة ، واللعب له قيمة أسقاطية كبيرة لأن طريقة الطفل فى التعبير ما زالت تلقائية ومباشرة . . . وينبغى أن نتذكر أنه ليست هناك طريقة اسقاطية واحدة يمكن أن تكشف عن جميع أوجه شخصية الطفل . ومع أن اللعب لا يشذ عن هذه القاعدة إلا أنه يعد من أكثر المقاييس شمولا فهو يفيد أكثر ما يفيد فى توجيه انتباه المعلم أو الاخصائى النفسى إلى نواح معينة تحتاج إلى فحص) .

طريقة التحليل للمنتجات الفنية أو الأدبية : وقد ينصب التحليل على خط المفحوص أو الصور التى يرسمها الأطفال سواء بالقلم الرصاص أو

الأقلام الملونة أو الرسم بالألوان المائية أو التلوين بالأصبع ، وأحيانا ينصب التحليل على المنتجات الأدبية أو الفنية للكبار .

ويرى بعض علماء النفس أن تفسير هذه المنتجات يخضع فى كثير من الأحيان للحدس والبديهة والتخمين وأنه ميدان مفتوح ولكنه غير حاسم فى بحوث القياس (٢٦) .

ويقال فى تحليل الخط مثلا أن شدة الضغط بالقلم أثناء الكتابة له صلة بالتوتر الانفعالى ، واتساع الخط وكبره يدل على الكرم أو التبذير ، وصغر الخط وضيقه يدل على البخل والتقتير ، والتماثل والاعتدال فى الكلمات له صلة بالميول الجمالية ، وعدم النظافة فى الخط يدل على الاحساس بالذنب أو ضعف الميول الجمالية أو عدم الاهتمام بالنظام والصحة والمظهر الاجتماعى .... الخ .

وبالنسبة لاستخدام الألوان فى الرسم يقال أن اللون الأسود والألوان القاتمة تدل على القنوط ، فى حين يدل الأصفر على تعبيرات الخصومة والعدوان ، وفى بعض الحالات يرتبط الاصفر الفـــاقع باحساسات الفرح ، ويشير اللون الأحمر وحده إلى كل من احساسات الود والحب أو احساسات العدوان والكراهية ، كذلك يستخدم معـــايير الشكل لوصف الشخصية ، فمثلا تفسر الحدود الجامدة والايقاع الموحد كدليل على الاكراه والجبرية أما الأشكال ذات الخطوط القصيرة المقوسة فقد تعبر عن العدوان .

ويفضل الأطفال الذكور استخدام اللونين الأزرق والأخضر فى حين يفضل الأطفال الأناث الأحمر والأصفر .

ومن الوسائل التحليلية الشائعة اختبار زندى Zondy (٢٧) لتشخيص

الاضطرابات السلوكية المرتبطة بالأمراض النفسية والعقلية ، وهو عبارة عن ست مجموعات من صور الوجوه كل مجموعة منها مكونة من ٨ صور تمثل كل صورة منها وجه شخص مصاب بأحد الأمراض الآتية :

الجنسية المثلية ، الميل للقسوة الايذاء ، الصرع ، الهستيريا ، الفصام الكتاتونى ، البارانويا ، (جنسون العظمة) ، الهوس (المينيا) والاكتئاب .

وتتلخص طريقة اجراء الاختبار فى أن يعطى المفحوص كل مجموعة من الصور ليختار من بينها الصورتين اللتين يحبهما جدا ، والصورتين اللتين يكرههما جدا ، وبذلك نحصل على ١٢ صورة يحبها جدا ، ١٢ صورة يكرهها جدا ، وبدون أن نتدخل فى طريقة اختياره يطلب منه أن يحكى قصة عن الصور الأربع التى يحبها أكثر من الجميع ، والصور الأربع التى يكرهها أكثر من الجميع.

وقد وضع زندى بعض القواعد التى يمكن اتباعها فى تفسير اختيار الصور المختلفة وكذلك تحليل القصص التى يذكرها المفحوص عن كل صورة .

ويرى زندى أن اختيار الشخص لأنواع معينة من الصور يدل على الصفات النفسية الغالبة عنده ، فى حين يرى كثير من العلماء أن حب الشخص أو كراهيته لأحدى الصور قد يكون مبنيا على أسباب أخرى خلاف اتصافه بما تحمله من صفات .

ومجمل القول عن الوسائل الاسقاطية جميعا أن أهم مزاياها هى : أنها طرق غير مباشرة تحول دون عجز أو تحرج أو خوف المفحوص من التصريح بمشاعره ومخاوفه ورغباته مما تعجز عن كشفه وسائل المقابلة أو الاستخبارات كما أنها تكشف عن الجوانب اللاشعورية فى الشخصية ، واحتمال التزييف

والتحريف فيها أقل بكثير من الطرق المباشرة ، كما أنها أكثر اثارة لاهتمام المفحوص .

أما أهم عيوبها أنها غير مقننة تقنينا دقيقاً من حيث طريقة الاجراء أو طريقة التفسير لذا يختلف الفاحصون فيها اختلافا كثيرا ، كما أن معامل الثبات والصدق مازال ضعيفاً فهو أقل عن معامل الصدق والثبات فى اختبارات الذكاء والقدرات الخاصة بفارق ملحوظ .

اختبارات المواقف المقننة : Standerdised Situations

هذه الاختبارات تدور حول وضع الشخص المراد اختباره فى مواقف معينة لمعرفة أساليب تصرفه فيها سواء أكانت هذه المواقف تتصل بأعمال مهنية خاصة من نماذج الحياة الواقعية ، أو مواقف تمثيلية مصطنعة تشبه ما يراد للشخص القيام به من عمل مستقبلا . وفى أثناء ذلك يلاحظه الفاحصون ليقفوا على أسلوبه فى التصرف فى المواقف ومبلغ قدرته على القيام بدوره فيها وطريقته فى التعاون مع المشتركين معه فى هذا الموقف . . . . الخ .

والمهم فى هذه الاختبارات أن نحاول تهيئة الموقف بطريقة لا يشعر المفحوص فيها أنه موضع الاختبار حتى يتصرف بطريقة طبيعية فيعبر عن شخصيته ومشاعرة واتجاهاته وأفكاره بطريقة تلقائية .

فاذا كنا مثلا نريد معرفة أسلوب الفرد فى حل مشاكله وفى علاقاته مع غيره ، وهذا هو موضوع الدراسة أو الهدف منها ، فلا نطلعه على هذا الهدف ، بل نذكر له هدفا آخر فنقول له مثلا أننا نريد معرفة مستوى التحصيل فى مادة دراسية معينة: ونضعه مع أربعة من زملائه ونكلفهم بحل تمارين معينة لغوية أو عددية أو أى تمرين عملى . ونكون جماعة أخرى مماثلة فى العدد ونعقد تنافسا بين الجماعتين فى انجاز العمل المطلوب ونقيم

انتاج الجماعتين فى النهاية فعـــلا .

وهنا يظن المفحوص أننا نهتم بمستوى التحصيل.ولكننا فى الواقع نلاحظ علاقاته الاجتماعية مع غيره ومدى سيطرته وميوله العدوانية أو تعاونه وتسامحه ومحبته أو شكه أو تردده . . . الخ .

وقد تصمم مواقف معينة يتطالب كل منها تصرفا معينا ثم نذكر هذه المواقف للمفحوص وتعطى له مجموعة من الحلول أوالتصرفات المحتملة ليختار التصرف الملائم من بينها .

ومن أمثلة ذلك ما يأتى :

إذا كنت رئيسا لإدارة حربية تضم عشرة مرءوسين لك ، وتعود واحد منهم أن يحضر متأخرا ، فماذا يكون تصرفك معه :

— هل تمثل به أو تفصله نهائيا

— تؤنبه أمام المجموعة كلها .

— تستدعيه شخصيا لحضور محاضرة عن أهمية الحضور فى المواعيد .

— تناديه إليك وتحاول أن تعرف منه أسباب التأخير .

— تعقد اجتماعا عاما تشرح فيه أهمية المحافظة على المواعيد كواجب لكل فـــرد .

مثـــال آخــــر .

وصل إلى علم ناظر المدرسة أن أحد الطلبة المراهقين يمارس العادة السرية فهـــل :

— يطرد التلميذ لمدة أسبوع أو أكثر ليقلع عن عادته الذميمة .
— يستدعيه إلى مكتبه ويبدى له النصح سرا .
— يستدعى ولى أمره ويناقشه فى الموضوع .
— يزجر الطالب أمام الفصل ليكون عبرة لغيره .
— يحوله إلى العيادة النفسية .
— يطالبه بممارسة الرياضة يوميا .

وهكذا نعرض على المفحوص كثيرا من هذه المواقف بغرض اكتشاف مدى توافقه الذاتى والاجتماعى وتركيب شخصيته .

هذا وتدخل طريقة الاختبارات الموقفية المقننة ضمن اختبارات مكتب الخدمات الاستراتيجية فى الجيش الأمريكى للحكم على الشخصية بطريقة كليـــة .

وتبنى هذه الأحكام على ملاحظة الشخص أثناء الأيام التى يقضيها فى محطة الاختبار التى تصل أحيانا لثلاثة أيام يمر فيها المفحوص فى سلسلة اختبارات أهمها ما يلى :

(١) يلاحظ الشخص عند وصوله لمحطة الاختبارات من حيث المظهر العام وفهمه للتعليمات وطريقته فى التحية والأسئلة .

(٢) يلاحظ عند تناول الطعام من حيث أحاديثه والنواحى التى تدور حولها وسهولة تعرفه بغيره ممن يتصل بهم .

(٣) يطلب من الشخص أن يلاحظ المبانى والأراضى والمواقع المحيطة بالمبنى ثم يسأل عنها بعض الأسئلة .

(٤) يمر المفحوص فى سلسلة من الاختبارات الموقفية منها أن يطلب منه التعاون فى نقل أحد الأجهزة الدقيقة من أحد شواطىء ترعة

عرضها حوالى ٨ أقدام إلى الشاطىء الآخر ، وأن يعود كل منهم حاملا بعض الأشياء الممكن إحضارها معه . . . وفى هذا يترك لهم حرية تنظيم أنفسهم فى العمل وتوضع أمامهم بعض الأدوات كالحبال والبكرات والبراميل وقطع الأخشاب والصخور ويلاحظ المفحوص أثناء اشتراكه فى هذه المهمة .

وموقف آخر يطلب فيه من المفحوص أن يقوم بالاشراف على اثنين من العمال المعهود إليهم بناء كشك صغير بالاستعانة بالأدوات والأخشاب الموجودة حولهم، ويهدف هذا الاختبار لمعرفة قدرته على التوفيق بين العاملين للتعاون فى العمل ويراعى فى اختيار العاملين أن يكون أحدهم كسولا خاملا ، وأن يكون الثانى ميالا للتعدى ومحبا للنقد وعدم تنفيذ الأوامر . . . ويلاحظ موقف المفحوص إزاء الشخصين وضبطه لانفعالاته وقدرته على تسيير دفة العمل . ثم يوضع المفحوص فى موقف القائد لجماعة أخرى عادية فى عمل معين لاختبار قدرته على القيادة .

وموقف آخر يطلب فيه من المفحوص أن يقوم بدور الفاحص بطريقة المقابلة بأن يقدم له جندى هارب من معسكرات الأعداء مثلا ليستجوبه عن المعلومات التى يعرفها عن الأعداء ، ليمكن الوقوف على قدرته على القيام بمثل هذا العمـــل ومبلغ ما يمكن أن يصل إليه من استنتاجات من مثل هذا الموقف .

(٥) يعطى المفحوص فرصة ١٢ دقيقة ليبتكر منها قصة خيالية ثم يتخذ من هذه القصة وسيلة لاستثارة انفعالاته بأن توجه إليه ؟ جملة أسئلة متوالية ومحرجة فيما يتعلق بهذه القصة فى مقابلة من نوع مثير Stress Interview . لمعرفة سرعة الانفعال وشدته وسرعة العودة للهدوء الانفعالى .

(٦) إجراء اختبارات مختلفة لتقدير الذكاء والاستعدادات الخاصة (المواهب) وكذلك بعض الفحوص الطبية البدنية والعصبية .

(٧) يعقب ذلك وضع المفحوص مع آخر فى حجرة استراحة حيث يهيأ فيها جو يشعره بالحرية فى التعبير عن حالته عقب ما مر به من اختبارات بحيث يتحدث عن رأيه بحرية كاملة فى مقابلة هادئة .

والصفات المطلوب اكتشافها فى كل الاختبارات السابقة ما يلى :

(١) القوة والحيوية والنشاط . (٢) الذكاء واستخدامه فعلا فيما يتعلق بالأشخاص والأشياء والأفكار (٣) الروح المعنوية والجدية والاهتمام بما يقوم الشخص به من عمل (٤) الاتزان الانفعالى والقدرة على التحمل وضبط النفس والخلو من الاضطرابات العصابية . (٥) الصفات الاجتماعية كحب التعاون وسهولة الاشتراك مع الغير (٦) القيادة وتحمل المسئولية والقدرة على التنظيم والإدارة (٧) الشعور بالأمن وعدم إذاعة الأسرار والتحفظ (٨) القدرة البدنية والجرأة وسلامة بنية الجسم . (٩) القدرة على الملاحظة وتسجيل نتائجها وتذكر التفاصيل والقدرة على عمل تقرير واف عن موضوع الملاحظة .

ويعطى المفحوص احدى مراتب الدرجات الآتية فى كل صفة من الصفات السابقة عند قيامه بكل اختبار وهى : صفر إذا كان ضعيفاً ، ٢ أقل من المتوسط ، ٣ أعلى من المتوسط ، ٤ متفوقا ، ٥ ممتازا .

وزيادة فى الدقة توضع الدرجات بالزائد أو الناقص مثل (٤ +) أو (٤ —) فيكون المقياس مكون من ١٢ درجة . ثم يعقد الفاحصون اجتماع عام لتبادل الرأى فى القياس والتفسير حتى يصلوا إلى حكم شامل عن كل مفحوص .

لا شك أن هذه الطريقة كلية وشاملة إذ تجمع بين طريقة بحث الحالات والمقابلة ومقاييس التقدير واختبارات المواقف المقننة والطريقة الاسقاطية وغيرها ، ولكنها غير اقتصادية إذ تتطلب كثيرا من الوقت والجهد والمال خصوصا او طبقت على عدد كبير من الأفراد . أما إذا طبقت على بعض الأفراد الذين يشغلون مراكز قيادية فى الجيش ، أو الأفراد الذين يقومون بعمليات فدائيـة ، أو استطلاعية ، فانها تكون ذات عائد كبير جدا ماديا ومعنويا (٢٨)

(٤) طريقة دراسة الحالة الفردية : Case Study Method

طريقة كلية شاملة من طرق دراسة الشخصية الغرض منها دراسة وتشخيص وعلاج المشكلات الفردية النفسية والاجتماعية أو دراسة مكونات الشخصية لذلك فهى شائعة الاستخدام فى العيادات النفسية وفى حقل الخدمة الاجتماعية فى ميادينها المختلفة : المدرسية ، الطبية ، الأسرية ، النفسية ، الأحداث المنحرفين ، الاعانة المالية وغيرها .

وأهم خصائص هذه الطريقة ما يلى :

(١) التطورية : حيث يوضح فيها التاريخ التطورى للحالة كيف نشأت وتطورت للوضع الحالى وكذلك أبعاد شخصية العميل ، حتى يمكن معرفة العوامل التى أثرت عليه فى الماضى والتى تؤثر عليه حاليا أو التى يحتمل تأثيرها فى المستقبل .

(٢) التتبعيـة : للتأكد من مدى فاعلية الخطة العلاجية المطبقة .

(٣) التعـاونية : وتتضح فى مشاركة كل المختصين سواء فى الدراسة أو التشخيص أو العلاج أو التتبع وهذا ما نجده فى العيادة النفسية بين الطبيب البدنى والطبيب النفسى والاخصائى النفسى والاخصائى الاجتماعى وغيرهم .

وكذلك فى مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث وغير ذلك من المجالات ، وهذه الخاصية التعاونية تعرف بطريقة الفريق Team Work .

(٤) الكليـــة : حيث يستعان فى طريقة دراسة الحالة بكل طرق دراسة الشخصية مثل قوائم التقدير والاختبارات والاستخبارات والمقابلات وغيرها.

ففى مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث مثلا يستعين الاخصائى الاجتماعى بنتائج الفحوص المختلفة البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية فى كتابة التاريخ الاجتماعى للحالة .

وتتضح الكلية أيضاً فى دراسة ظروف الفرد وبيئته معاً خاصة ظروف الأسرة ، وكذلك ظروف سكن العميل والجيرة الملاصقة لسكنه وبيئته المدرسية والمهنية ، والاطلاع على السجلات الخاصة بالعميل سواء بالمؤسسة التى تعالج الحالة أو المؤسسات الأخرى والاتصال بكافة مصادر المعلومات ... الخ .

وهذه الطريقة تتناسب مع نظرية المجال فى الشخصية القائمة على الفرض بأن الشخصية هى وحدة ديناميكية تتكون من حصيلة تفاعل قوى داخلية ذاتية جسمية وعقلية ونفسية ، وخارجية بيئية طبيعية واقتصادية واجتماعية .

(٥) طريقة التداعى الحـــــر Free Association

والتنـويم المناطيسى Hypnossis

من المقرر أن الإسترخاء بعد بذل الجهد من العوامل الميسرة للتذكر واسترجاع الماضى . فمن الملاحظ أن الانسان إذا استعصى عليه تذكر اسم شخص أو حادثة أو تاريخ وأصر على استرجاعه لم ينفع هذا الاصرار فاذا ترك هذه المحاولة وأعمل فكره فى موضوع آخـــــر أو استرخى

قليلا فان الاسم المنسى قد يقفز إلى الذهن من تلقاء نفسه . ومن هذا المنطلق بدأ فرويد تفكيره فى طريقة التداعى الحر لدراسة اللاشعور فى الشخصيات المتصدعة . إذ يطلب المحلل النفسى من المفحوص أثناء جلسات التحليل النفسى أن يضجع على أريكة وأن يسترخى حتى يتسنى له أن يطلق العنان لخواطره وأفكاره وأن يذكر كل ما يطرأ على ذهنه من ذكريات قديمة وصدمات انفعالية خاصة ما يتصل بالطفولة المبكرة .

وحيث أن الصراحة هى القاعدة الأساسية فى التعامل بالتحليل النفسى ، فيطلب المحلل من العميل أن يقول له كل شىء ، ليس فقط ما يستطيع أن يقوله برغبته وما من شأنه أن يريحه كالاعتراف ، بل يجب أن يقول أيضاً كل شىء آخر يخطر على باله ، وكل ما يجول بذهنه سواء أكان مخجلا أو مخيفاً أو مشينا أو خطرا أو عديم المعنى كلية أو حتى إذا بدى كأنه أمر غير هام .

فاذا استطاع العميل أن ينفذ هذه التعليمات وأن يوفر له المحلل هذا الجو السمح الحر المشجع على الإفصاح بالمشاعر والانفعالات المكبوتة بطريقة تلقائية ويمتنع العميل عن نقد نفسه لأمكنه أن يمدنا بكمية كبيرة من الأفكار والآراء والذكريات الموجودة فى اللاشعور أو التى تكون فى الغالب من مشتقاته المباشرة . ومن هذه العادة يمكن للمعالج أن يستنتج طبيعة المادة اللاشعورية كما يستطيع أن يطلع أنا المريض عما يدور فى لا شعوره فتخف حدة الصراع النفسى اللاشعورى لأنه يدخل فى دائرة الشعور وبالتالى يخضع للمنطق والإرادة والواقع بدلا من طبيعته الأولى الجبرية الشاذة .

وليس صحيحا أن أنا العميل يقبل أن يقدم للمحلل كل ما يطلبه من مادة فى طاعة وخضوع ، أو أنه يصدق تفسير المحلل له ويقبله تلقائيا إذ أن ظاهرة

التحويل Transference تعوق هذه العملية كثيرا ولكنها فى الوقت نفسه ذات قيمة تشخصية وعلاجية كبيرة . وفى التحويل يرى العميل فى محلله عودة أو تجسد شخصية آخرى هامة من شخصيات طفولته أو ماضيه، وقد يرتبط العميل معها بعلاقة الكراهية فيزيد مقاومته للمحلل ويقل افصاحه وصراحته ، أو قد يرتبط بالشخصية علاقة حب فيزداد تعاونه وحبه (وقد يتضخم الحب لدرجة الهوى والعشق أحيانا) ولكنه يكتسب أنا اعتمادى على المحلل وتضعف نزعات الاستقلال المطلوب .

وفى كلتا الحالتين (الحب والكراهية) يكون المريض قد أمد المحلل فى وضوح تام بجزء هام من مكونات شخصيته بما لا يستطيع أن يصرح به بوضوح فى غير تلك المواقف .

وهنالك نافذة أخرى يطل منها المحلل النفسى على اللاشعور وهى نافذة التنويم المغناطيسى إذ يصبح العميل تحت تأثير ايحاء المحلل بلا مقاومة عقلية أو بدنية فيكشف عن خلجات نفسه الشعورية واللاشعورية .

ولقد استطاع الطبيبان الفرنسيان برنهايم Bernheim (١٨٣٧ — ١٩١٩م) وليبولت Liebault (١٨٢٥ — ١٩٠٤ م) فى مدينة نانسى بفرنسا ، أن يكتشفا العلاقة بين الهستيريا (مرض نفسى) Hysteria والتنويم المغناطيسى ، وأن يكونا النظرية القائلة بأن كليهما يحدث نتيجة الايحاء . والهستيريا التحويلية اسم يطلق على جميع الاضطرابات البدنية والعقلية التى تطرأ على الانسان دون أن يكون هناك علل عضوية يمكن أن تسبب هذه الاضطرابات ، ومن أمثلة الأعراض الهستيرية فقدان القدرة على الابصار دون أن تكون هناك أية عاة ظاهرة بشبكة العين أو بالعصب البصرى أو بمركز الابصار فى المخ . وكذلك الشلل الذى يصيب جزء من البدن دون أن تكون هناك علة عضوية بالجهاز العصبى يمكن أن تسبب هذا الشلل .

وقد حار الأطباء فى أمر هذا المرض ولم يعرفوا كيف يفسرونه وكيف يعالجونه واستطاع ليبولت وبرنهايم أن يفطنا إلى الشبه بين الهستيريا والتنويم المغناطيسى ، واعتبروا الهستيريا نوعا من التنـــويم المغناطيسى الذاتى Self Hypnosis تنقسم فيه النفس إلى قسمين ، قسم يلعب دور المنوم فيتلقى منه القسم الآخر الأوامر بانتحال الأعراض المرضية للتخلص من مآزق الواقع المؤلم والصراع النفسى العنيف المعلق الذى لم يستطع الفرد حله أو تجنبه أو تقبله .

والنوم المغناطيسى نوم صناعى يحدث عن طريق أمر ايحائى من المنوم للعميل بأن يسترخى جسمياً إلى أقصى حد ويركز الانتباه فى مجال ضيق من الأشياء ، قد تكون منبهات سمعية أو بصرية (صوت جرس متكرر أو مصباح كهربائى متحرك . . . الخ) لفترة معينة .

ومن المقرر علميا أن الانسان يميل للنوم إذا تعرض سمعه منبه متماثل فترة طويلة نسبياً . ويحدث ذلك مثلا عندما يكون الفرد مسافرا فى قطار ويتعرض سمعه لصوت عجلات القطار لفترة طويلة وبشكل متماثل فيميل للنوم خاصة لو كان فى حالة استرخاء جسمى على كرسى مريح فى القطار وانعدمت مشتتات الانتباه من أصوات الباعة وغيرهم . ولذلك تكون حجرة المنوم معزولة تماما عن العالم الخارجى . ويزداد ميل العميل للايحاء كلما أتعبه المرض الجسمى والنفسى ، أو كان ذكاؤه ضعيفاً ، أو زادت حساسيته الانفعالية ، أو وقع تحت تأثير شهرة المعالج وزادت ثقة العميل به وفى قدرته على الشفاء وأخذ اليأس من العميل مأخذه بحيث يصبح كالغريق الذى يبحث عن قشة لتنجيه من الغرق . والايحاء فى جوهره ما هو إلا ميل الفرد لأن يصدق كل ما يقال له من الغير دون ترو أو نقد .

ومن أهم خصائص النوم المغناطيسى ما يلى :

(١) تضخم قابلية النائم للتذكر والايحاء تضخماً كبيرا فان وضع المنوم فى يد النائم عود ثقاب وأوحى إليه أن وزن العود يزداد رويدا رويدا تخاذلت يد النائم حتى لا يستطيع حمل عود الثقاب . (٢) أن ينفذ النائم بدقة بعد استيقاظه ما أوحى إليه المنوم به وينسى كل ما حدث له أثناء النوم (٣) لا يستجيب النائم لصوت أحد إلا صوت المنوم فقط .

ويستغل المنوم هذه الخصائص فى أن يأمر العميل بأن يكشف عما حدث له خاصة فى طفولته فلا يقاومه سواء كانت هذه الذكريات مخيفة أو مشينة أو مؤلمة وبالتالى يمكن للمعالج دراسة اللاشعور . أو أن يأمره بالكف عن الأعراض العصابية فيقلع المريض عنها ولكنه يصبح معتمدا فى علاجه بعد ذلك على المعالج مما حمل فرويد عن الاقلاع عن استخدام التنويم المغناطيسى فى العلاج النفسى وابتداعه طريقة التداعى الحر .

(٦) طريقة دراسة الأحلام Dream Analysis

لنرجع للحالة رقم (٢) المذكورة سالفاً فى نظرية التحليل النفسى . تصف العميلة ما شاهدت فى أحلامها : (. . . بدأت مشكلتى عندما لاحظت أنى أصبحت أحلم كل ليلة أكثر من عشرة أحلام ملخصها جميعاً أنى لست عذراء ، وتطورت الأحلام فأصبحت أحلم أنى عارية تماما أمام والدى وأن والدى ينظر إلى نظرة اشتهاء غريبة . . . . ثم ذكرت العميلة واقعة مؤداها أن فتاة كبيرة قد فعلت معها شيئا قبيحا جدا بالرغم من صغر سنها » .

وهكذا كشف هذا الحلم عن المخاوف اللاشعورية المكبوتة فكانت

العميلة تحلم أحلاما متكررة بأنها ليست عذراء نتيجة الصدمة الانفعالية التى حدثت لها من جراء الاعتداء الجنسى عليها من فتاة تكبرها سنا فى الطفولة المبكرة . وكذلك كشف الحلم عن الدوافع اللاشعورية المكبوتة نتيجة إصابة العميلة بعقدة الكترا وتعلقها الجنسى اللاشعورى بأبيها .

وقد يكشف الحلم عن المخاوف والرغبات والعداوات المكبوتة اللاشعورية بشكل رمزى وليس بشكل صريح كما سبق وذلك لحماية النوم وراحة النائم لأن الرغبات المحظورة لو ظهرت عارية لأزعجت النائم وأيقظته . فقد يحلم الشاب الذى يحمل لأبيه كراهية لا شعورية بأنه يقتل ثعبانا أو حيوانا ضاريا أو يصارع رجلا من ذوى السلطة كأحد رجال الشرطة . أو يرى الشخص الذى يشتهى أحدى السيدات من محارمه أنه يتصل جنسياً بخادمة فى نفس حجمها وصفاتها . والزوج الذى يشعر بعجـزه عن ارضاء زوجته جنسياً قد يحلم بأنه يجرى وراء قطار وعبثا يحاول أن يلحقه . والمدفوع بعقدة الذنب والدافع اللا شعورى لعقاب الذات يحلم أنه ارتكب حادثة فى سيارة ونقل للمستشفى أو أنه سقط من مرتفع شاهــق .

وبعد دراسة ألف حلم للمصابين بأمراض نفسية نشر فرويد نظريته عن الأحلام فى مطلع هذه القرن وبين أن الاحلام بوجه عام هى إشباع رمزى لرغبات ومخـــاوف وعداوات مكبوتة ،وإن كان سبقه قبل ذلك بعدة قرون الطبيب العـــربى الكبير أبو بكر الرازى فى كتابه الطب المنصورى فى فائدة الأحلام فى التشخيص والعــلاج . فالأحلام إذن تؤدى دورا هاما فى المحافظة على الصحة الحسمية والعقلية وهى وسيلة من وسائل إعادة التوازن النفسى عن طريق الاشباع الرمزى للرغبات المكبوتة أو الرغبات التى لا يمكن

إشباعها فى حالة الصحو ، والأحلام وسيلة من وسائل التنفيس أو استئناس للرغبات غير المشبعة الكامنة فى اللاشعور . وليس الحلم فى نهاية الأمر غير حل وسط ومحاولة للتوفيق بين الرغبات المتصارعة، الرغبات اللاشعورية التى تريد أن تظهر فى الشعور والمقاومة التى تريد كبتها ومنعها من الظهور فى الشعور . فالفرد المدفوع برغبات جنسية تتصل بقريبة من المحارم يحلم بالاتصال الجنسى بأى أمرأة أخرى مجهولة الشخصية ولكن فى نفس حجم وشكل القريبة الأولى . وهذا التحريف أو التبديل فى موضوع الدافع المكبوت والقوة الكابتة أو المقاومة التى تحول دون ظهور الرغبة المحرمة هو الذى يجعل النائم يستمر فى النوم ولذلك ذكر فرويد أن الأحلام هى حارسة النوم وأنها الطريق السلطانى للوصول إلى اللاشعور .

كما وضح فرويد أن الأحلام ظاهرة سيكلوجية فى المقام الأول لها غرض وهدف أى لها وظيفة معينة تؤديها كما أن لها دلالة نفسية ولها معنى وقدم لها تفسيرا مقبولا بربط الأسباب والمقدمات بنتائجها ، أى حتمية سببية بعيدة عن الصدفة ، فلا مصادفة فى دنيا النفس . وليست الاحلام كما يقال هلاوس كهلاوس الحمى التى تظهر الذكريات المختزنة ، وليس لها أى قوة غيبية أو تنبؤية .

وتشترك أحلام اليقظة مع أحلام النوم فى أنها تنفيس وإشباع خيالى لرغبات استحال اشباعها فى الواقع . ولكن أحلام اليقظة أكثر اتصالا بشعور الفرد ، وأحلام النوم أكثر اتصالا بالمواد اللاشعورية .وتضعف رقابة العقل عادة أثناء النوم كما تضعف المقاومة التى تكبت الرغبات اللاشعورية ولكن لا ينفصل وعى الفرد عن الواقع انفصالا تاما ، فالأم تنام نوما عميقاً غير واعية لصوت السيارات والترام والضوضاء فى الخارج ولكنها تصحو فى

الحال عند سماع انين طفلها ، مما يدل على أن بعض أجهزة المخ تظل فى حالة نشطة لالتقاط مثل هذه المنبهات المنتقاه مما يثبت أن النوم له صلة بدوافع النائم الهامة وهنا يبرز دافع الأمومة .

والنوم الذى تصحبه أحلام هو النوم النقيضى Paradoxical Sleep وهو الذى يصحبه حركات العين السريعة مما يدل على أن النوم فى هذه الفترة يكون خفيفاً ويصاحب حركات العين السريعة فى رسم المخ الكهربائى تموجات سريعة وقصيرة تظهر فى شريط رسام المخ على هيئة أسنان المنشار .

وتشير الأبحاث الحديثة فى مجال اضطراب النمو والأحلام على الصلة بين هذه الاضطرابات بالعلل العضوية والموضوعات النفسية ، فكابوس النوم والفزع الليلى Nightmares and Night Terrors قد يكون سببه التهابات الحلق أو امتلاء فى المعدة أو تعاطى كمية كبيرة من عقار Tryptophane وهو أحد الأحماض الأمينية وأحيانا بعد أخذ العقاقير المنومة أو المطمئنة .

كما قد يحدث الكابوس وفزع الليل عند الأطفال من قراءة القصص أو مشاهدة الروايات المخيفة أو خوف الطفل من قسوة الوالدين أو من صراع شديد ناتج من اختلاف شديد فى طباع الوالدين أو قسوة وعنف أحدهما ويعتقد فرويد أنه ينتج من رؤية الطفل للجماع بين والديه وما يحدث فى نفسية الطفل من أثر ذلك . وكثرة النوم Somnolence والأحلام غير السارة قد تكون عرضا لبعض الأمراض البدنية مثل نقص الفيتامينات أو الحمى المخية أو الالتهاب السحائى أو تعبيرا عن صراع نفسى وفى هذه الحالة يكون النوم نوعا من أنواع النكوص الذى يجعل الفرد بعيدا عن آلام الحياة الخارجية . وكذلك شلل النوم Sleep Paralysis وما يصحبه من أحلام مفزعة وهى حالة

من فقدان المقدرة على الحركة تنتاب النائم وهو بين النوم واليقظة تستغرق من ثوانى إلى دقائق ولكن الثوانى تمر ببطء شديد ، وكذلك قفزات النوم Startling وهى تحدث عند بداية النوم، ويحلم المريض أنه يسقط من مكان مرتفع وتنتفض كل عضلات جسمه ، والجوال الليلى Sleep Walking ويقصد به السير أثناء النوم ويسير النائم أحيانا مغلق العينين وأحيانا تكون عينيه مفتوحة بل وأحيانا يرد على بعض الأسئلة ، وقد لوحظ أن البعض يحاول الانتحار أو الاعتداء على الغير أثناء نومه نظرا لنشاط دوافعه العدوانية والتكفيرية وضعف الرقابة العقلية فهو شبه نائم . وهذه الحالة تدل على وجود صراع نفسى لا تظهر أعراضه إلا أثناء النوم نظرا لقوة الحيل الدفاعية النفسية أثناء اليقظة، ويعتبر الجوال الليلى أحد أعراض الهستيريا ، والاعتقاد الشائع بين الناس أن ايقاظ هؤلاء المرضى خطأ ولكن هذا غير صحيح ، والأرق وما يصحبه من أحلام متقطعة أو غير سارة يصاحب بعض الأمراض النفسية والعقليـة فالاكتئاب النفسى يصطحب بأرق فى أول الليـل ونوم فى الصباح ، أما مرضى الاكتئـاب العقـلى (ذهـان) فتجدهم ينامون فى أول الليل ويستيقظون حوالى الثالثة أو الرابعة صباحا ولا يستطيعون العودة للنـوم ثانية ومعظم الأعراض السابقة لا تدل على اضطراب إذا كانت عارضة أما إذا استمرت وتكررت طويلا فتشير إلى حالات وأمراض نفسية .

(٧) المقـــابلة Interview :

الأرقام لا تتحدث عن نفسها ، والاختبارات أو الاستخبارات أو موازين التقدير وغيرها من مقاييس الشخصية لا تعطينا سوى أرقام ، والأرقام لا تدلنا على تركيب الشخصية .

نفس الحال فى الطب فمقياس الحرارة (الترمومتر) أو مقياس الضغط لا يعطى سوى أرقام ويحتاج الأمر لعملية تشخيص من الطبيب لمعرفة نوع المرض المصاب به العميل.

وعملية التشخيص فى الطب يقابلها فى علم النفس الحكم على شخصية الفرد أى تحديد أبرز سماته التى تميزه عن غيره من الآخرين وأسلوبه فى حل مشاكله وعلاقاته مع نفسه ومع الغير ، وهذا لا يتأتى إلا بالمقابلة

ويرى كثير من علماء النفس والخدمة الاجتماعية أن المقابلة لا تعد لها طريقة أخرى من طرق دراسة الشخصية فهى خير وسيلة للجمع بين العمليات المستمدة من كافة طرق دراسة الشخصية السابقة تمهيدا لإصدار الحكم الأخير على الشخص.

والمحور الرئيسى سواء فى العلاج النفسى أو الخدمة الاجتماعية هو تكوين علاقة متبادلة وثيقة بين فردين ، وهذه العلاقة ترمى إلى هدف إذ يقوم فيها أحدهما وهو المعالج النفسى أو الاخصائى الاجتماعى بحكم مرانه وخبرته على مساعدة الشخص الآخر وهو العميل حتى يغير من نفسه ومن بيئته ووسيلة هذه العلاقة الرئيسية هى المقابلة وجها لوجه بين الاخصائى والعميل ويتم التفاعل اللغوى فى هذه المقابلة.

وعلى ذلك فالمقابلة عبارة عن اجتماع بين الاخصائى والعميل أو غيره وجها لوجه وبغرض دراسة وتشخيص وعلاج مشكلة يعانى منها العميل وتكوين صورة عن تكوين وتطور شخصيته.

وقد يقابل الاخصائى الاجتماعى العميل بالمؤسسة الاجتماعية أو بالعيادة النفسية أو يقابله فى منزله ويطلق عليها الزيارة أو يقابل مصادر المعلومات من المتصلين بالعميل ، وقد تكون المقابلة للبت فى قبول طلب العميل ، أو

أثبات استحقاقه لخدمات المؤسسة ، أو مقابلة دراسية أو تشخيصية أو علاجية أو مزيج من كل ذلك . وقد تكون المقابلة فردية تجمع بين فاحص ومفحوص واحد ، أو جماعية فيها أكثر من فاحص ، والمقـابلة الجماعية تتيح فرصة للاستفادة بخبرات وثقافات متعددة كما تمدنا بأحكام متعددة عن مفحوص واحد مما يقلل من قصور الحكم الفردى فى التحيز . وهناك المقابلة المقيدة أو المقننة Structured Interview ، وهى المحددة بأسئلة مباشرة معدة سلفاً فى ضوء دراسة المشكلة التى يعانى منها المفحوص ، أو تكون مقيدة باعطاء اختبارات نفسية معينة ، أما المقابلة الحـــرة Unstructured Interview فتسير فيها المناقشة سيرا طبيعيا دون قيود ، والمعلومات التى يريدها الفاحص تؤخذ بطريقة غير مباشرة دون شعور المفحوص بذلك أثناء الحديث ،واذن هى تتصف بالتلقائية والتعديل والمراجعة فى المعلومات التى يدلى بها المفحوص .

ولكل من المقابلة المقيدة والحرة مميزات وعيوب :

فمن مميزات المقابلة المقيدة أنها توفر الجهد والوقت وتحمى المقابلة من التفرع والتشتت وتسهل جمع المعلومات الضرورية وتسمح بمقارنة إجابات الأفراد المختلفين على نفس الأسئلة . ومن عيوبها أنها لا توفـــر جوا طبيعياً للمفحوص مما يؤثر على أجابته ولا تتيح له فرصة فى الإدلاء بمعلومات إضافية هامة من وجهة نظره .

ومميزات المقابلة الحرة أنها تسمح بتوثيق العلاقة والتجاوب أو التآصر بين الفاحص والمفحوص ، وتسمح بأكبر قدر من الصراحة والمكاشفة والتفريغ الانفعالى والاستبصار نتيجة المناقشة الهادئة التدريجية ، ومن عيوب المقابلة الحرة أنها لا تسمح بمقارنة اجابات الأفراد وتحتاج لخبرة ومران

طويل وإلا كانت مضيعة للوقت والمجهود ، والمقابلة الحرة فيها مجال أكبر لاسقاط عيوب الفاحص على المفحوص خاصة الدوافع المستكرهة للنفس وللناس المكبوتة ، وكثيرا ما يبالغ فى تقدير هذه السمات المعيبة عند من يحكم عليهم . والانطباعات الأولى للفاحص من السهل تعميمها على باقى صفات المفحوص فان كانت الملاحظات الأولى تشير بأن المفحوص قلق أو متسرع مال الفاحص إلى وصف المفحوص ككل بالتسرع والقلق . كما أن الفكرة العامة أو الشائعة عن المفحوص سواء أكانت سلبية أو إيجابية ينزع الفاحص إلى تعميمها على جميع صفات المفحوص بصرف النظر عن طبيعتها الفعلية وتعرف هذه الحالة بخطأ الهالة .

وهناك نوع آخر من المقابلات يسمى بمقابلات التأزم (Stress Interview وهى ترمى أساسا إلى الكشف عن قدرة المفحوص فى التحكم فى انفعالاته أو تحمل الضغط الذهنى الشديد ومدى سرعته فى العودة إلى الهدوء والاتزان بعد زوال المؤثر ، وتضم عدة طرق لتحقيق هذا الغرض ، فقد يطلب من الشخص أداء عمل معين وبصرف النظر عن مستوى الأداء ينتقده الفاحصون عمـدا بشدة وبألفاظ محرجة ، ثم يطلبون منه أداء عمل آخر وبصرف النظر عن مستوى الأداء يثنون عليه ويمدحونه ، ومن خلال هذه العمليات يلاحظ سرعة الانفعال وشدة الانفعال ومدة الانفعال وسرعة العودة إلى الاتزان والهدوء.

وأحيانا يسلط على وجه المفحوص ضوء شديد ولا يسمح له بادارة وجهه بعيدا عن الضوء ثم توجه له سلسلة من الأسئلة السريعة المحرجة غير المنتظره ويطلب منه الاجابة دون تمهل وإلا عنفوه وبعد حوالى (١٠) دقائق يأمروه بالانصراف ، بعد أن يكون الفاحصون قد قدروا له درجة أثناء المقابلة فى النواحى الانفعالية السابقة .

ص ومجمل القول ، بأن المقابلة وسيلة فعالة وضرورية للتأليف بين المعلومات التى تجمع من الفرد من مصادر مختلفة ، كما أنها ضرورية كأداة للحكم على الفرد فى جملته بعد أن تكون الاختبارات والاستخبارات المختلفة قد تناولته من زوايا خاصة ، فضلا عن أن المقابلة تعيننا على التحقق من صحة المعلومات والاجابات التى نشك فيها ، كما أنها تزودنا بمعلومات عن الفرد لا تعطيها الوسائل الأخرى ، زد على ذلك أن اختبارات الشخصية لا تزال على درجة ليست عالية من الصدق والثبات والتقنين مما يحتم علينا الالتجاء للمقابلة (٢٠) .

ولأن المقابلة أكثر من مجرد حديث بين الفاحص والمفحوص فانها تتيح فرصة لملاحظات التعقيدات الوجهية ، وحركات الجسم ونبرات الصوت التى لها مدلولا انفعاليا ، كما تتيح فرصة لملاحظة الصوت المفاجىء وذلات اللسان والقفز من موضوع لآخـــــر والتردد وتكرار العبارات الخاصة مما يلقى الأضواء على مشكلة المفحوص (فرصة لفهم وتأويل الحيل النفسية اللاشعورية) أو مكونات شخصيته . وغالباً ما نجـــد أن لكل مقابلة بداية ونهاية ووسط ، وتخصص غالبا بداية المقابلة لتوفير الجو الودى بين الفاحص والمفحوص (التآصر) ولتوضيح أغراض المقابلة ، ويوجه وسط المقابلة لجمع البيانات أو استكشاف الحلول المختلفة للمشكلة أو استكشاف أبرز سمات الشخصية التى تميز المفحوص عن الآخرين ، وفى النهاية يلخص الفاحص فيها النقاط الأساسية .

الآراء المختلفة فى تفسير استواء الشخصية واعتلالها

فهم معنى السواء والشذوذ فى الشخصية الانسانية ليس بالأمر السهل نظرا لاختلاف التخصص التعليمى لمن يحكم على الشذوذ والسواء من جهة، واختلاف ثقافة كل مجتمع عن آخر من جهة أخرى، علاوة على تداخل الشذوذ فى السواء كما تتداخل فصول السنة دون تحديد الحد الفاصل بينهما.

فالأطباء البشريون يفهمون استواء الشخصية واعتلالها فى ضوء الإصابة بالمرض الجسمى أو البرء منه. فى حين نجد النفسيون يركزون على الإصابة بالصراع النفسى غير المحسوم أو القدرة على حله، والاجتماعيون يرون أن الأمراض الاجتماعية هى السبب فى الشذوذ كالصراع الطبقى والدينى واللونى أو جمود العادات والتقاليد، والسياسيون يركزون على علاقة الحاكم بالمحكوم هل هى ديمقراطية أو دكتاتورية أو سائبة، ففى حالة العلاقة الدكتاتورية يحدث استواء الشخصية وفى حالة العلاقة الدكتاتورية أو السائبة الفوضوية يحدث اعتلال الشخصية، والقانونيون يركزون على الخروج على القانون أو التوافق معه كأساس فى الحكم على الشذوذ والسواء، ورجال الدين يركزون على المسايرة أو التصادم مع المعـــايير الدينية، والاقتصاديون يركزون على عدالة أو ظلم توزيع الثروة، وعلى مستوى الدخل والخدمات الذى يحصل عليه الفرد، فبزيادة الدخل والخدمات تستوى الشخصية وبقصور الدخل والخدمات تعتل الشخصية. وهكذا يلعب التخصص التعليمى للدارس دورا رئيسياً فى فهم الشذوذ والسواء فى الشخصية الانسانية

وعامل آخر يتدخل فى فهم معنى السواء والشذوذ هو ثقافة المجتمع .. فغشاء البكارة مثلا أمر لا أهمية له عند الرجل أو المرأة الأمريكية أو

الأوروبية . والعكس بالنسبة للرجل الشرقى العربى المتـــدين — غير المتأمرك — لإختلاف المعايير الثقافية الأمريكية والعربية . وحتى الحكم يختلف فى المجتمع الواحد من وقت لآخر . فالمرأة غير المحجبة أمر عادى ومقبول اليوم فى مصر . فى حين أن رفع الحجاب عن الوجه قبل خمسين سنة يعتبر شذوذا فى شخصية المرأة المصرية .

وتداخل الشذوذ فى السواء أمر يجعل الحكم عسيرا أيضا . فالشخص العادى ذو الشخصية السوية بكل المقاييس قد يتصرف كالمجنون عند الغضب العنيف الطارىء أو السرور الزائد عن الحد . وكذلك الشخص المجنون الذى لا يعرف اسمه أو الزمان أو المكان قد يتحدث بمنتهى الحكمة والهدوء لفترة . ثم يعود لذهانه خاصة بعد أخذ الصدمة الكهربائية . لذلك يقال إن الشذوذ أو السواء هو اختلاف فى الدرجة لا فى النوع .

والموقف الآن إزاء هذا التصادم فى الآراء هو البحث عن رأى مشترك يرضى جميع الآراء المتصارعة إرضاء متزنا ، أو رأى يرضى جميع الحكام على اختلاف تخصصاتهم التعليمية واختلاف ثقافتهم . أو البحث عن قاعدة صلبة فى فهم السواء والشذوذ صامدة فى الدفاع عن نفسها أمام النقد على أساس المنطق والتجربة العلمية ، وتعطى صورة شاملة عن حالات الاعتلال والسواء ، ونعرض فيما يلى الآراء المختلفة فى هذا الموضوع .

(١) الرأى المثالى :

يرى أن الشخصية السوية هى التى وصلت لحد الكمال الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى ، والشخصية الشاذة هى البعيدة عن الكمال . وبتطبيق هذا الرأى نجد أن أغلبية الناس شواذ الشخصية والقليل جدا منهم — إن وجدوا — هم الأسوياء وهذا أمر يخالف المنطق والواقع . وصدق رسول الله

صلى الله عليه وسلم بقوله (كل بنى آدام خطاء . والتوابون خير الخطائين) .

(٢) الرأى المرضى :

يرى أن الشخصية السوية هى التى لايظهر فيها على صاحبها أى انحراف نفسى يجعله خطرا على نفسه أو على الناس . والعكس فى الشخصية الشاذة .

وهذا الرأى يتصف بالحكم الموضوعى إذ يمدنا بمعيار يمكن ملاحظته بواسطة الغير وهو السلوك الخطر أو السلوك المتوافق ، والسلوك الخطر للنفس أو الغير هو أساس الشذوذ فى الشخصية ، ووالسلوك المتوافق هو أساس الاستواء .

ولكن العيب فى هذا الرأى هو عدم الشمول ، إذ ينطبق على فئة قليلة من الحالات المرضية الشاذة دون سائر الحالات . فالإجرام خطر على الغير ، والانتحار خطر على النفس لذا فهو اعتلال فى الشخصية دون شك . ولكن هناك عديد من أنماط الشخصية لا تعتبر شاذة طبقاً لهذا الرأى فى حين أنها تتضمن انحراف نفسى صريح . فالشخصية المصابة بعصاب القهر مثلا — وهذا انحراف نفسى لا نقاش فيه — تعتبر سوية فى هذا الرأى على أساس عدم وجود الخطر . فالوسواسى الذى يخاف خوفا زائدا عن الحد من التلوث أو المرض ، أو يعد سلالم المنزل أو أعمدة المصابيح عدة مرات خوفا من الخطأ أو النسيان ، أو يغسل يده عدة مرات لا تقل عن عشرين مرة عند السلام على الغير ، أو يغسل الصابونة بالصابونة عدة مرات لنظافتها جيدا . هذه الأعراض ليس فيها خطر على النفس أو الغير ولكنها شاذة دون شك .

(٣) الرأى القانونى :

يرى أن الشخصية السوية هى التى يسلك صاحبها على نحو يقره القانون ،

والعكس مع من يتصادم سلوكه مع القانون . والعيب فى هذا الرأى رغم موضوعيته أيضاً ، هو عدم الشمول لكل الأفراد أو كل الظروف أو كل المجتمعات ، لذا فهو رأى نسبى يتوقف على الظروف والمواقف .

فنى بعض الظروف البيئية الفاسدة يكون القانون فيها جائراً ظالماً والثورة على القانون الجائر لتحقيق العدل والسلام أمر مرغوب فيه وليس فيه أى شذوذ كما يدعى هذا الرأى .

كما أن تجريم السلوك أمر يتوقف على ثقافة المجتمع فالربح الفردى فى المجتمع الرأسمالى فضيلة يحميها القانون ولكنه رذيلة ضد القانون فى المجتمع الشيوعى .

وما يقال فى هذا الرأى ينطبق على الرأى الاجتماعى والثقافى الذى يتخذ من التوافق مع النظام الاجتماعى أو الثقافى القائم معيارا للاستواء ، والتصادم مع النظام معيارا للاعتلال فى الشخصية .

(٤) الرأى الاحصائى :

يرى هذا الرأى أن الشخصية السوية هى الشائعة أو المتوسطة أو العادية ، أما الشخصية الشاذة هى المنحرفة عن المتوسط بدرجة كبيرة . أى تخرج عن مستوى الاعتدال الذى يقع فى وسط توزيع تكرارى لعينة كبيرة من الأفراد حيث نجد الشذوذ فى طرفى التوزيع بين أقصى درجات الانحراف وأقل درجات الانحراف .

فالعمالقة والأقزام شواذ فى حين أن متوسطى الطول معتدلين ، والعباقرة وضعاف العقول شواذ والمتوسطين هم المعتدلين ، والانفعال الشديد جدا أو البسيط جدا شذوذ أما الانفعال المتوسط هو المعتدل وهكذا .

ومحاسن هذا الرأى يمكن حصرها فيما يلى : (١) مراعاة التدرج

بعيد ، دائما وغالباً ونادرا ونادرا جدا ، أو انحراف نفسى شديد أو متوسط أو خفيف . . . الخ وفى كل حالة يمكن أن تقاس درجة البعد عن المتوسط فى صورة كمية أو رقمية ،(٢) الموضوعية أى يعطينا شيئا يمكن ملاحظته وقياسه ، والشيء المقاس لا يختلف باختلاف الباحثين أو الحكام .

وأهم عيوب هذا الرأى : ما يلى : (١) يمكن تطبيقه على الصفات الانسانية التى يمكن قياسها بوحدات ثابتة كالطول والذكاء والقوة الجسدية . . . الخ ، ولكن هناك صفات من الصعب قياسها كالسلوك الجنسى مثلا ، (٢) اعتبار أن الذكاء الشديد أو العبقرية شذوذ وهذا المنطق لا يستسيغه بعض علماء النفس ، (٣) التطابق بين سمات فى الشخصية تتشابه فى المظهر ولكنها تختلف فى الأسباب ، فالميل للسيطرة قد يتساوى عند فردين فى الدرجة ، ولكن الأسباب مختلفة تماما ، فالسيطرة فى الأول قد تكون بدافع حب التملك ، والسيطرة فى الثانى قد تكون بدافع الانتقام .

(٥) الرأى التكامل أو الطبنفسى :

يرى هذا الرأى أن استواء أو اعتلال الشخصية لا يرجع لعامل واحد ذاتى أو بيئى ، ولكن لعدة عوامل متفاعلة ذاتية جسمية نفسية عقليـــة وبيئية مادية واقتصادية واجتماعية مع اختلاف الأهمية النسبية لكل عامل فى كل حالة على حدة وأن كل عامل يؤثر فى الآخر ، فالعامل الذاتى يؤثر فى البيئى والعكس صحيح ، والعامل الجسمى يؤثر فى النفسى والعكس صحيح .

كما يرى هذا الرأى أن العـــامل المشترك فى الانحـــراف النفسى فى كل الثقـــافات والمجتمعات هـــــو الصراع النفسى اللاشعـــورى القديم الذى أيقظته الظروف البيئية الجديدة المؤلمة ، أو أن الانحراف النفسى يكون أساسه قصور فى الجهاز العصبى بفعل عيب وراثى كالضعف العقلى أو عيب مكتسب كالتسمم الكحولى أو التلوث الميكروبى .

وأقسى أنواع الصراعات النفسية اللاشعورية هو ما يرجـــع إلى تربية أسرية خاطئة أو صدمة انفعالية فى الطفولة المبكرة . هذا الصراع النفسى يجعل الاستعداد الشخصى للجريمة أو للاصابة بالمرض النفسى أو العقلى كبيرا حتى لو كان الاحباط فى الكبر صغيرا . فمن تربى فى ظل التقييد الزائد عن الحد فى طفولته ينشأ مستعدا للثورة على القانون فى كبره أكثر من غيره خاصة لو كانت وراثته شاذة أو أن جهازه العصبى به تلف . ومن كانت تربيته مرعبـــة ، أو حارمة أو خالية من الحب ، أو ظالمة تفتقر للعدل بين الإخوة ، أو متزمتة تثير عزاب الضمير لاتفه الأسباب ينشأ ميالا للاصابة بالمرض النفسى أو العقلى او أثقلت الدنيا عليه بهمومها بعد ذلك حتى لو كانت هذه الهموم يحتملها أى فرد عادى .

ان القلب المحروم من الحب يفتح الباب لأول طارق حتى لو كان طارقاً شاذا ،والنفس المعذبة المقيدة بسلاسل الأوامر والنواهى الأسرية الزائدة عن الحد تواقة لأى نسمة من الحرية حتى لو كانت حرية فوضوية .

هذا الرأى يتمتع بقبول عام لدى كثير من العلماء لأنه جمع بين عدة عوامل جسمية ونفسية وعقلية ومادية واجتماعية واقتصادية ولم يتغـافل الوزن النسبى لأى عامل فى كل حالة فردية .

وبرغم ترجيح الرأى الطبى (تلف فى الجهاز العصبى) والرأى النفسى (صراع لا شعورى) على أساس أنهما يكونان الاستعداد الشخصى أو الحساسية للانحراف النفسى إلا أنه لم يغفل أثر العوامل البيئية المادية والاجتماعية والاقتصادية كمثيرات للعوامل النفسية ، إذ يندلع فى أعقابها الأمراض النفسية والعقلية الشائعة فى جميع المجتمعات كأبرز ما يدل على انحراف الشخصية وتفككها .

مبادىء تشخيص اعتلال الشخصية الانسانية

التشخيص فى علم النفس عبارة عن صورة وصفية توضح العلاقة بين أعراض الانحراف النفسى وأسبابه مع بيان الوزن النسبى لكل سبب من الأسباب وبعبارة أخرى هو توضيح كيف تفاعلت العوامل الذاتية جسمية وعقلية ونفسية مع العوامل البيئية مادية واقتصادية واجتماعية حتى حدثت أعراض المشكلة الحالية .

وقد تكون هذه العوامل وهمية تنبع من خيال العميل أو حقيقية تنبع من الواقع ، فقد يتوهم العميل مرضاً يعزو إليه فشله الدراسى ، وقد يكون هناك مرض جسمى كحقيقة موضوعية تثبتها الاختبارات الطبية .

وقد تكون الدوافع شعورية أو لاشعورية . فالفرد يأكل مثلا لأنه يشعر أنه جوعان ، هنا دافع الجوع شعورى . وقد يأكل الفرد بنهم قهرى رغم كراهيته البدانة الزائدة عنده ، ويكشف التحليل النفسى أن هذا المريض قد استخدم الإرضاء الحسى كبديل للارضاء النفسى المحروم منه . أى أن الأكل الزائد عن الحد قد استخدم كتعويض للحرمان من الحب المفقود . وهنا لا يشعر الفرد بوجود دافع الحب المفقود فهو مكبوت لا شعورى ، ولا يدرك صلة هذا الدافع اللاشعورى بسلوكه الشاذ المتصل بالافراط فى تناول الطعام فهو رغم كراهيته فعل ذلك .

وغالبا ما يحدث الانحراف النفسى نتيجة تضافر عدة عوامل لا بسبب عامل واحد ، ولكن هذا لا يمنع من أن يبرز أثر عامل واحد عن العوامل الأخرى مما يجعل التركيز فى العلاج ينصب على هذا العامل أكثر من غيره

فقد يسرق الحدث الطعام نظرا لأنه مصاب بدودة شريطية تدفعه لمزيد من الطعام لا تملكه يداه . وهنا يبرز العامل الجسمى عن

العوامل الأخرى ونركز عليه فى العلاج أكثر من غيره . وقد يسرق الحدث رغبة فى تشويه سمعة عائلته والإضرار بها بسبب دوافع عدوانية لا شعورية تدفعه للانتقام من أسرته التى صدته وحرمته وأهملته . وهنا يبرز أثر العوامل النفسية دون سواها . وقد يسرق الحدث ساعة والده ويبيعها لأن والده شديد التقتير والبخل وهنا يبرز أثر العامل البيئى الاجتماعى أكثر من غيره وهكـــذا .

ويختلف التشخيص فى علم النفس عن التشخيص فى الطب البشرى ، فالتشخيص فى الطب عبارة عن (كلمة تشخيصية) ، أما التشخيص فى علم النفس يكون فى صورة (عبارة وصفية) . فحينما يسفر الفحص الطبى مثلا أن فردا يشكو من صداع ورشح بالأنف وارتفاع فى درجة الحرارة تشخص الحالة المرضية بكلمة واحدة هى : (إنفلوانزا) ، أما فى علم النفس فالتشخيص يكون عبارة وصفية توضح كيفية تفاعل العوامل الممهدة والمعززة والمعجلة حتى أدى ذلك للانحراف النفسى .

ويختلف التشخيص فى علم النفس أيضاً عن التشخيص فى الخدمة الاجتماعية . فالتركيز فى تشخيص الخدمة الاجتماعية يكون على العوامل البيئية الشعورية ، أما التركيز فى علم النفس يكون على العوامل الذاتية اللاشعورية .

والمقاييس فى الطب الجسمى تدل على الأعراض ولا تدل على المرض . فالترمومتر يدل على ارتفاع فى درجة الحرارة ولكن لا يدل إن كانت ارتفاع درجة الحرارة بسبب انفلوانزا أو تيفود ، ويقتضى الأمر لقاء الطبيب مع المريض فى الكشف حتى يمكن تحديد المرض العضوى ، وكذلك الحال فى علم النفس يقتضى الأمر للتفاعل اللغوى بين المعالج والعميل بجانب استخدام المقاييس .

ومن الثابت أن أعراض المرض الجسمى هى محاولات للشفاء كما أنها أدلة

على وجود المرض . فارتفاع درجة حرارة الجسم مثلا دليل على وجود مرض جسمى فضلا عن كونها محاولة للشفاء كما فى الاصابة بالحمى مثلا . فالجسم يقاوم المرض الميكروبى بوسائل دفاعية هينة فى بادىء الأمر ثم يلجأ إلى وسائل شديدة حينما يشتد الغزو الميكروبى ، ونتيجة هذه المقاومة الشديدة ارتفاع درجة الحرارة وظهور علامات أخرى هى أعراض المرض .

كذلك الحال عند الاصابة بالانحراف النفسى . يبدأ بمرور الفرد بأزمة نفسية أوما يسمى احباط (عوز حرمان إعاقة صداع . . . الخ) . وهنا يحاول الفرد الحل بطرق توافقية سوية مثل زيادة المجهود أو تغيير طريقة حل المشكلة أو تغيير الهدف . فان استمر اختلال توازنه لجأ إلى الطرق اللاتوافقية الشاذة منها الحيل النفسية الدفاعية . وان استمرت الشدائد وزادت عن طاقة الفرد فى الاحتمال أصبح معرضا للامراض النفسية أو العقلية ، وفى هذه الحالة تكون هذه الاضطرابات السلوكية أو الأمراض النفسية أو العقلية من قبيل المحاولات الشاذة لحل الأزمة المستحكمة كما أنها تكون أعراضا للمرض

ونوعية أعراض الانحراف النفسى أمر يتوقف على وراثة الفرد ، ومدى سلامة جهازه العصبى ، وعلى أسلوب تربيته فى طفولته وعلى الصدمات الانفعالية التى بها . وهذا ما يولد الاستعداد الشخصى للاصابة بالانحراف ثم نوعية الإحباط فى الكبر أى ما تعرض له الفرد من العوز والحرمان و الاعاقة والإذلال والفشل والصراع النفسى غير المحسوم .

ونجد تضافر العوامل الممهدة والمعززة والمعجلة فى معظم الانحرافات النفسية ، فى حالة الإدمان على المسكرات مثلا نجد العوامل الممهدة اللاشعورية التى تكون الاستعداد للانحراف أو الانحراف النفسى الكامن فى شكل تثبيت

نفسي قوي على الطور الفمي من أطوار الغريزة الجنسية في مرحلة الطفولة (الطلقة في ساقية المسدس) .

فمن المعروف أن الطفل في مرحلة الرضاعة يهدأ قلقه حينما يرضع ويمص اللبن من ثدي أمه كما يرتاح للعطف والحنان أثناء عملية الرضاعة . فمدمن الخمر شخص لاقى اشباعا شديدا أو حرمانا شديدا في هذا الطور الفمي ، فقد تكون الرضاعة زائدة عن الحد تقوم بها الأم كلما بكى الطفل في فترات متلاحقة أو يتأخر الفطام عن سنتين . وقد يكون الحرمان بسبب الرضاعة الشحيحة أو العسرة أو المرتبطة بسخط الأم وغضبها وقد يكون الفطام متعجلا أو قاسياً أو مفاجئا .

والحرمان يؤدى للبحث عن الممنوع (هنا الممنوع اللذة الفمية) أو التثبيت على موضوع الحرمان . والشبع الزائد يؤدى للنكوص أو الارتداد إلى موضوع الشبع في تطور الغريزة الجنسية ، حيث يجد الفرد السكير لذة في مص الخمر من الكأس عزاء وبديلا عما يعانيه من حرمان مص الثدى وحنان الأم . والحرمان يؤدى إلى كبت الدوافع التي حرمنا من اشباعها ، والشبع يؤدى للتعلق اللاشعورى بموضوع الشبع . وهذا الكبت العنيف في الطفولة المبكرة أو التعلق اللاشعورى هو الذى يدفع الفرد دفعا لاحيلة له فيه مهما استخدم المنطق أو الإرادة في الكف عن الخمر . وإذا فرض أنه كف عن الخمر سعى لإشباع اللذة الفمية عن طريق آخر كالافراط في التدخين أو الأفراط في الأكل وما شابه ذلك .

ومما يجعل الفرد يرتد أو ينكص إلى طور الإشباع الطفلى هو الإحباط الذى يحدث في الكبر وهذه هي العوامل المعجلة . فقد يحدث في هذه الحالة إفلاس مادى أو فضيحة اجتماعية تدعو للعار أو فقد عزيز ، أو فشل في حب مما يدفع الفرد للتخفيف من الضغط النفسي المرتفع عن طريق الخمر .

والأسباب المعجلة هى الأسباب التى يندلع فى أعقابها الانحراف النفسى. أما الأسباب المعززة فهى التى تتوسط بين الأسباب الممهدة والمعجلة.

ومن هذه العوامل المعززة قد يكون الاصابة بمرض مزمن فيلجأ الفرد للخمر لتسكين الآلام الجسمية المبرحة، أو يكون عمل السكير مجهد فيتناول الخمر للتخفيف من التعب، وينتابه الملل و الأرق فيتناول الخمر للتخفيف من ذلك، أو قد يعانى من الشعور بالنقص نتيجة أن عمله فوق قدراته، أو أن مستوى طموحه أعلى من مستوى إقتداره فيلجأ للخمر للتخفيف من قلق العجز والفشل، أو قد يكون قد ارتكب عملا مشينا ظلم فيه الغير فيشعل عذاب الضمير مما يدفعه للخمر لتسكين آلام الشعور بالذنب أو لخفض الحاجة لعقاب الذات، وفى شرب الخمر امتهان شديد للذات جسمياً أو نفسياً.

ويلاحظ هنا أن العوامل المعجلة والمعززة (زناد المسدس الذى يفجر الرصاصة) هى عوامل مساعدة وليست عوامل مسببة. فالزناد لم يخلق الرصاصة بل فجرها، ولولا وجود الرصاصة ما كان هناك تأثير لضربة الزناد.

وعموما تحكمنا المبادىء التالية فى عملية التشخيص النفسى:

١ - أعراض العصاب ما هى إلا وسائل شاذة للتكيف تتمثل فى حيل دفاعية يلجأ إليها المريض للتخلص من القلق الذى يسببه الصراع النفسى.

٢ - الأعراض العصابية إما أن تكون: (ا) اشباعا بديلا فعليا أو خياليا لبعض الدوافع المكبوتة المستكرهة للنفس أو للناس (ب) وإما أن تكون وسائل لمنع هذا الإشباع، (حـ) وإما أن تكون وسائل للتوفيق بين رغبة الاشباع ورغبة المنع، أى التوفيق بين الرغبة الدافعة والقوة

المانعة ، (د) أو أن تكون انتكاسا لطور من أطوار نمو الغريزة الجنسية حدث فيــه اشباعا زائدا عن الحد (طور فمى ، شرجى ، نرجسى ، جنسية مثلية أو ديبى جنسية غيرية) .

والأمثلة التى تؤيد ما سبق متعددة منها . ما نجده فى الاستمناء (العادة السرية (من إشباع بديل للدوافع الجنسية المستكرهة للنفس أوللناس فى حالة الرغبة فى إشباعها دون زواج . وكذلك الحال بالنسبة للفسق فى الحيوانات أو الاتصال الجنسى بفرد من نفس الجنس . ونجد فى الاستمناء أيضاً توفيقاً بين صراع الرغبة الدافعة والقــوة المانعة . فالانسان حينما تدفعه رغبة جنسية للاتصال بامرأة دون زواج يتصادم ذلك مع القواعد الدينية والإخلاقية والاجتماعية ، وهذه هى القوة المانعة ، فالفرد هنا يريد لذة الجنس ويخاف من عقاب القانون أو الضمير ، وهنا ينبعث القلق بسبب الصراع النفسى ، والاستمناء يخفف من هذا الصراع والقلق فيحقق بعض اللذة الجنسية ولا يعرض الفرد للتصادم مع القانون أو مع الضمير ، والفشل فى التكيف هنا سببه أن الحيلة الدفاعية (الاستمناء) تخفض القلق ولكنها لا تحل الصراع النفسى .

والاستمناء أو الايصال لجنسى بفرد من نفس الجنس يحقق إشباع فعلى جزئى .

وقد يحقق الفرد الدافع المكبوت عن طريق الخيال كما فى حالة الإستغراق فى أحلام اليقظة .

والعانس التى فاتها قطار الزواج وحرمت من إشباع الدافع الجنسى ودافع الأمومة عن طريق الزواج وهى راغبة فيه وعانت من احباط الفشل فى الحب مرارا وتكرارا قد تلتجىء إلى سرقة ملابس الأطفال بشكل

قهرى متكرر برغم ثروتها وغناها . وفى ملابس الأطفال بالذات ما يشير إلى رغبتها المكبوتة فى الزواج وانجاب الأطفال . والاشباع هنا رمزى خيالى .

والوساوس ، والأفعال القهرية فى عصاب القهر ، مثل الانشغال بوسواس آن أحدا سيهجم على المريض ويخلع ملابسه بالكامل ، أو تحاصره فكرة أنه ذو مركز مرموق ويظل يوزع الألقاب والمسؤليات على أصدقائه ، أو ينشغل المريض بفكره صنع المنضدة من ثلاث أرجل بدل أربعة لتوفير الخشب ، وغير ذلك من الأفكار القهرية المستكرهة للنفس أو الناس ، أو ينشغل المريض بشكل زائد عن الحد بأعمال سخيفة قهرية كعد النقود أو عد السلالم أو تكرار بعض الكلمات أو تكرار غسل اليدين أوالاستحمام بشكل زائد عن الحد رغم كرهه فعل ذلك.

تفسير هذه الأفكار آو الأعمال القهرية بأنها وسائل شاذة للتكيف يلجأ إليها المريض لشغل ذهنه وتحويل إنتباهه من أفكار ورغبات أخرى تسبب له كثيرا من القلق . وبذلك تكون هذه الوساوس والأعمال القهرية وسائل مانعة أو شاغلة عن اشباع دوافع مكبوتة مؤلمة أو مخيفة أو مشينة وظهورها يسبب الصراع المقلق مع الضمير أوالدين أو المجتمع .

وقد يتحول خوف الانسان من الانتحار إلى صورة خوف من الأماكن العالية ، وبذلك يتجنب الانسان هذه الأماكن العاليـة التى يمكن أن تستخدم فى الانتحار بالقاء نفسه منها . ودوافع الانتحار تتضمن حاجة مكبوتة لعقاب النفس للتكفير عن سيئات حقيقية أو متوهمة تثير عذاب الضمير .

وقد يعانى المريض من شعور العداء والكراهية المكبوتة بسبب الصراع

النفسى الذى لم يمكن حله أو تأجيله أو قبوله ، فتجد فيه الرغبه فى الانتقام من فرد ما والخوف من نتائج هذا الانتقام (صراع الإقدام الإحجام) .

والصراع المعلق غير المحسوم مولد للقلق ، وقد يخفض المريض هذا القلق والصراع النفسى عن طريق الخوف القهـــرى من السكاكين أو الأسلحة بوجه عام وبذلك يتجنبها فلا يستطيع الاعتداء على الشخص المكروه .

ويبدو النكوص إلى الجنسية الطفلية بشكل واضح فى الانحرافات الذهانية كما فى مرض (الشيزوفرينيا) مثلا ، حيث نجد عادات الطفولة المبكرة شائعة رغم أن المريض راشدا سبق له استخدام العـادات الصحيحة الملائمة لسن الرشد . ولكننا نجد فى أعراض الذهان انتكاس للجنسية الطفلية مثل التلذذ من الفم باصرار المريض على وضع بزازة فى فمه لا يتركها مطلقاً (انتكاس إلى طور فمى) ، أو التلذذ من التبول والتبرز (انتكاس للطور الشرجى) ، أو التلذذ من كشف العورة (الانتكاس للطور النرجسى واللعب الجنسى الطفلى . . . . الخ) .

وفيما يلى طريقة توضح طريقة كتابة التاريخ الشخصى للانحراف النفسى كأساس لفهم شخصية الفـرد المضطـرب سلوكيا وتشخيص مشاكله وعلاجها . ويمكن تعديل الأسئلة فى هذا التاريخ حسب مقتضيات الحالة وبقدر ما يسمح به الوقت .

مع العلم بأن هذا التاريخ ليس بديلا للمقابلات أو اجراء الاختبارات النفسية ولكن مكملا ومدعما لها :

أولا : الإطار العـائلى Family Background :

١ - السن ، مكان الميلاد ، مهنة الوالدين .

٢ — كيف تصف السمات المزاجية لوالديك (مكتئبين ، مرحين ، تسهل استثارتهما ، ذوى ضمير حساس ، غير مبالين ، يغاليان فى اصطناع اللياقة والتأدب ، متسامحين ، متفائلين ، متشائمين ، عديمى الحس ، محببين ودودين ، يفهمان الآخـــرين .

٣ — هل تعتقد أن نظرتهما إلى الحياة شاملة أو ضيقة ؟

٤ — هل يشجعان مشروعاتك ، وهل يمتدحان ما تحققه من نجاح ويكافئانك عليه ؟

٥ — هل ترى أنك من عائلة حسنة التوافق ؟

٦ — هل ينطوى اتجاهما على أى شعور بالنقص ؟

٧ — هل يتضمن اتجاههما تبنيا لأى من مثلك العليا ؟

٨ — هل فى تاريخ أسرتك أى حالات صرع أو ضعف عقلى أو فصام أو إدمان على الخمر أو المخدرات أو جرائم متكررة ؟

ثانيا — النمو الشخصى المبكر Early Personal Development

١ — ما الذى ذكر لك عن تقدمك فى الرضاعة والفطام والمشى والكلام والتسنين والتغذية والنوم والتدريب على ضبط المثانة وعادات النظافة .

٢ — ما الذى ذكر لك عن وقائع نموك المبكرة البارزة ، كمص الابهام وقرض الأظافر وعض الأقلام ، نوبات الغضب ، اختناق التنفس ، بلل الفراش ، تشنجات ، فزع ليلى ، عادات خاصة مميزة تتعلق بالطعام ، مخاوف الخ .

٣ — هل انتابك أى مرض أثناء طفولتك ترك تغيرا بدنيا أو نفسيا أو عقليا ؟

ثالثا — الاتجاهات نحو الأسرة attitudes toward the family

١ — هل تعلقت تعلقاً خاصا بوالدك أو والدتك ؟

٢ — هل أحسست شيئا من التهيب أو العداء نحو أحد والديك ، وإذا صح هذا فمتى ، ولم كان يحدث هذا ؟

٣ — هل كان تعاملك مع والديك يقوم على الصراحة أم يتبع أسلوبا رسميـــاً ؟

٤ — هل أنت طفل وحيد ؟ وإذا لم تكن كذلك فما هو ترتيبك بين إخوتك وأخواتك ؟

٥ — هل تعتقد أن ترتيبك بين اخوتك كان له أثر فى مصيرك ؟

٦ — هل علاقتك ودية باخوتك وأخواتك ؟ وإن لم يكن كذلك فما أسباب هذه الصعوبات ؟ وهل كان أحد أشقاءك أو شقيقاتك مما يكبرونك على علاقة ودية خاصة بك ومصدر الهام لك ؟

٧ — كيف كنت تقابل أحداث الفقدان (فقدان مال ، شخص عزيز فقدان حب الخ) .

٨ — هل تحس بالتحرر من المنزل والوالدين ؟

٩ — ما هى الأمور التى لا زالت تجعلك تولى وجهك شطر المنزل طلبا للنصح وحسم الرأى ؟

١٠ — أى الأشخاص كان له أعظم الأثر فى حياتك سواء داخل الأسرة أو خارجها ؟

١١ — هل لعب جدك أو أعمامك أو اخوالك أو أبناء أو بنات عمومتك أو أى من أصدقاءك دورا هاما فى طفولتك ؟

رابعا – التوافق الاجتماعي فى المدرسة Social Adjustment in the School

١ – هل واجهتك أى صعوبة فى ترددك على المدرسة بسبب المرض، أو عدم الرغبة فى الذهاب أو الهروب الحقيقى أو أى سبب آخـــر ؟

٢ – هل رسبت فى إحدى السنوات أو فى عدد من السنوات ، أو كانت درجاتك فيها منخفضة دائما بدرجة تتعارض تعارضا واضحا مع قدرتك المعتادة ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل تستطيع ابداء سبب لذلك ؟

٣ – هل عانيت أى ضعف خاص فى قدرتك على التعلم ، كعدم القدرة على التذكر ، أو عدم القدرة على استخدام الأرقام الحسابية . . . الخ .

٤ – هل حدث أثناء حياتك المدرسية أن كان هنالك مدرس تعلقت به تعلقاً غير عادى ، وهل كان هناك لك أحد تكن له كراهية خاصة ؟ وإذا صدق ذلك فالى أى جنس كان هذا المدرس ينتمى ، وكيف تفسر هذا الإحساس ؟

٥ – هل كنت تشترك أثناء سنوات دراستك فى ايقاع الأذى بالجيران أو فى جناح حقيقى كالسرقة أو تحطيم الأشياء أو اشعال النار الخ ؟ وإذا كان ذلك فهـــل كان مرده ميلك الخـــاص أم تأثير الجماعة .

٦ – إلى أى حد كنت تستطيع مخالطة الآخرين ؟ وهل كنت عضوا ايجابيا فى الجماعة ؟ هل كنت تابعا أم قائدا ؟ أم كنت تكره كلية نشاط الجماعة وتتجنبه ؟

٧ — كيف تنظر بقية الأطفال إليك هل كانوا يعمدون إلى إغاظتك وتصغيرك أم يتطلعون إليك فى اعجاب ؟ .

٨ — هل كانت حياتك المدرسية توازنا مقبولا من النشاط الاجتماعى والرياضى والتحصيل المدرسى ؟ وإن لم تكن كذلك فهل ترى أنه يوجد الآن ثمة سبيل يمكن تحقيق ذلك عن طريقه .

خامساً — النمو الجنسى Sexual development

١ — فى أى وفى أى المناسبات حصلت على معلوماتك الجنسية ؟

٢ — هل أتاحت لك بيئتك فرصة التوجيه الجنسى ؟

٣ — هل هناك كثير من المعلومات أو التفسيرات الخاطئة ؟

٤ — هل تشعر بخجل شديد وسرية فى أمور الجنس ؟

٥ — كيف كان إحساسك الخاص عندما أدركت مرحلة البلوغ

٦ — ما هى الاهتمامات الجنسية ، أو المغامرات الجنسية التى وقعت لك قبل البلوغ أو أثناءه أو بعده ؟ وما هو تقديرك لما تخلف عنها من آثار عليك ؟

٧ — هل كان الاستمناء (العادة السرية) مشكلة خاصة بالنسبة لك ؟

٨ — هل كان الاحتلام (القذف الليلى) مصدر قلق لك .

٩ — هل أثر فى اتجاهاتك الجنسية أى شخص أو حادثة معينة ؟

١٠— إلى أى حد تشغلك التغيرات الجنسية وما نوعها ؟

١١— ما هى نظرياتك أو وجهة نظرك نحو الجنس ؟

١٢— هل تنتابك الكثير من الأحلام المتعلقة بالأمور الجنسية ؟

١٣— هل كانت لك أى خبرات جنسية مع نفس جنسك أو أى خبرات من أى نوع تعتبرها شاذة أو أى ميل نحو شىء من هـــذا ؟

١٤ — هل أثار فيك أى جانب من نشاطك الجنسى شعورا بالإثم ؟

١٥ — هل يعرقل التوتر الجنسى عملك ؟

١٦— إلى أى مدى دخلت فكرة تكوين أسرة نطاق اهتماماتك ؟

١٧— ما هو مفهوم الحياة الجنسية النموذجية عندك ؟

١٩— ما هو اتجاهك نحو أحادية الزواج (الزواج بواحدة فقط) ؟

٢٠— هل تحس أنك تعانى الآن مشكلة جنسية ؟

٢١— هل تعتقد أنه يجب تزويد الأطفال بالمعلومات الجنسية ؟ وفى أى عمـــــر ؟

سادسا — الاستجابات الوجدانية Affectional Reactions

١ — هل أنت مبتهج بطبعك أم تميل للشك أو الاكتئاب ، أو أنك تختلف من وقت لآخر ؟

٢ — هل تفطن عادة إلى ما يؤدى إلى التغييرات أم أنها تبدو كما لو كانت تأتى من مكان مجهول ؟

٣ — هل أنت متفائل أم متشائم ؟

٤ — هل تغلب عليك روح المرح ، وهل أنت عنيد ؟

٥ — هل أنت جاد أم تميل لتوافه الأمور ؟

٦ — هل تمسك بزمام غضبك ؟

٧ — كيف تستجيب لمواقف الفشل أو الاعاقة أو المنافسة ؟

٨ — هل يسهل استثارتك أو ينفذ صبرك ، أو تتعقب أخطاء الآخـــرين ؟

٩ — إلى أى حد تتأثر بانفعالات الآخرين وحالاتهم الوجدانية وإذا كان ذلك فكيف ؟

١٠ — ما الذى توحى به لك كلمة عاطفة وما هى أهم عواطفك ؟

١١ — هل تخاف مما يمكن أن تنتهى إليك مشروعاتك من نتائج .

١٢ — هل يمكن اخافتك بسهولة ؟ وهل أنت سريع الانفعال ؟

١٣ — هل يمكن جرح شعورك بسهولة ؟

١٤ — كيف تستجيب لنجاح الآخرين ؟ وهل من السهل عليك أن تهنئهم ؟

١٥ — هل تستطيع أن تواصل العمل بثبات عدة ساعات مرة واحدة أم أنك تجد صعوبة فى التركيز ؟

١٦ — فى أى الظروف تحسن العمل : فى وجود حوافز مالية أم معنوية ، نتيجة لضغط ، فى حالة وجود جدول مرسوم .

١٧ — هل تجد دائما الطاقة التى تريدها ؟

١٨ — هل تستفيد من فترات الراحة والعطلات ؟

١٩ — كيف تمضى أيام العطلات العارضة ؟

٢٠ — هل يسهل تشتيت انتباهك ؟

٢١ — هل تستطيع أصدار الأحكام بسهولة أم أنك تتردد كثيرا ؟

سابعا — القدرة على التكيف الاجتماعى

The Ability to Social Adjustment

١ — هل أنت هياب أو تخجل فى حضرة الجنس الآخر وينعقد لسانك

٢ — هل ترتاح فى حضرة المسنين كبار السن ؟

٣ — ما هى استجابتك للسلطة ؟ هل تبعث فيك الرغبة فى التصادم أو التوافق ؟

٤ — هل تصدر قراراتك الخاصة أفكارك عن استقلال أم أنك تميل إلى طلب العون دائما ؟

٥ — هل تصدر قراراتك عن اندفاع أم عن ترو أم تحت املاء الظروف أم بعد تفكير ؟

٦ — ما نوع صداقتك كثيرة قليلة ، دائمة ، متغيرة حارة ، باردة ، تقوم على الثقة أم التحفظ ، تقوم على منح الحماية ، أم الاعتماد على الآخرين .

٧ — هل أنت متزوج أم خاطب فاذا لم يكن كذلك فمتى وفى ظل أى ظروف ستفكر فى الزواج ؟

٨ — هل تهتم بأن تكون والدا لأطفال ؟

٩ — إلى أى حد تشعر فى نفسك بالأنانية أو الايثار ؟ وهل اختبرت هذا الشعور اختبارا فعلياً .

١٠ — كيف تتقبل النصح أو النقد ؟

١١ — هل تميل إلى طلب العطف أم أنك تؤثر أن تخص نفسك بإشفاقك ؟

١٢ — هل تتجاوز الحد فى تواضعك أو فى ثقتك بنفسك ؟

١٣ — هل تحس كثيرا بالخذلان عندما تقارن نفسك بالآخرين ؟

١٤ — هل أنت راض عن الطريقة التى يعاملك بها العالم إلى حد بعيد ؟

١٥ — هل تكره أن تكيف نفسك للظروف الجديدة ؟

١٦ — هل تحبذ التعاون مع الآخرين ؟

١٧ — هل تعتقد أنك على صواب دائما ؟

١٨ — هل تحب الحديث عما تحققه ؟

١٩ — ما رأيك وما تجربتك الخاصة مع الصدق ، الأمانة ، العطف ، البر بالوالدين ، نصرة المظلومين والضعفاء .

ثامنا — الإحساس بالواقع Reality Sense :

١ — ما هى العوامل التى جعلتك تختار مهنتك ، زوجتك ، صديقك نوع تعليمك ؟

٢ — إلى أى حد تعتقد أن النجاح يتوقف على بذل الجهد ، وإلى أى حد يتوقف على المصادفة وإلى أى حد يتوقف على المحسوبية ؟

٣ — هل ترى أنك خيالى أم عملى ؟

٤ — هل تؤمن بالخرافات : الطالع ، المندل ، الزار ، فتح الكتاب قراءة الكف ، ضرب الودع ، فتح الفنجان . . . الخ .

٥ — هل تحب المسئولية أم تكرهها ؟

٦ — هل تستطيع أن تعترف بالخطأ وتحاول إصلاحه . ؟

٧ — هل تحققت جميع خططك حتى الآن كما كنت تحب أم أنك شعرت بخيبة الأمل ؟

٨ — هل من المألوف أن ينشد الآخرون نصيحتك ؟

٩ — ما هو اتجاهك نحو المال ، هل أنت ممسك أم مبذر أم مقتصد أو تنفق بحكمة وهل أنت كريم ؟ وإلى أى حد تجعل من كسب المال هدفا لك وكيف تستجيب للإضطراب الاقتصادى

تاسعا — الصحة الجسمية Hygiene :

١ — ما هى الأمراض والعمليات الجراحية والحوادث والظروف التى أدت إليها ؟ .

٢ — ما طول مدة النقاهة ؟ وما السن الذى ظهر عنده كل مرض ، وكيف كانت صحتك البدنية آخر مرة ؟

٣ — هل هناك أحد يلومك أو لا يشاركك شعورك فى مرضك ، هل تعتقد أن أمراضك جسمية ، ما هو شعورك نحو أى مريض آخر ؟

عاشرا — الميول العصابيــــة Neurotic Tendencies :

١ — ما هى الظروف التى تجعلك تشعر بالضيق أو مس الكرامة أو الشعور بالعسـار أو الذنب ، أو الخجل ؟

٢ — كيف تستجيب للاصابة بالمرض أو للاستفسار عن صحتك ؟

٣ — هل تعانى من أمراض جسمية متنقلة مستعصى شفاءها ؟

٤ — هل تشعر بضعف واجهاد عام أو خوف من الموت دائما ؟

٥ — هل تشعر بالعجز عن التوفيق بين مطالب ضميرك ومطالب المجتمع وشهواتك الحسية ؟

٦ — هل تهتم اهتمام خاص بأى عقيدة أو فلسفة أو أسئلة حائرة فى الإجابة عنها ، الحياة ، الموت ، الآخرة ، . . . الخ .

٧ — هل تشعر بالتوفيق بين مطالب الدين والواقع ؟

٨ — ما هى اهتماماتك الفعلية بالمشاكل الاجتماعية ؟

٩ — هل تهتم بالسياسة ، الاجتماع ، الأدب ، الفن ، العلم ، الموسيقى وما هو موضوع اهتمامك المفضل ؟

١٠ – ما هى الألعاب الرياضية التى تهمك ، وهل انغمست فى نوع منها بدرجة شديدة ؟

١١ – هل تنتابك أفكار أو أفعال أو عادات تشعر أنها شاذة ولا تستطيع الإقلاع عنها أو تعتبر مصدر شك أو ندم أو قلق بالنسبة لك؟

١٢ – هل تهتم بشكل زائد عن الحد بالنظافة ، بالترتيب ، بتكرار عد الأشياء ، المحافظة على تسلسل أشياء أو أفعال بوضع معين . . . الخ .

١٣ – هل تنتابك مخاوف شاذة ، أو قلق ، أو أوهام تؤرقك ؟

١٤ – هل تعانى أمساكا أو اسهالا أم حموضة زائدة بالمعدة دائما ؟

١٥ – هل تتعاطى أدوية دائما أو خمورا أو مخدرات أو مولع . بالمقـــامرة ؟

١٦ – هل أنت كثير الأكل أم قليله أم متوسطه ؟

١٧ – إلى أى حد تهتم بالنوم والأكل والترويح ؟

١٨ – هل تتجاوز حساسية ضميرك الحد ؟ وهل تؤمن بالخرافات فى حل مشاكلك ؟

١٩ – ما هى أفكارك عن العادة السرية ، الاحتلام ، الـــزنا ، الدعارة ، العشق . . . الخ .

٢٠ – هل تؤدى العادة السرية إلى الجنـان ، فقد الذاكرة ، عذاب الآخرة ، الإصابة بالسل ؟

احدى عشر – أسئلة عامة :

١ – هل تحس أنسجاما معقولا فى شخصيتك ، مع توزيع مناسب

للطاقة بين العمل واللعب والراحة والخيال والأدب والفن والدين والفلسفة والعلم والحياة المادية ؟

٢ — ما هى أشد صعوباتك وجوانب النقص فيك ؟ وإلى أى مدى استطعت تتبع آثارها إلى الخبرات المبكرة ؟ وإلى أى حد حاولت التعويض عنها لاسترداد توازنك ؟

٣ — هل يتسنى لك أن تجد أى مصادر تستمد منها الراحة عندما يحدث لك اخفاق أو فشل أو حرمان أو إذلال أو إعاقة ؟ وكيف تؤدى هذه المصادر ذلك ؟

٤ — ما هو أسلوبك الغالب فى حل مشاكلك وعلاقتك مع الآخرين ؟ مضاعفة الجهد ، تغيير أسلوبك ، تغير هدفك ، إنكار ، خداع ، هروب ، عرفان ، تمارض ، خيال .... الخ .

٥ — أذكر صعوبة أو صعوبتين حدثت لك وأسلوبك فى حلها .

الشخصية السيكوباتية Psychopathic Personality

الشخصية السيكوباتية ما زالت النتائج العلمية فيها ليست قاطعة تصنيفاً وتشخيصاً وعلاجا . فالمريض السيكوباتى ليس مريضاً عقلياً لأنه متصل بالواقع تماما ، كما أنه ليس مريضاً نفسيا لأنه لا يعانى أدنى قلق الشائع فى المرض النفسى ، كما أنه ليس ضعيفاً عقلياً لأن ذكاءه عادى أو فوق المتوسط غالباً . ورغم ذلك فعدوانه على الغير لا حدود له سواء على الأعراض أو الاشخاص أو الأموال أو الممتلكات ، ولا ينفع معه أقسى أنواع العقاب ولا يستفيد من الخطأ ولو مرة واحدة ، برغم تظاهره بأنه مظلوم أو متورط فى الجريمة واعتذاراته المصحوبة بالدموع كصنبور لا ينقطع ولكنها دموع التماسيح التى تدل على استعداد لعدوان جديد . وهو يفهم تماما أسباب خطئه ولكنه لا يهتم ولا يفهم ما يترتب على جرائمه من أضرار للغير أو عقاب للذات ، فهو لا يعوزه البصيرة فى أسباب سلوكه المضاد للمجتمع ولكن تعوزه البصيرة فى نتائج أعماله . وهو لذكائه فجرائمه من النوع المخطط تخطيطا عميقاً ومن الجرائم التى تروع الرأى العام وتهز مشاعر الجماهير من هول المصائب التى يسببها للغير . أو شذوذ تصرفاته الزائد عن الحد ، وإصراره على العدوان على المجتمع فهو مجرم عائد معتل الشخصية إلى أبعد حدود . ومن السيكوباتيين فئة تميل للتأنق وتجيد عديد من المهارات الاجتماعية كلعب الورق والرقص والعزف على الآلات الموسيقية واتقان عدة لغات أجنبية مما يسهل لها الأندماج فى العائلات وحبك الجرائم المروعة . ومن السيكوباتيين من هو مولع بالإدمان على المسكرات والمخدرات أو المنحرف جنسيا الذى يهتم بجماع الأطفال أو عرض أعضائه الجنسية على الغير أو سرقة الملابس الداخلية للسيدات (جنون

السرقة) ، أو مولع باشعال الحريق في ممتلكات الغير دون سبب (جنون الحريق) ، أو مولع باختلاق وادعاء التهم المروعة للناس بلا أدنى جريرة (جنون الاختلاق) .

وأبرز ما يميز شخصية السيكوباتى المعتلة أنها قمة فى القدرة على التمثيل والتناقض السلوكى فهو يتوسل ويعتذر لفظا ويحرق ويدمر فعلا ، كما أنه يطبق قانون البحث عن اللذه الفورية بأى ثمن بصرف النظر عن القواعد الاخلاقية أو الدينية أو الاجتماعية ، وبصرف النظر عما حدث له فى الماضى أو ما سيحدث له فى المستقبل فلا سيطرة له على أهوائه أو شهواته إطلاقا ، والمهم أن يعيش فى يومه فقط دون أدنى اعتبار لما فات أو ما هو آت .

المحاولات التشخيصية والعلاجية للشخصية السيكوباتية :

١ – البعض يرى أن أسباب السلوك السيكوباتى وراثية لأن الأعراض تبدو منذ الطفولة ، وتظل ملازمة للفرد طول حياته ، وغالباً ما تبدوا على عدة أفراد من الأسرة ذاتها ، كما أن الأعراض حتى الآن ما زالت مستعصية على العلاج .

ولكن هذه المبررات مردود عليها على أساس أن الفرد فى طفولته ممكن أن يكتسب عديد من عاداته السلوكية ومنها العادات السيكوباتية ، وقد تستمر هذه العادات الشاذة المكتسبة طوال حياته وتستعصى على العلاج ، وما يبدو على أفراد العائلة من أعراض تماثل أعراض السيكوباتى يمكن أن تكون قد انتقلت للسيكوباتى بالعدوى الاجتماعية لا بالوراثة الجينية .

٢ – يرى البعض أن أسباب السلوك السيكوباتى جبليـة الأصل (Constitutional) ترجع إلى خلل فى المراكز العصبية العليا فى لحاء المخ فضعفت وظيفتها فى ضبط المراكز السفلى . هذا الضعف منشؤه إما

شذوذ وراثى أو أسباب مكتسبة (وراثية أو مكتسبة = جبلية). ترجع إما للزهرى أو إصابة فى المخ . والمعروف فسيولوجيا أن المراكز العليا هى الضابطة والمتحكمة فى المراكز السفلى . ولقد أورد بافلوف والعديد من أتباعه فى علم النفس الفسيولوجى أن المراكز العليا هى مفتاح التعلم والعمليات العقلية العليا أما المراكز السفلى فيرجع إليها السلوك الغريزى والشهوات الحسية . ولقد دلت دراسات (سيلفرمان) Silverman على ٧٥ مجرم سيكوباتى أن ٨٠ ٪ منهم لهم موجات كهربائية مخية شاذة عند فحصهم برسام المخ الكهربائى ووجد تقارب شديد بين هذه الموجات والموجات التى تنبعث من مخ المصابين بالصرع . وأيد هذه الدراسة كل من ديثلم diethelm ، وهودج Hodg ، نوت Knott.

ولكن هذه النتائج ما زالت غير نهائية حيث أورد سيلفرمان نفسه فى دراسة أخرى أن ٦٠ مجرم سيكوباتى من ٧٥ نشأوا فى أحضان بيئة أسرية فاسدة ، ١٥ فقط أتوا من بيئة أسرية صالحة . وهكذا يعود تصارع الأسباب الوراثية والبيئية من جديد (٣٣) .

٣ — يرى أتباع مدرسة التحليل النفسى أن الأسباب العصابية الأصيلة مشتركة فى السيكوباتى والمريض النفسى فكلاهما يقوم على صراعات لا شعورية قديمة مكبوتة ، وكلاهما لا يخضع لإرادة المريض ولا التفكير المنطقى ، وكلا الأعراض محاولات شاذة لحل أزمة نفسية من جراء أحباط شديد فى الحاضر . والاختلاف الرئيسى فى الأعراض لا فى الأسباب حيث نجد أن الشحنات الانفعالية الشاذة تكبت داخل الذات فى الشخصية العصابية وتنطلق منفجرة خارج الذات فى الشخصية السيكوباتية دون ضبط أو تحكم ، وتسمى هذه العملية برد الفعل الخارجى Acting-out أو الفعل

الإنفجـارى Impulsive act . فالعصـابى الوسواسى يظل محصورا ومشغولا بفكرة أو رغبة شاذة ، مثلا يريد أن يضرب كل فرد يقابله على قفاه ، ولكنه رغم انشغاله الزائد عن الحد بهذه الفكرة الشاذة لا ينفذها فى البيئة الخارجية إطلاقا ، أما السيكوباتى فينفـذ هذه الفكرة فورا بصرف النظر عما حدث له فى الماضى أو ما سوف يحدث له فى المستقبل ، والفرق الثانى أن العصابى يقنع باشباع دوافعه اللاشعورية إشباعا خياليا أو بديلا ولكن السيكوباتى يشبع دوافعه المكبوتة اشباعا حقيقياً أصليا . فالعصابى المنحرف جنسياً قد يستبدل موضوع الجنس الأصلى (المرأة) بيده فى الاستمناء أو التلذذ الجنسى بالرؤية (مرض الرنو) أو التلذذ الجنسى بالمكالمات التليفونية القبيحة ، ولكن السيكوباتى سرعان ما ينخرط ويستمر فى سلك الدعارة أو الاغتصاب الجنسى بشكل مباشر صريح .

ـ ويؤمن اتباع مدرسة التحليل النفسى أن السيكوباتى دون شك يفتش باصرار عن عقاب الذات أو يلتمس العقاب التماسا بل كانه يجد لذة فى العقاب . والتفسير المعقول لذلك هو انطلاق دوافع التكفير اللاشعورية بشدة باحثة عن عقاب الذات دون إرادة أو تفكير من جانب السيكوباتى ، ولا يشعر السيكوباتى بوجود هذه الدوافع ولا يدرك صلتها بسلوكه العدوانى الشاذ ، شأنه شأن أى عصابى آخر . والسبب فى وجود دوافع التفكير والبحث عن عقاب الذات هو الإحساس بالذنب نتيجة أسلوب أسرى خاطىء فى التربية قائم على قسوة السلطة الوالدية وصرامتها . والتناقض بين أقوال وأفعال السيكوباتى مرجعه تناقض أسلوب التربية بين الأب والأم ، فالأم ، فالأم على عكس الأب تماما تميل للتدليل الشديد والاهتمام باشباع رغبات الطفل مهما كانت النتائج ، لذلك نجد الاعتذار والأسف والندم والبكاء المر

على لسان السيكوباتى والعدوان المدمر فى فعله ، فتناقض الأب والأم فى الصغر قد تحول إلى تناقض القول والفعل فى الكبر . والتدليل قد خلق أسلوب البحث عن اللذة الفورية (إبن وقته) مهما كانت النتائج . والقسوة الوالدية خلقت الضمير الصارم والإحساس بالذنب ودوافع التفكير والبحث عن عقاب الذات لا شعوريا ، وزيادة القيود الأبوية الزائدة عن الحد من أوامر ونواهى قد خلقت الثورة على القوانين الدينية والأخلاقية والاجتماعية فى الكبر . ويؤيد ذلك ما وجده الباحثون فى استقصاء الحقائق فى التاريخ الاجتماعى للمجرمين السيكوباتيين ، ومنهم على سبيل المثال العالم Levy إذ وجد اتجاهات والديه سائدة فى عائلات السيكوباتيين أهمها : (١) الصد والقسوة الأبوية الزائدة عن الحد ، (٢) التدليل المسرف من جانب الأم خصوصا فيما يتصل باطلاق العنان للجنس والعدوان ، (٣) التناقض العلنى أمام الطفل بين الأب والأم وإصرار كل منهما على موقفه .

Levy, David M., " Psychopathic Behavior in Infants and Children " American Journal of Orthopsychiatry, 1951 , 21 . 250 - 254.

والطريق المرجح للعلاج لدى كثير من علماء التحليل النفسى هو اعادة بناء شخصية الطفل أو المراهق السيكوباتى من جديد فى مؤسسة علاجية داخلية يتواجد فيها لفترة طويلة كافية ، ويوضع تحت نظام تربوى بين أب وأم مشرفة معالجة أهم ما يميز سلوكها هو الوحدة فى أسلوب التربية الجديدة بالنسبة للأب والأم وبالنسبة للقواعد الأخلاقية والدينيـــة والاجتماعية ، هذه الوحدة أساسها الحزم مع العطف ، الخشية والحب الذى يؤدى للطاعة والاقتناع بحكمة القواعد الأخلاقية والإحساس بالمسئولية الاجتماعية . تربية

تروض دوافع الجنس والعدوان خاصة ترويضاً حكيماً لا نجور فيها على حق الفرد فى اللذه ولا تجعله يتصادم مع المطالب الضميرية أو المطالب الدينية أو المطالب المجتمعية . هذا مع الأطفال والمراهقين السيكوباتيين ، أما السيكوباتيين الكبار فلم يتفق على نظام علاجى لهم وما بقى هو الأسلوب العقابى الذى لم يثمر خطوة واحدة فى تقبل تغيير السيكوباتى لسلوكه العدوانى ، والفائدة الوحيدة للعقاب والسجن هو حماية المجتمع من جرائمه المروعة ، أما العلاج الجراحى فى لحاء المخ ما زال فى الطفولة حتى الآن .

المراجع العربية والانجليزية بحسب تسلسل ورودها بالكتاب

١ — أسس خدمة الفرد للاستاذ صالح الشيكشى ، الطبعة الأولى ، ص ١٥ .

٢ — الرعاية الاجتماعية للمعوقين للاستاذ ة عطيات ناشد واخرين مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩ ص ٣٣ .

٣ — خدمة الفرد فى محيط الخدمات الاجتماعية للاستاذة فاطمة الحارونى الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ص ١٥ .

٤ — خدمة الفرد فى محيط الخدمات الاجتماعية للاستاد ة فاطمة الحارونى الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ ص ٣٥٥ — ٤٠٦ .

٥ — تحليل الشخصية للدكتور محمد خليفة بركات مكتبة مصـــر ص ١٩ — ١٦٧ .

٦ — أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح الطبعة الثامنة ١٩٧٠ ص ١٦١ .

٧ — Shaffer and Shobon., the Paychology of Adjustment, Second Edition, p. 598.

٨ — المرجع رقم ٦ ص ٤٦١ ، ص ٤٣١ .

٩ — المرجع رقم (٥) ص ١٦٦ .

١٠ — Colman, James C., "Abnormal Psychology and Modern Life 2 ND Edition, Scott, Foresman and Company, U.S.A. 1951 p. 111.

١١ — Sheldon. William H, the Varieties of Human Physique New York, Harpor 1940.

١٢ — Sheldon, William H., the varieties of temperaments New York, Harper, 1942.

١٣ — المرجع رقم (١٠) ص ١١٢ .

١٤ — المرجع رقم (٦) ص ٤٧٢ .

١٥ — علم النفس الحديث للدكتور مصطفى سويف ١٩٦٧ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ص ١١٩ — ٢٦١ .

١٦ — المرجع رقم (٦) ص ٤٦٣ ، ص ٤٩٣ .

١٧ — علم النفس فى حياتنا اليومية للدكتور محمد عثمان نجاتى أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٦٤ ص ٢٧٧ — ٢٨١ . .

١٨ — S. Freud, Some Elementary lessons in Prycho - Analysis IN C.P. london 1950, 382.

١٩ — المرجع رقم ١٧ ص ٢٦٥ — ٢٦٨ .

٢٠ — S. Freud, An Outline of Psychoanalysis New York W.W. Norton & Co. Inc., 1949.

بدأ فرويد كتابه هذا المؤلف فى ٢٢ يوليو عام ١٩٣٨ فى مدينة لندن وتوفى فى العام التالى قبل أن يتم الفصل الأخير منه ، وقد قام بترجمة هذا الكتاب الأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ .

٢١ — الأمراض النفسية والعقلية للدكتور أحمد عزت راجح الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ دار المعارف ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

William Mc Dougall, "Social Psychology london p. 535.

٢٢ — الشخصية — كالفن هال بتحليل فرويد ترجمة الدكتور محمد فتحى الشنيطى ص ١٩٦ — ٢٠٦ .

٢٣ — التقويم فى التربية الحديثة تأليف دايتستون وجاستمان ترجمة الدكتور وهيب سمعان واخرين مكتبة الانجلو المصرية ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

٢٤ — المرجع رقم (٦) ص ١٥٧ — ١٥٨ .

٢٥ — Murphy, G., Personality, New York, Harper & Brothers 1947.

٢٦ — التقويم فى التربية الحديثة تأليف رايتستون وجستهان ترجمة الأستاذ محمد محمد عاشور والدكتور وهيب سمعان واخرين ص ٢٧٠ — ٢٧٧ .

٢٧ — الاختيارات والقاييس العقلية للدكتور محمد خليفة بركات مكتبة مصر بالفجالة بالقاهرة ص ٢١٠ .

٢٨ — المرجع رقم (٢٧) ص ٢٢٤ — ٢٢٨ .

٢٩ — علم النفس الفسيولوجى للدكتور أحمد عكاشه ، دار المعارف رقم ١٩٦٨ ص ٢٤٤ — ٢٤٨ .

٣٠ — المرجع رقم (٦) ص ٤٨٥ — ٤٨٨ .

٣١ — الدكتور عمر شاهين والدكتور يحيى الرخاوى : علم النفس تحت المجهر — ١٩٦٨ ص ٢٥٢ .

٣٢ — هـ. ج. أيزنك : الحقيقة والوهم فى علم النفس ترجمة الدكتور رؤوف نظمى وقدرى حفنى دار المعارف ص ٥٥ — ٩٣ .

٣٣ — المرجع رقم (١٠) ص ٣٤٠ .

(مراجع عامة)

١ — دكتور صبرى جرجس : مشكلة السلوك السيكوباتى دار المعارف الطبعة الثالثة

٢ — ك. هول و ج. لندزى : ترجمة د. احمد فرج . قدرى محمود حفنى . لطفى محمد فطيم مراجعة د. لويس كامل مليكه .

(3) Bert R. Sappenfield, "Personality Dynamics" New-York Alfred A. Knoph 1961.

(4) E. Kuno Beller, "Clinical Process" The Free Press of Glencoe, Inc. 1962.

— تم بحمد الله —